جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

القدس في الرواية الفلسطينية بعد عام 67
دراسة في الدال والمدلول

إعداد
هيا جلال أسعد ناصر

إشراف
أ. د. خليل عودة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2017م

القدس في الرواية الفلسطينية بعد عام 67
دراسة في الدال والمدلول

إعداد

هيا جلال أسعد ناصر

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2017/06/14م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. أ. د. خليل عودة / مشرفاً ورئيساً	....
2. د. ياسين كتانة / ممتحناً خارجياً	....
3. د. نادر قاسم / ممتحناً داخلياً	....

الإهداء

إلى من أهداني يراعا... وسكب فيه حبراً والدي الحبيب

الأستاذ الدكتور جلال قزوح

إلى شمعة تنير دربي بالحب والصبر والإيمان

والدتي الرؤوم

إلى من سار معي على مفترقات حياتي زوجي الغالي الدكتور جهاد

إلى أنوار تحوم في فضاء روحي أبنائي الأحبة حفظهم الله

إلى بيت المقدس الأم والأرض...

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع

الشكر والتقدير

في مستهل هذه الرسالة لا يسعني إلا أن أقدم خالص شكري وعظيم تقديري، واحترامي إلى أستاذي الدكتور خليل عوده، عميد كلية الدراسات العليا وكلية الآداب سابقا، فلقد أعطاني من بحر علمه، ودقة بحثه، وتفتح منهجه، ومن رحاب أبوته، وسعة صدره ما لا أستطيع معه إلا أن أقول له، سأبقى مدى العمر معتزا بإشرافك على هذا البحث.

كما اتقدم بالشكر والامتنان إلى الدكتور طه طه على ما قدمه لي من دعم وتوجيه خلال كتابة هذا البحث وفي توفير كثير من مصادره ومراجعه، والشكر موصول دائما لأساتذتي في قسم اللغة العربية، ولكل من ساهم في إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود.

إليهم جميعاً شكري وتقدير

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

القدس في الرواية الفلسطينية بعد عام 67
دراسة في الدال والمدلول

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيث لم يقدم أيّ جزء منها من قبل، لنيل أيّة درجة أو لقب علمي أو بحث لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**اسم الطالبة:**
Signature:	**التوقيع:**
Date:	**التاريخ:**

فهرس المحتويات

القدس في الرواية الفلسطينية بعد عام 67

دراسة في الدال والمدلول

إعداد

هيا جلال ناصر

إشراف

أ. د. خليل عودة

الملخص

تبحث هذه الدراسة في صورة القدس في الرواية الفلسطينية بعد عام (1967) دراسة في الدال والمدلول، وانتقت الباحثة لهذه الدراسة أكثر من ثلاثين رواية لكتاب فلسطينيين من القدس، ومن مدن فلسطينية أخرى، منهم من يعيش داخل الوطن أو يقيم في الخارج.

وجاء اختياري لهذه الروايات ؛ لبروز القدس عبر صفحاتها، وتناول ما حملته مضامينها من دلالات، ورموز مختلفة تعرضت لها الدراسة بالبحث والتحليل.

وتأتي الدراسة في ثلاثة فصول ومقدمة وتمهيد وخاتمة، وتقدم الباحثة في المقدمة عرضاً موجزاً لأهمية الدال والمدلول في الدراسات البلاغية والنقدية، وعلاقة الدلالة بالعمل الروائي ثم تتناول المراحل التي مرت بها الرواية الفلسطينية وتطورها اللافت بعد عام 1967، وتبين الدراسة أهم النتائج التي توصلت لها الدراسات السابقة، ومنهج البحث الحالي ، ومحتوياته، وسبب اختيار موضوع الدراسة.

ويأتي الفصل الأول على إدراج مقاربة نظرية في الدال والمدلول من خلال توضيح مفهوم الدال لغة واصطلاحا، حيث يقوم بناء الدراسة على تحليل الدلالات المكانية والزمانية، وغيرها من عناصر الرواية، والرموز المختلفة التي تحملها، ثم ربط الدال والمدلول بالمستويين البلاغي والنقدي من جانب، وبيان علاقة الدلالة بالعمل الروائي من جانب آخر، ثم تسليط الضوء على تطور تاريخ الرواية الفلسطينية بين الماضي والحاضر نظرا لطول الفترة الزمنية التي تناولتها الدراسة بالبحث بعد العام (1967)، ثم الانتقال لعرض صورة القدس في المشهد

الروائي الفلسطيني من خلال عرض سريع لروايات حضرت القدس في متونها منهـا روايـات لكتاب مقدسيين وغير مقدسيين يقيمون في مدن فلسطينية أخرى، أو يقيمون في الخارج.

وخصصت الفصل الثاني لإجراء مقاربة تحليلية للدوال في المشهد الروائي؛ وذلك مـن خلال دراسة الدوال الزمانية والمكانية وما يتعلق بها من مدلولات، بداية مـن تحديـد بعـض المفاهيم التي تتعلق بالزمان والمكان، ودراسة صورها في الرواية الفلسطينية عامة، ثم الانتقال للخاص والحديث عن حضور القدس الزماني والمكاني ودلالتهما في روايات الكتاب المقدسـيين وغير المقدسيين، ثم عقد مقارنة بين حضور القدس الزماني والمكاني بـين روايـات الكتـاب المقدسيين وغير المقدسيين، كما عالجت هذا الفصل دوال الشخصيات وعلاقتهـا بالقـدس فـي الروايات قيد الدراسة.

وأفردتُ الفصل الثالث لاستكناه الآفاق الرمزية للدوال اللغوية، بعد تحديد مفهوم الرمـز لغة واصطلاحاً، والكشف عن صور الرمز ومصادره في الأدب، واستعراض ظهور الرمز في الرواية الفلسطينية، وعرض دلالات الرموز التي برزت في الرواية الفلسطينية، ثم إماطة اللثام عن الرموز الدينية والتاريخية والسياسية والثقافية، وعلاقتها بالمدينة المقدسة من خلال الروايات موضوع البحث.

واختتمت بحثي هذا بخلاصة اختزلت فيها نتائج البحث الكلية في اخـتلاف حضـور القدس في الرواية الفلسطينية بين الكتاب المقدسيين حيث نقلوا صورة القدس بتفاصـيلها ومـن خلال معايشة حقيقية للمكان والزمان والشخصيات وما حملتها من دلالات ورموز ، أما حضور القدس في روايات الكتاب غير المقدسيين فقد جاءت صورة القدس فيها دون التعمق في تفاصيل المكان ، وحضرت حدثا ذا دلالات سياسية وثقافية ، واجتماعية ، بناء على مـا سـمعت دون معايشة حقيقية للمكان حيث حضر المكان من خلال سرد تاريخ المدينة أو عرض

كما ذيلته بقائمة المصادر والمراجع، متبعا إياه بملاحق للروايات قيد الدراسة وتـواريخ صدورها.

المقدمة

فلسطين أرض مباركة مهد ديانات ، ومقام أنبياء عاشوا فوق ترابها على مر التاريخ ، وتنقلت بين مدنها حضارات وأمم وشعوب ، تركت آثارها في كل مكان فيها ، لتغدوا هذه البقعة من الأرض لوحة فسيفسائية تحمل عبق التاريخ ، وأصالة أمة ، وحياة شعب بقي صامدا يقاوم كل محاولات السيطرة عليه وامتلاك تاريخه وحضارته .

وشاء الله أن يجعل من القدس قبلة المسلمين الأولى، ومحط أنظارهم تهوى إليها الأفئدة منذ القدم إلى يومنا هذا، وكان التكريم الإلهي لهذه المدينة المقدسة التي باركها الله عندما جعلها منطلقا لنبيه الكريم في معراجه إلى السماء ثم بوركت بمسجدها الأقصى الذي ورد ذكره[1] في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[2]

ومع هذه المكانة الدينية عظمت القدس في نفوس المسلمين، وعاشت في قلوبهم، وتعلقوا بها تعلقهم بالدين الذي رفع من شأنها وأعلى من مكانتها، ومع إحساس أعداء الاسلام تعلق المسلمون ببيت المقدس كان التفكير منهم بالاستيلاء عليها منذ القدم حتى يومنا هذا، لما تميزت به من مخزون ثقافي وتاريخي وديني، ولا زالت القدس تعاني من محتليها حتى يومنا هذا، ونظراً للمكانة الخاصة للمدينة المقدسة التي تتميز بها عن غيرها من المدن الفلسطينية، جاء هذا البحث ليتناول القدس من جانبها الأدبي، وخاصة في الرواية، والحديث عن كيفية بروز القدس في الرواية الفلسطينية الحديثة بعد العام 1967، وما حملته صورة القدس في هذه الروايات من رموز ودلالات ثقافية وتاريخية ودينية وسياسية، وكيفية بروز القدس في هذه الروايات مكاناً وزماناً عند الكتاب المقدسيين وغير المقدسيين، وما حملته دلالات شخوصها من رموز.

---

[1] ينظر، ناصر، جلال اسعد: **العمارة المملوكية الجركسية في بيت المقدس / 1382-1517م**. (رسالة دكتوراة غير منشورة). جامعة القاهرة. القاهرة. مصر. 1983، ص2.

[2] سورة الاسراء، آية (1)

ينتظم جاء البحث في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

جاء التمهيد للحديث عن أهمية المدينة بوصفها مكانا روائيا، وما تعكسه فضاءاتها من أبعاد دلالية مختلفة تجسّد مع باقي عناصر العمل الأدبي جمالية خاصة تساهم في إضفاء دلالات على المضمون الروائي، وبروز الرمز في الرواية يساهم في تخطي التجربة الأدبية البسيطة إلى عالم من المعاني والايحاءات تعطي ظلالا وأبعاداً أخرى للنص الأدبي وتقدم جماليات تستدعي القارئ إلى محاولة استرجاعها وفهمها في ضوء تعدد مصادر الرمز التاريخي، والاسطوري، والديني، والتراثي.

ثم أبرزت في الفصل الأول توضيح مفهوم الدلالة لغة واصطلاحا، وبينت أراء القدماء من العرب في تركيزهم على قضية المعنى والبساطة والوضوح، والتي مثلت أساس البلاغة والفصاحة لديهم ، كما أبرز هذا المبحث أراء المحدثين في بيان أهمية الدال والمدلول والعلاقة بينهما ، أما المبحث الثاني فقد تناول الدال والمدلول في المستويين البلاغي والنقدي، وعلاقة كل من الدال والمدلول بالبلاغة من جانب والنقد من جانب أخر، وربط فروع البلاغة المختلفة من علم المعاني والتشبيه، الاستعارة والمجاز، بعلم الدلالة، وأثرهم فيه، وإبراز دور البلاغة ليس فقط في الافصاح عن اللفظ، وإنما في توضيح التراكيب والعلاقة بينهما.

وعالج المبحث الثالث علاقة الدلالة بالعمل الروائي بالنظر إلى أن الدلالة والمكونة من دال ومدلول هي أساس العمل الأدبي ، فالقيمة الجمالية داخل النص مرتبطة بفهم الدلالات هي وسيلة التعبير الأدبي ينقل الأديب من خلالها تجربته الإبداعية للمتلقي.

أما المبحث الرابع فقد تناول الرواية الفلسطينية بين الماضي والحاضر حيث تتطرق هذا المبحث إلى بدايات ظهور العمل الروائي الفلسطيني، وقد تناولت هذا الجزء بالدراسة نظرا لطول المدة الزمنية التي تناولها هذا البحث بعد العام 1967، وبروز الرواية عملا أدبيا له وجوده وحضوره على الساحة الثقافية الفلسطينية والعربية بعد هذا التاريخ، وتسليط الضوء على بعض المحاولات الروائية قبل هذه الفترة.

وتناول المبحث الخامس استعراض حضور القدس في المشهد الروائي الفلسطيني من خلال تقديم صورة القدس في بعض الروايات لكّتاب يقيمون داخل المدينة، وكّتاب من خارجها يقيمون في مدن الضفة أو في الشتات في مدن عربية وأوربية، وكيف نظر كل كاتب للمدينة ؟

حيث أظهر كل منهم القدس من خلال روايته، ليبرز المدينة وتاريخها وما وقع فيها من أحداث عبر فترات زمنية مختلفة، والتغيرات السياسية والاجتماعية التي وقعت فيها المدينة إما من خلال معايشة حقيقية للمكان وما حدث فيه من تغيرات شهدها هؤلاء الكّتاب، أو من خلال ما علق من ذكريات في مخزونهم ومخيلتهم حول المدينة التي أُجبروا على الرحيل عنها.

وقد خصص الفصل الثاني من البحث لدراسة الدوال الزمانية والمكانية حيث تم التعرض لأهمية الزمان والمكان في العمل الروائي عامة وخصوصيته في الرواية الفلسطينية تم تقديم تعريف للزمان والمكان لغة واصطلاحا قبل الخوض في دلالة كل منهما في الرواية الفلسطينية التي برزت القدس فيها بما تتميز به من خصوصية في الوصف، وما برز به المكان من تفاصيل تحمل دلالات خاصة وخصوصية في الزمان وما مرت به القدس من أحداث تاريخيه شكلت مفاصل هامة في حياة المدينة المقدسة.

كما تناول هذا الفصل عقد مقارنة بين حضور القدس الزماني والمكاني في الروايات قيد البحث بعد أن تم دراسة هذه الدوال الزمانية والمكانية عند الكتاب المقدسيين وغير المقدسيين بشكل منفصل، تم عرض لكيفية ظهور القدس عند كل منهم في رواياته.

أما في الفصل الثالث فقد تناول الآفاق الرمزية للدوال اللغوية حيث استعرض تحديد مفهوم الرمز في الخطاب الروائي، وأبرز تعريفاً للرمز لغة واصطلاحاً وآراء القدماء والمحدثين في الرمز في العمل الادبي ، ومصادر الرمز في الأدب من التراث التاريخي والديني والسياسي والثقافي وما تناوله الموروث الشعبي الفلسطيني، كما تم التطرق إلى الاتجاهات الأدبية في الرواية الفلسطينية وصولاً إلى الرمزية، واستخدام الرمز في الرواية

وانتهى الفصل إلى تحليل رموز الدوال الدينية والتاريخية والسياسية والثقافية في الروايات قيد الدراسة وبيان علاقتها بالقدس.

واختتم هذا البحث بخلاصة اختزلت منها نتائج البحث الكلية وما توصلت له الدراسة بهذا الصدد.

منهج الدراسة

وظفت الدارسة لغاية البحث والدرس، مناهج علمية مختلفة فقد وقفت من خلال المنهج التاريخي على استعراض بعض المصطلحات النقدية من دال ومدلول، وتتبع آراء القدماء والمحدثين وكذلك المراحل التي مرت بها الرواية الفلسطينية وبروز صورة القدس في هذه الروايات وفق ترتيب زمني وتعاقب تاريخي، يتتبع مراحل مختلفة من عمر الرواية الفلسطينية والروايات التي كتبت عن القدس.

كما كان للمنهج الاستقرائي التحليلي حضوره في هذا البحث، من خلال الاطلاع على قدر غير يسير من النصوص الروائية الدالة واستقراء هذه النصوص للكشف عن دلالتها ورموزها المختلفة التي تتعلق بالقدس.

وافادت الدراسة كذلك من الدراسات النقدية المختلفة التي تعالج الزمان والمكان، وغيرها من عناصر الرواية الفلسطينية والإفادة منها في إبراز صورة القدس في الروايات في موضوع البحث.

تهدف هذه الدراسة للكشف عن صورة القدس في المشهد الروائي الفلسطيني وما تحمله هذه الصورة من أبعاد تاريخية ودينية وثقافية وتراثية، وما تشير إليه من دلالات وما تحمله من رموز حيث يتمحور موضوع البحث حول تحليل نماذج بارزة من الروايات الفلسطينية ظهرت فيها القدس.

وتحاول الدراسة إلقاء الضوء على عدد من القضايا التي تتعلق باستكناه صورة القدس في الرواية الفلسطينية، من خلال طرح عدد من الأسئلة والوصول إلى إجابات ونتائج في نهاية هذه الدراسة :

* كيف ظهرت صورة القدس في هذه الروايات؟

* وما دلالات الزمان والمكان في هذه الروايات؟

* وكيف برزت القدس في روايات الكتاب المقدسيين وغير المقدسيين؟

* وما هي الدلالات التي حملتها الرموز في هذه الروايات ؟

وقد أفردت الدراسة عدداً من الروايات جسدت موضوع البحث، أما الروايات قيد الدراسة فهي مرتبة حسب زمن صدورها وفق الجدول الآتي:

اسم الرواية	المؤلف	الطبعة	الناشر	مكان النشر	زمن الصدور
الصبّار	سحر خليفة	ط1	منشورات جاليلو / مطبعة الشرق التعاونية	القدس	1976
عباد الشمس	سحر خليفة	ط 3	منشورات دار الآداب	بيروت	1987
اسماعيل	أحمد حرب	ط 1	وكالة أبو عرفة للنشر والتوزيع	القدس	1987
أنشودة فرح	ربحي الشويكي	ط 1	منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين	القدس	1990
الضلع المفقود	ديمة جمعة السمان	ط 1	دار العودة للدراسات والنشر	القدس	1992
القافلة	ديمة جمعة السمان	ط 1	منشورات دار الهدى	كفر قرع	1992
أشجان	جمال القواسمي	ط 1	–	–	1992
نجوم أريحا	ليانة بدر	ط 1	دار الهلال	القاهرة	1993

اسم الرواية	المؤلف	الطبعة	الناشر	مكان النشر	زمن الصدور
الجانب الآخر لأرض الميعاد	أحمد حرب	ط 2	منشورات جامعة بيرزيت	بيرزيت	1994
الجذور	حليمة جوهر	ط 1	دار القدس للنشر والتوزيع	القدس	1994
الميراث	سحر خليفة	ط 1	دار الآداب	بيروت	1997
عائد إلى القدس	عيسى بُلّاطة	ط 1	دار الاتحاد للطباعة والنشر	بيروت	1998
صورة وأيقونة وعهد قديم	سحر خليفة	ط 1	دار الآداب	بيروت	2002
عري الذاكرة	أسعد عبد المنعم الأسعد	ط 1	بيت المقدس للنشر والتوزيع	رام الله	2003
برج اللقلق/ ج1	ديمة جمعة السمان	ط 1	الهيئة المصرية العامة للكتاب	القاهرة	2005
برج اللقلق /ج2	ديمة جمعة السمان	ط 1	الهيئة المصرية العامة للكتاب	القاهرة	2005
مرافئ الوهم	ليلى الأطرش	ط 1	دار الآداب	بيروت	2005
زمن الخيول البيضاء	إبراهيم نصرالله	ط 1	الدار العربية للعلوم ناشرون	بيروت	2007
صبري	عزام توفيق أبو السعود	ط 1	منشورات الدائرة الثقافية للمسرح الوطني الفلسطيني " الحكواتي "	القدس	2008
قصة حب مقدسية	يوسف العيلة	ط1	اتحاد الكتاب الفلسطينيين	القدس	2009
حمام العين	عزام توفيق أبو السعود	ط 1	الملتقى الفكري العربي	القدس	2009
قلادة فينوس	أماني الجنيدي	ط 1	منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية	رام الله	2009

اسم الرواية	المؤلف	الطبعة	الناشر	مكان النشر	زمن الصدور
مدينة الله	حسن حميد	ط 1	منشورات اتحاد كتاب فلسطين	رام الله	2009
مقدسية أنا	علاء مفيد مهنا	ط 1	مؤسسة عبد المحسن القطان	رام الله	2009
بنت الأصول	ديمة جمعة السمان	ط 1	الهيئة المصرية العامة للكتاب	القاهرة	2009
خلود	سمير الجندي	ط 1	القدس للكتب والطباعة	القدس	2009
المسكوبية " فصول من سيرة العذاب "	أسامة العيسة	ط 1	منشورات مركز أوغاريت	رام الله	2010
ليل البنفسج	أسعد عبد المنعم الأسعد	ط 1	دار الشرق للنشر والتوزيع	القاهرة	2010
وجه من زمن آخر	ديمة جمعة السمان	ط 1	الهيئة المصرية العامة للكتاب	القاهرة	2011
الراهب يعقوب	يوسف العيلة	ط 1	منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين	القدس	2011
عاشق على أسوار القدس	عادل سالم	ط 1	دار الجندي للنشر والتوزيع	القدس	2012
كافر سبت	عارف الحسيني	ط1	دار الشرق للنشر والتوزيع	رام الله	2012

الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع

سبقت هذه الدراسة بدراسات عديده كما المشهد الروائي الفلسطيني الحاظي باهتمام العديد من الدراسات النقدية، أما الدراسات التي أوردت موضوع القدس عبر طيات صفحاتها فقد برزت منها:

- دراسة لعبد الله الخباص بعنوان **القدس في الأدب العربي الحديث في فلسطين والاردن في القرن العشرين (1900 – 1984)** حيث عالج عدداً من الروايات فيها فتناول في الفصل الأول من بابه الثالث سبع روايات، أما الفصل الثاني من هذه الدراسة فقد تناول فيه صورة القدس في أحدى عشرة رواية[1].

- وهناك أيضا مجموعة من الدراسات تناولت صورة القدس في الشعر الفلسطيني منها: دراسة فاروق مواسي بعنوان " **القدس في الشعر الفلسطيني الحديث** " [2] ودراسة رضا علي لدادوة بعنوان " **القدس في الشعر الفلسطيني بين عامي 1967 و2004** " [3]، وأخرى لعاطف أبو حماده بعنوان " **تجليات القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر** " [4]جل الدراسات السابقة اقتصرت على تناول صورة القدس في الشعر الفلسطيني دون الرواية.

- أما الدراسات التي تحدثت عن صورة القدس في الرواية فمنها دراسة لعادل الأسطة بعنوان " **القدس في كتابات كتاب القصة القصيرة الفلسطينية** " [5]ودراسة سعيد محمد الفيومي بعنوان " **تجليات القدس في الرواية الفلسطينية** " [6].

---

[1] الخباص، عبد الله: **القدس في الأدب العربي الحديث في فلسطين والأردن في القرن العشرين (1900-1984) في الشعر والقصص والرواية والمسرحية**، الجامعة الاردنية ، عمان ، 1995م

[2] مواسي، فاروق: القدس في الشعر الفلسطيني الحديث، موقع مجلة آفاق الثقافية com / today/ moduls.php?name=news

[3] لدادة، علي رضا: **القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر (1967 – 2006)**، جامعة بير زيت، رسالة ماجستير غير منشورة، 2006

[4] أبو حمادة، عاطف: تجليات القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر، موقع مؤسسة القدس الدولية www.alquds-onlin.onlin.orq/indx.php

[5] الأسطة، عادل: **القدس في كتابات كُتاب القصة القصيرة الفلسطينية**، الندوة الثالثة عشرة لاتحاد جمعيات مكتبات بلاد الشام، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2009.

[6] الفيومي، سعيد: **تجليات القدس في الرواية الفلسطينية – رواية سحر خليفة (صورة وايقونة وعهد قديم) أنموذجا**، على موقع مؤسسة القدس الدولية

ودراسة بعنوان " **القدس في الرواية الفلسطينية بعد اوسلو**"[1] لعلي حسن خواجة، ودراسة أخرى لنادر قاسم بعنوان "**صورة القدس في روايات جبرا إبراهيم جبرا**"[2]حيث استعرض صورة القدس في عدد من روايات جبرا.

ودراسة أخرى بعنوان "**رواية القدس في الأدب العربي في القرن الحادي والعشرين**"[3] لمحمد عبد الحفيظ الطحل، حيث تناول فيها خمس عشرة رواية لكتاب فلسطينيين وعرب منهم علي بدر وواسيني الاعرج، وتناول فيها قضية الشكل الروائي وصورة الآخر من منظور الكتاب الفلسطينيين والعرب، ثم عرض لطرق القص التي اعتمدها الكتاب في رواياتهم.

وتتناول هذه الدراسة القدس في الرواية الفلسطينية بعد العام 1967، حيث تناولت روايات لكتّاب فلسطينيين برزت القدس في رواياتهم، منهم كتّاب من القدس، وآخرون من أبناء القدس يقيمون في الخارج، وكتّاب من مدن فلسطينية، وتعرضت الدراسة للمضمون الروائي، وتناول الدلالات التي يحملها الزمان والمكان والشخوص وتحليل الرموز في الروايات وبيان علاقتها بالقدس، وتناول روايات أخرى لم يتم التعرض لها بدراسة مفصلة، والكشف عن كيفية ظهور القدس في رواياتهم.

وقد تخيرت هذا الموضوع في إطار الأدب الفلسطيني الحديث وخاصة في الروايات الفلسطينية لمحاولتها نقل صورة القضية الفلسطينية ومعاناة الانسان الفلسطيني، وتاريخ نضاله الطويل عبر فترات زمنية متلاحقة وكان اختيار القدس عنواناً لهذه الدراسة لولعي الشديد بالمكان الذي امضيت معظم طفولتي فيه، حيث كان والدي يعمل رئيسا لهيئة الاثار الاسلامية بالقدس، واعد رسالتي الماجستير والدكتوراه حول هذه المدينة المقدسة ولإيماني العميق بإبراز

[1] خواجة، علي حسن: **القدس في الرواية الفلسطينية بعد أوسلو – نماذج مختارة – مؤتمر الأدب الفلسطيني بعد أوسلو**، جامعة الخليل، 2010.

[2] قاسم، نادر: ***صورة القدس في روايات جبرا إبراهيم جبرا***، **مجلة جامعة الأزهر**، مج 10، ع 2، 2008.

[3] الطحل، محمد: **رواية القدس في الأدب العربي في القرن الحادي والعشرين**، جامعة النجاح الوطنية، رسالة ماجستير غير منشورة، 2013.

صورة هذه المدينة بقدسيتها وخصوصيتها الزمانية والمكانية وبإرثها الحضاري والتـــاريخي والديني والثقافي مما يميزها عن غيرها من مدن العالم.

ومما تجدر الاشارة إليه هو المعاناة التي تكبدتها في سبيل إخراج هذه الدراســـة إلـــى النور فقد ارتحلت في بداية إعداد الخطة الدراسية إلى الأردن لتحصـــيل بعــض المصـــادر والمراجع التي احتوتها مكتبة " الجامعة الاردنية " وزيارة العديد من مكتبات الجامعـــات فـــي الوطن منها " جامعة بير زيت " وجامعة " بيت لحم " وإجراء مقابلة مع الكاتبة المقدسية ديمة السمان.

التمهيد

للمكان حيز يشغله على وجه هذه البسيطة يشكل مع غيره من العناصر الأخرى بقعة يرتبط بها الإنسان مكوناً تجمعاً يقيم عليه. وتعد المدينة الفضاء الأبرز في المجتمع الإنساني، تتجسد عليها حضارات وتاريخ يمتد عبر الزمن ولا ينتهي، تعكس حضارة إنسانية وحياة شعوب وأمم عاشت فيها، " إن العديد من الروايات تدور في المدينة ، وتنتقي منها محلات أو أماكن تحمل خصائص إلا أنها لا تعني المدينة كلها ، إلا متى ما تمثلت فيها السمات الاجتماعية والاقتصادية"[1]، وهي تعكس جانبا ماديا من جهة وجانبا روحيا من جهة أخرى، تحمل ذكريات الماضي، وتداعيات الحاضر بكل رموزه السياسية والدينية والثقافية.

هذا ما تمثله القدس التي شاء الله أن يجعل منها قبلة المسلمين الأولى ومحط أنظارهم، تهوى إليها الأفئدة، وتتعلق بها النفوس، ليشرب حبها في قلوب المسلمين، ويربطهم بها رباط مقدس هو رباط الدين، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. وكان التكريم الإلهي لهذه المدينة المقدسة التي باركها الله عندما جعلها منطلقا لنبيه الكريم في معراجه إلى السماء، فأي تكريم هذا! وأي تشريف! وبوركت بمسجدها الأقصى الذي ورد ذكره في أقدس كتاب، في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[2]، وكانت القدس قبلة الرسول الكريم في صلاته، وهو من أول ما وضع من مساجد في الأرض.

ومن حظ هذه البقعة أن تكون مكاناً تجمع الأنبياء، وإمامة الرسول الكريم لهم في صلاة لم تشرف بقعة أخرى من بقاع الأرض بها، وهي أحد المساجد التي تشد إليها الرحال، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى " [3]، ومع هذا الفضل وهذه المكانة فضل

---

[1] النصير، ياسين: **الرواية والمكان**، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986 م، ص 18 – 19

[2] سورة الإسراء، الآية (1)

[3] **أبو الحسن ، مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال ، ص 1397**

الأمراء والحكام أن يكون مرقدهم الأخير في جنباته وعلى ترابه، وبتـوالي الاحـتلال لهـذه المدينة المقدسة مع بداية الحملات الصليبية حتى الاحتلال الصهيوني لها، ظلت القدس أسيرة تعبث بها يد المحتل تغيرا وتدنيساً لمعالمها الدينية والتاريخية[1].

ويظهر رسم القدس في الرواية كما رسمت مدن فلسطينية أخرى، يظهر هذا الرسـم قائماً على ثنائية ضدية، بين ما كانت عليه المدينة قبل الاحتلال، وما أصـبحت عليـه بعـد الاحتلال، ويأتي حضورها إما مباشراً في إطار مكاني لأحداث الرواية ، أو حضـوراً غيـر مباشر عبر ذكريات الشخصيات الروائية، ولأن " المدن الفلسطينية تأخذ صورة الوطن كلـه، فهي رمز الوطن المحتل الذي عانى الكثير من الاحتلال مثلما عـانى الفلسـطينيون مـن ذل التهجير وقسوة البعد في المنفى"[2]

القدس المدينة المفقودة ؛ وهي وإن كانت موجودة على جغرافية الأرض ولكنها بعيدة المنال عن الفلسطيني الذي لا يستطيع الوصول إليها ؛ بسبب ما يفرض الاحتلال مـن قيـود وحواجز، فهو إما بعيدا في الاغتراب يعيش على ذكريات كان يحياها يوما في هذه المدينـة، وإما محاصراً داخل الوطن لا يستطيع الدخول إليها، أو يعيش بداخلها مع كثير من المعانـاة والألم، وتبعا لذلك فقد اختلفت طريقة المعالجة الروائية من خلال روايات الكتاب المقدسـيين والكتاب غير المقدسيين.

والرواية الفلسطينية لها خصوصيتها زماناً ومكاناً بسبب واقعها السياسي حيث تتفـرد بتراكيب ومفردات سياسية واجتماعية خاصة تعكس الوضع القائم، أما الروايات التي تناولـت موضوع القدس فقد حملت دلالات ورموز ميزتها بزمان ومكان وشخوص وأحداث، وعالجت واقع المدينة من جوانبها الدينية والتاريخية والثقافية والاجتماعية، حيث اختلفت طريقة وصول كل كاتب للمدينة، كل حسب موقعه منها .

---

[1] ينظر، ناصر، جلال أسعد: **العمارة المملوكية الجركسية في بيت المقدس / 1382 – 1517 م**، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة. مصر، 1983 م، ص 3

[2] أحمد، حفيظة: **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية 1950 – 2000 م**، رام الله: منشورات مركز اوغاريت الثقافي، 2007 م، ص 170

والرواية عموماً تنهض بمجموعة من العناصر منها الشخصيات والحبكة والزمان والمكان والحدث واللغة، وتلتزم الرواية بتحليل هذه العناصر وربطها ببعضها البعض، فوقوع الأحداث وتلاحقها له ما يبرره، ثم هناك الشخصيات، والتي تعامل معاملة الكائن الحي، وما تحمله من ملامح خارجية من السن والطول والشكل...، والجوانب الداخلية من: أهواء وخوف وصراعات وميول فكرية وسياسية تتفاعل من خلالها مع المجتمع[1].

ويلعب المكان دوراً بارزاً في تشكيل أحداث الرواية " فهو ليس حقيقة مجردة، وإنما يظهر من خلال الأشياء التي تشغل حيزاً، ودراسة المكان تقوم على استخراج هذه المقاطع ودراسة طبيعتها، وتوظيفها توظيفا جماليا في خدمة الرواية، وفي إضفاء الظلال والدلالات على مسار القص "[2]، فهو الاطار العام الذي يحتوي جميع عناصر العمل الأدبي، وتبرز من خلاله تحركات وتنقلات الشخوص، وحيز تدور فيه وقائع الرواية، وتشابك أحداثها، ويعكس دلالاتها، والرواية الفلسطينية هي رواية مكان، لما يمثله هذا المكان بالنسبة للفلسطيني من الوطن المفقود، والذي يسعى لاسترداده ولو من خلال الذاكرة، والقدس بخصوصيتها الدينية والتاريخية والسياسية تبقى حاضرة في كثير من الأعمال الأدبية لتبقى حية في الذاكرة الفلسطينية .

فالمكان هو الأرضية التي تقع عليها الأحداث، وتتحرك خلالها الشخصيات وتدور فيها الصراعات، لأن المتن الحكائي متماسك لا يحدث في الفراغ بل في أزمنة وأمكنة متعددة ومحدودة[3]. ويحمل المكان دلالات متعددة حين يعكس حالة البطل النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية من جانب ويتفاعل مع الأحداث من جانب آخر، ضمن اطار زمني محدد تقع فيه أحداث الرواية.

---

[1] ينظر، فتاح، علي عبد الرحمن: ***تقنيات بناء الشخصية في رواية " ثرثرة فوق النيل "***، **مجلة كلية الآداب جامعة صلاح الدين**، ع 102، 2001 م، ص 45

[2] رشدي، رشاد: **فن القصة القصيرة**، ط 2، بيروت: دار العودة، 1975 م، ص 30

[3] العيلة، زكي: **المرأة في الرواية الفلسطينية**، رام الله، 2003 م، ص 223

وفي إطار " وصف المكان الروائي يبرز الفضاء الروائي الذي يعني مجموعة الأمكنة التي تظهر في بنية الرواية وتشغل حيزاً جغرافياً تتحرك فيه الشخصيات حقيقة مادية ملموسة أو رؤية ذهنية خيالية رمزية "[1] فالفضاء الذي يعطي اتساعاً لتفاعل عناصر الرواية من خلاله يحمل دلالاتٍ ورموزاً تغني العمل الأدبي، وتكسبه مضامين جديدة، والمكان في الرواية الفلسطينية له عديد الدلالات نظرا لما يحمله هذا المكان من أبعاد سياسية وحضارية وثقافية، فكيف إذا كان هذا المكان هو القدس بكل إرثها التاريخي والديني، وأحداثها المتراكمة عبر التاريخ.

أما الزمن في الرواية فله أبعاده ودلالاته الخاصة، وفي الرواية الفلسطينية له خصوصيته أيضا عن غيره من الروايات " لأن وعي الإنسان الفلسطيني المبكر لواقعه وقضيته هو الذي أبرز عنصر الزمن في الأعمال الأدبية الفلسطينية، وقد سبق وعي الفلسطينيين بقية الوطن العربي لواقع قضيتهم، وهذا الوعي العميق تجسد بأشكال متفاوتة ووجد لنفسه مسارات متعددة مع مسيرة التجربة الفلسطينية"[2]

ويلعب الرمز في العمل الأدبي دورا في إثراء المضمون الروائي واكسابه أبعاداً ودلالاتٍ جديدة، حيث " تكتسي الرموز التاريخية والدينية والأسطورية أهمية خاصة لما يرتبط بها من أحداث مهمة ومواقف معهودة بحيث أصبح استدعاؤها أمراً يثري المضمون الشعري، ويكشف الكثير من المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة "[3] فالرمز يقدم حرية الإبداع في التعبير، ورحابة في التخيل وثراء التأويل والقدرة على تكثيف وتجميع العبارات والتعبيرات، المراد الحديث عنها.

---

[1] العف، عبد الخالق: ***الزمان والمكان في رواية " رابع المستحيل " للقاص عبد الكريم السبعاوي***، **مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية**، مج 16، ع 2، 2008 م، ص 7

[2] عودة، علي: **الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية**، ص 16

[3] البردويل، صلاح: **توظيف التراث في الشعر الفلسطيني المعاصر**، رسالة دكتوراه غير منشورة، غزة: جامعة الأقصى، 2001، ص 14

وتبرز طاقة الرمز في كونها لغة في النص تقوم بتشكيل ظلالهـا لتطلقهـا بوصـفها مدلولاً يحمل الكثير بين طياته، فتوظيف الرمز يعد من الفنيات التي تعبد الطريق أمام تأصيل النص، فاللغة لم تعد مجرد ألفاظ وجمل بل أصبحت تركز على إبراز طاقات إبداعية مبنيـة على أسس فكرية قائمة على ما يختزنه الإنسان في معجمه اللغوي، والرموز على اختلافهـا تحتاج إلى اطلاع شامل، فتوظيف الرموز التاريخية يتطلب من القارئ ثقافة تاريخية واسـعة وإدراكا واعيا بالعمق التاريخي للأمة العربية والإسلامية، كما أن استحضار الكاتب أو الأديب للتاريخ ومواقفه، لا يكون فقط بنقل الأحداث والوقائع التاريخية، بل استمداده لمعطيات التاريخ من خلال اعادة صياغته وتوظيفه في قالب أدبي يتلاءم مع تجربته الإبداعية التي يحاول مـن خلالها عكس الواقع المعاش[1].

وهناك الرموز الأسطورية وهي جزء من التراث الانساني، ووجودها متجـذرٌ فـي التفكير الجمعي للإنسانية، وتمثل في الرواية من خلال شخصيات أسطورية مثـل فينـوس، والفينيق، وسرد حكايات وقصص عن المدن والأماكن، منها ما سعى الكاتب الفلسطيني إبرازه في رواياته، فبرزت القدس رمزاً اسطورياً، فسرت حالة العجز التي وصل لها الكتاب في عدم قدرتهم على الوصول للمدينة، ومعايشة واقعها الجديد.

---

[1] ينظر، بن زهدي، زين العابدين: ترجمة **الرموز الدينية في رواية " الولي الطاهر يعود لمقامه الزكي " للطاهر وطار – دراسة تطبيقيه –** " رسالة ماجستير غير منشورة "، جامعة وهران، 2016 م، ص 28 – 30

الفصل الأول

مقاربة نظرية في الدال والمدلول

الفصل الأول

مقاربة نظرية في الدال والمدلول

1.1 الدال والمدلول لغة واصطلاحا

لا بد لنا قبل الخوض في هذه الدراسة من تحديد مفهوم الدال والمدلول لغة واصطلاحا.

مفهوم الدلالة لغة

الناظر في المعنى اللغوي لمصطلح " الدلالة " يجدها في كتب التراث العربي القديمة من الأصل " دَللّ، والدَّلَ، ودَلالُ في تَدَلُّلِ المرأة"[1].

"والدَليلُ: ما يُستَدلُ بِه، والدليلَ: من الدالِ، وقد دَلَه على الطريقِ يَدلُه دَلالةً، وفي صفةِ الصحابة، رضي الله عنهم، يخرجونَ مِن عنده أَدلّة، وهو جَمعُ دليل،، أي مما علموه فيدلون عليه الناس، وَدَللت بهذا الطريق: عرفته، ودَلَلتُ به أدَلّ دلالة، وأَدلَلتْ بالطريقِ إدلاًلاً[2].

وفي قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾[3] أي يتلوه ويتبعه حتى يأتي عليه كله، وفي الحديث: " يمشي على الصراط مُدِلّاً " ؛ أي منبسطاً لا خوف عليه، وهو من الإدلال والدلالة على المنزلةِ، وفلان يَدُل على أقرانه في الحربِ، كالبازي يَدلُ على صيدِه"[4].

ومن " الدلالة بفتح الدال، وكسرها، وضمها، والفتح أفصح من (دلّ – يَدُلّ) إذا هدى، ومنه دَليل، وَدَليلي: العالم بالدلالةِ"[5].

---

[1] الفراهيدي، أبي عبد الرحمن خليل بن أحمد: **كتاب العين**، بيروت: دار احياء التراث العربي، ج 4، ص 300

[2] ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، مج 11، مادة " دَلَلَ "، بيروت: دار صادر، ص 249

[3] سورة الفرقان، آية (45)

[4] الجوهري، اسماعيل بن حماد، **تاج اللغة وصحاح العربية**، مادة (دل)، ج 4، تحقيق أحمد عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ص 1699

[5] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، مادة (دل)، ج 2،القاهرة: الدار المصرية للنشر والتوزيع، 1967م، ص 47 – 48

وهذه الإشاراتُ تومِئ بأن " المعنى اللغوي للدلالة يوحي عند القدامى بالإرشاد، والهداية، والتسديد أو التوجيه نحو الشيء"[1].

وبناء على ما سبق " فالدلالة " وما ينبثق عنها من دال ومدلول ترتد في جُل المعاجم العربية القديمة إلى أصل واحد من " دَلَلَ " وما تعنيه من الإشارةِ وإيضاح الطريق، ومعنى التحديد والكشف والبيان والافصاح، بالإضافة إلى ما يحمله هذا اللفظ من مشتقات لمعان أخرى تحمل في مضمونها ما يشير إلى تحديد ماهية الدال والمدلول لغة.

مفهوم الدلالة اصطلاحا

تعرض القدماء للدال والمدلول في حديثهم عن الدلالة، ومن أقدم الآراء التي تحدثت حول الدلالة ما ذكره أفلاطون والقائل " بأن الدال كلمة في اللغة، وأن المدلول هو الشيء الموجود في العالم، ويمثله الدال أو يشير إليه أو يحدده"[2].

وقد ربط بين الأصوات وما تكونه من كلمات وما تحمله هذه الكلمات من مدلولات، وقد شارك سقراطُ أفلاطون عندما بَين أن " الصلة بين الأصوات والمدلولات طبيعية حتميه"[3]، أما أرسطو فيرى أنها " صلة عرفية لا تعدو أن تكون بمثابة رمز اصطلح الناس على وصفه للمدلول، ومثله حينئذ كمثل كل الرموز العرفية كالإشارة باليد"[4].

وبهذا عرف القدماء من فلاسفة اليونان أهمية الصوت، وانعكاس صورة الصوت عند الإنسان لِتُكونَ فهمَ الإنسان لهذه الصورة، فهذه الصورة التي تظهر من خلال الألفاظ هي التي تُكون الدال، والمدلولات هي ما تشير له من معاني ورموز كوسيلة للتواصل بين الناس، ويختلف تفسيرها تِبعاً لعوامل ثقافيةٍ واجتماعيةٍ تتدخل في تحديد مفهوم الدلالة.

---

[1] نهر، هادي: **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، اربد: عالم الكتب الحديثة، 2008، ص 11

[2] بالمر، روبرت فرانك: **علم الدلالة**، ترجمة عبد المجيد الماشطة، بغداد: منشورات الجامعة المستنصرية، 1985 م، ص23

[3] أنيس، ابراهيم: **دلالة الألفاظ**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط 3، 1976م، ص65

[4] المرجع نفسه: ص 65

ومن الآراء التي ذكرها القدماء في هذا السياق ما بينه الجاحظ حين أشار إلى الدلالة " وساق في تفصيل أنواع الدلالات البيانية من اللفظ، والإشارة، والعَقد، والنِصب، وأن جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نِصبْة، والنِصبْة هي الحال الدالة"[1]

وبذلك تكون الدلالة عند الجاحظ في أصلها نوعين: " الدلالة لفظا، والنوع الثاني: الدلالة ليست لفظا، وهي دلالة الخطوط " القلم "، والخط: هو صورة اللفظ"[2]

فهناك سياق لغوي يرتبط بنظام اللغة وكلماتها وترتيبها وما تحمله من دلالات مختلفة، وهناك سياق غير لغوي أشار له الجاحظ بقوله: " وفي الاشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح... في أمور يسترها بعض الناس عن بعض ويخفونها عن الجليس وغير الجليس[3]" وأسهب في ذلك فقال: " فبأي شيء بلغت الأفهام وأفصحت عن المعنى فذلك هو البيان، على قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ورقة المدخل يكون إظهار المعنى".[4]

فالجاحظ بذلك بين أهمية الدلالة وربط وضوحها بالفصاحة والبيان، وفرق بين نوعين من الدلالة: الدلالة اللفظية وما يتعلق منها بالألفاظ والكلمات والعبارات والعلاقات بينهما، والدلالة غير اللفظية بالعين أو اليد أو الكتابة باليد، ودورهما في الوصول للمتلقي لغاية الفهم، وما سيتم التركيز عليه في هذه الدراسة ما يتعلق بالدلالة اللفظية وما ينبثق عنها من دال ومدلول، وما يحمله الدال من مدلولات ومعاني واشارات توضح وتكشف الكثير من جوانب النص الأدبي.

---

[1] الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبين**، ج 1، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 7، 1998 م، ص 75.

[2] اسماعيل، طالب محمد: **مقدمة لدراسة علم الدلالة – في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري**، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2009 م، 22.

[3] الجاحظ، **البيان والتبين**، ج 1، ص 10

[4] المصدر نفسه، ج 1، ص 77

ومن القدماء الذين تحدثوا في هذا السياق أبو هلال العسكري الذي أشار إلى الدلالة بقوله: " ما يمكن الاستدلال به، وهو طلب الشيء من جهة غيره، والدلالة على الشيء ما يمكن كل ناظر فيها أن يستدل بها"[1]، فوضوح الدلالة وبساطتها عند العسكري هي الأساس لحدوث الفهم والوصول إلى المعنى، ولوضوح المدلول الذي يحمله هذا الدال، حيث تتوفر هناك اشارات تدور في فلك النص ؛ ليكشف ما فيه من أبعاد ومعانٍ ودلالات جمالية.

أما ابن جني فقد أبرز كذلك أهمية المعنى للوصول إلى الافهام وقال في هذا السياق " أن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وترعاها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة، وبالخطب أخرى، والأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها، فإن المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها وأفخم قدرا في نفوسهم"[2]، أي أنه ركز على المدلول وقدمه على الدال، وأهتم بالمعنى، وبين أهميته، وعنده أن المعنى هو الذي يوقع الأثر في النفس أكثر من اللفظ.

فابن جني يرى أن " الدلالة على القصد"[3] هي أكرم غايات اللغة وأقوى أهدافها، وذكر أنواعاً من الدلالات وبين الفرق بينها، منها الدلالة اللفظية والمعنوية.

ومن القدماء الذين تحدثوا عن الدلالة عبد القاهر الجرجاني عن ما عرف " بنظرية النظم " الذي أهتم فيه بالعلاقات القائمة داخل النص وبين أهمية ترابطها وكشف بذلك أن قوة السياق تعود إلى قوة العلاقة بين الدال والمدلول " فقد اهتم بدراسة المعاني، وهو يرى أن مدار البلاغة أو الجمال ليس في اللفظ أو في المعنى، وإنما مدارها في العلاقة القائمة بين الألفاظ، وبين تلك الألفاظ والمعاني"[4]. وقال في ذلك " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[5].

---

[1] العسكري، أبو هلال: **كتاب الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1982 م، ص 61.

[2] ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، ج 1، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت: دار الكتاب العربي، ط 21، 1952م، ص 215 – 216

[3] المصدر نفسه، ج 1، ص 221

[4] اسماعيل، طالب محمد: **مقدمة لدراسة علم الدلالة – في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري** – ص 27

[5] الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي – مطبعة المدني، ص 95

فالدال والمدلول هما محور اهتمام القدماء، والدال الذي يشير إلى اللفظ وهي الكلمـــة، والمكونة من عدد من الأصوات وما تشير إليه صفات حروفها المختلفة من جهـــر وهمـــس ونبر، وما تحمله هذه الأصوات من أبعاد دلالية مختلفة يحملها المدلول من خـــلال المعنـــى، فإيضاح المعنى هو الأساس في عملية الفهم ويعتمد ذلك على البساطة والوضوح، ووجود مـــا يدل على هذا المعنى في السياق، وإيصال المعنى بشكل مباشر، كما لعب الاهتمام بالعلاقـــات داخل الألفاظ والمعاني دوراً هاماً في وضوح الدلالة وحسن ايصالها.

فالدال والمدلول يشكلان أهمية خاصة في نظر القدماء ؛ لأن المدلول هو الذي يحمـــل المعنى ويفسره بناء على ما رسم في الذاكرة من صورة ذهنية بشيء ما، كما أن المدلول هو محور الإفهام، ومن القدماء من بين أهمية التقاء الدال بالمدلول وانسجامهما وتناسقهما وهـــذا التناسق هو الذي يقدم الفكرة بصورتها الجلية الواضحة.

أما المحدثون فقد أسهبوا في حديثهم حول الدلالة، وربطوا بين الدال المادي والمدلول المعنوي في المدرك العقلي، فقالوا: " تتألف الإشارة اللغوية من الدال وهو الصورة الصـــوتية والمدلول وهو الفكرة، فالأصوات التي نطلقها وأشياء العالم التـــي نتحـــدث عنهـــا مرتبطـــة بالمفاهيم العقلية"[1].

ومنهم من عدَ أن " أداة الدلالة هي اللفظ وهي عملية النطق، وكيفية صدور الصوت، وربط هذه الاصوات يُكون الكلمة، فالكلمة أخص لأنها لفظ دل على معنى، وهي بذلك تقـــوم على أساسين اللفظ والمعنى"[2].

فمفهوم الدلالة الحديث بذلك وكما تحدث عنه سوسير هي علاقة تربط الدال بالمدلول، ومن خواص هذه العلاقة أن يكون بين الدال والمدلول كمال الاتصال، وأن أحدهما يقتضـــي

---

[1] دي سوسير، فرديناند : **فصول في علم اللغة العام**، ترجمة: أحمـــد نعـــيم الكرانـــي، الإســـكندرية: دار المعـــارف الجامعية.، 1985 م، ص 99

[2] أنيس، إبراهيم: **دلالة الألفاظ**، ص 38

الاخر، فلا يكون الدال دالا حتى يكون له مدلول، ولا يتسنى الكلام على المدلول حتى يكون له دال إذ هو لا يوجد خارج العلاقة التي تربطه بالدال[1].

فالدلالة إذا تتكون من مجموعة من العناصر وهي: اللفظ ومكوناته من الأصوات وما تحمله هذه الأصوات من صفات وخصائص، ثم هناك ما يشير إلى طبيعة هذا اللفظ من خلال السياق، أما الصورة التي تنطبع في الذهن فهي انعكاس للفظ حين نسمع هذه الكلمة.

والعلاقة بذلك بين "الدال" اللفظ ومدلوله هي علاقة قوية: " فاللفظ هو السبب الطبيعي للفهم والإدراك، فلا تؤدى الدلالة إلا به، ولا تخطر الصورة في الذهن إلا حين النطق بلفظ معين"[2].

وتتحكم السياقات اللغوية في طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، فتتعدد أنواع الدلالات التي تحملها الألفاظ، فهناك دلالة السياق، والسياق هو الذي يحدد دلالة الكلمة بدقة، والدلالة الاجتماعية أو المجتمعية، والدلالة المجازية، وهي من أكثر وسائل التطور الدلالية لمفردات اللغة، أما الدلالة الرمزية: وهي وسيلة من وسائل التوالد اللغوي[3].

ومن المحدثين من رواد النقد البنيوي من رأى " أن كل قول هو رمز يتكون من دال ومدلول، وأن الدال يشكل التعبير والمدلول يشكل المضمون، وبما أن الأدب نظام معقد من المعنى، فإن الدال فيه التعبير يتكون من نظام دال على اللغة، وكما أن للمضمون مادة وشكلا فإن للدال " التعبير " مادة وشكلا، ومادة التعبير هي الأصوات والألفاظ وشكله هو قواعد النحو والصرف، ومادة المضمون هي الإيحاءات العاطفية الانفعالية والفكرية وجوانب المعاني الإضافية الكامنة في المدلول، وشكله هو التنظيم الشكلي للمدلولات"[4].

---

[1] لوشن، نور الهدى: **علم الدلالة – دراسة تطبيقية**، الإسكندرية: المكتبة الجامعية الحديثة، 2006 م، ص 27

[2] أنيس، ابراهيم: **دلالة الألفاظ**، ص 62

[3] ينظر، نهر، هادي: **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، ص 35 – 45

[4] بارت، رولان: **الكتابة في درجة الصفر**، ترجمة: نعيم الحمصي، دمشق: وزارة الثقافة، 1970 م، ص 31

إن الدال والمدلول والدلالة والعلامة من المفاهيم الأساسية عند اللسانين، كما أن اللغة مجموعة علاقات، والعلاقة ما يدرك بالحس، " فالدال هو العلاقة اللسانية وهو مفهوم مركب من مظهر حسي فيزيائي تدركه العين كتابة وتدركه السماع " ملفوظا "، أما المدلول فهو منظر مجرد هو المتصور الذهني الذي يدلنا عليه ذلك الدال، والذي بحصوله، نقول اننا "فهمنا" الدال، أما الدلالة: هي العملية التي يعترف فيها الدال بالمدلول في اذهاننا والمرجع وهو الصورة الموجودة فعلا للشيء"[1].

فأداة الدلالة هي اللفظ، وهي التي تشكل مع المعنى وحدة واحدة للوصول إلى فهم النص "فلا دلالة للرمز اللغوي من غير أن يكون قادراً على حمل المعنى، فالدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى"[2].

وعليه يمكن النظر إلى الكلمة باعتبارها " محصلة توزيعية بنائية يتعدد المعنى فيها من خلال استعمالها، وانتظامها وسياقها، وعلاقتها بكلمات أخرى داخل التركيب المعين أو ما يسمى بالسياق اللغوي، وفي العلاقة بين الدال والمدلول تعدد الآراء فمن أولئك من رأى " أن لكل لفظ من ألفاظ أية لغة له ما يدل على معنى"[3].

2.1 الدال والمدلول في المستويين البلاغي والنقدي

ارتبطت الدلالة بالبلاغة حين اهتم علم البلاغة بالدراسات التي تتعلق بالدلالة، بعد دخول المستوى الدلالي ضمن الدراسات البلاغية، فقد أثرت البلاغة بأقسامها المختلفة في علم الدلالة حين فسرت تغيرات المعنى لغوياً اعتماداً على مفاهيم بلاغية كالمجاز، ومن هنا جاء اهتم البلاغة بالمستويات المختلفة للغة، كما أهتم الدرس اللساني بما كتبه البلاغيون حول أنواع مختلفة من الدلالة، وعليه فقد أثرت البلاغة في الدلالة بشكل أو بآخر[4].

---

[1] المسدي، عبد السلام: **الأسلوبية والأسلوب**، ط 5، بيروت: دار الكتاب الجديد، 2006 م، ص 118

[2] الأصفهاني، الراغب: **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، تحقيق صفوان عدنان دواوي، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، 1412 ه، ص 171.

[3] نهر، هادي: **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، ص 12 – 13

[4] ينظر، المطار، عبد العزيز: ***المصطلح البلاغي في علم الدلالة***، **مجلة كلية الآداب**، جامع ابن طفيل، ع 10، ص 97

وهذا ما يفسر قدرة البلاغة على تغطية مستويات لغوية مختلفة في العمل الأدبي وداخل النص، حيث أن النص مكون من دال ومدلول فبرزت ظواهر بلاغية ضمن اطار علم الدلالة وخاصة ما يتعلق منها بالمعنى.

لقد أثرت المصطلحات البلاغية في الدراسات الدلالية " حيث أن الدرس البلاغي اهتم بدراسته مستويات اللغة المتعدد المختلفة منها: المستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي"[1].

ومن هنا جاء اهتمام البلاغيين القدماء بالمستويات اللغوية المختلفة " خاصة الدلالية منها والتركيبية والأسلوبية والنصية، وسعى بعضهم إلى الربط بين المنهجين البلاغي واللساني"[2]. لما تحمله البلاغة من أثر على العمل الأدبي والذي يعتمد أساسا على الألفاظ وما تكونه من تراكيب تشكل العمل الإبداعي برمته.

فكلمات اللغة متداخلة وجمله داخل النص فيها تشابك أدبي، يساهم في إعطاء أبعاد أخرى للنص، ويعطي مدلولات أوسع للعمل الأدبي، وإبراز جمالية النص وكل ذلك يتم عبر فنون البلاغة المختلفة، وانعكاس ذلك على دراسة المستويات المختلفة للنقد الأدبي.

لقد ارتبطت الدلالة بالبلاغة من خلال مفاهيم ومصطلحات عديدة، وفُسرت الدلالة وفقاً لأسس بلاغية حيث " استمد الدلاليون ما كان لدى البلاغيين منذ أرسطو، وفسروا تغيرات المعنى لغويا ارتكازا على مفاهيم كالمجاز والاستعارة "[3].

وعليه تعد الدلالة جزءاً من الدراساتِ البلاغية والنقدية وقسماً من أقسامها " فعلى هذا قسمت البلاغة القديمة مجال دراستها إلى أقسام هي: الأداء (لفظي)، والإنشاء (تركيبي)، والابتداع (دلالي)" [4].

---

[1] المطار، عبد العزيز: **المصطلح البلاغي في علم الدلالة**، ص 95

[2] المرجع نفسه، ص 95

[3] الكروبي، عبد الرحمن: **السرد ومناهج النقد الحديث**، القاهرة: مكتبة الآداب، 2004 م، ص 91

[4] لوشن، نور الهدى: **علم الدلالة – دراسة تطبيقية**، ص 63

ومن أقسام البلاغة التي ارتبطت بالدلالة علم المعاني هو جزء من البلاغة فقد ارتبط بالدلالة في اهتمام كليهما بالمعنى فمن " خلال أقسام البلاغة الرئيسة تتضح لنا العلاقة الوطيدة بين علم المعنى، وعلم المعاني، فإذا كانت الدلالة تبحث في علم المعنى فإن البلاغة مجالها المعاني"[1].

ومن أنواع البلاغة التي لها علاقة بعلم الدلالة أيضاً علم البيان، وهو أحد أقسام البلاغة التي ربط السكاكي بينها وبين الدلالة بقوله " على أنه معرفة إيراد المعنى الواحد في طرائق مختلفة، للزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد"[2]، "وهذا يعني انتقاء الكلمات ومراعاة حال المعنى"[3].

فعلم البيان بذلك مرتبط بالكشف والايضاح عن المعنى وجوانبه المختلفة وهذا ما يهتم به علم الدلالة، واندرجت جل علوم البيان بعلاقة مع علم الدلالة، حين قدمت تعدد وتنوع للدال وما يحمله من مدلولات كثيرة.

أما عن علاقة التشبيه والمجاز بالدلالة فهو مرتبط بها كسائر علوم البلاغة لأن، " التشبيه يعد كشفا وإيضاحا دلاليا لما خفي من المعنى، ولتوضيح المفاهيم المعنوية والقيم الروحية، وتصوير القيم المعنوية بدلالات حسية كأننا نتلمسها "[4].

والتشبيه بوصفه مظهرا من مظاهر البلاغة، يضيف الكثير للدلالة لكونه يوضح المعنى، ويكشف أعماق الدلالة وأبعادها كما يساهم التشبيه في توسيع الدلالة، لأنه يسمح باشتراك صفة أو أكثر في شيء واحد، ويقدم للأديب آفاق واسعة للإبداع، ويفتح المجال للصور الفنية مما يكسب النص جماليات خاصة، تسهم في اثراء العمل الأدبي، من خلال تجسيد اللفظ وإكسابه أبعاداً ودلالاتٍ ومعانيَ جديدة .

---

[1] اسماعيل، طالب محمد: **مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري**، ص 61

[2] السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي: **مفتاح العلوم**، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000 م، ص 24.

[3] اسماعيل، طالب محمد: **مقدمة لدراسة علم الدلالة**، ص 65

[4] المرجع نفسه، ص 65

وهناك مصطلحات بلاغية كالمجاز ارتبطت بالدلالة وساهمت في تقديم أبعاد أخرى لها، حيث شاركت في تطوير علم الدلالة وإضافة مصطلحات دلالية جديدة كتعميم الدلالة أي تحويلها من الخاص إلى العام وتخصيصها أو وتضيقها وهو الانتقال باللفظ من العام إلى الخاص[1].

ففي كثير من المواضع يقع المجاز " لتقوية الدلالة ولتحقيق رمزية دلالية يقتضيها السياق المتضمن ألفاظا مرتبطة بمقاييس بلاغية تخدم الدلالة المرجوة "[2]. فمن الملاحظ هنا أهمية الدور الذي يمثله المجاز في الدراسات الدلالية، ثم تأثيره في الاتجاهات النقدية للأدب.

وتلعب الإستعارة كما المجاز دورا في إثراء الدلالة فالاستعارة تكون " باستخدام للفظة في غير معناها الأصلي والاستعارة تساهم في إضافة الكثير من الجمال إلى النص"[3]، كم أنها " تعطي الكلمات دلالات جديدة ليست بدلالتها الحقيقية وفي الاستعارة انتقلت العبارة من معنى إلى آخر"[4].

وعليه فعلوم البلاغة المختلفة التي ذكرها القدماء ارتبطت بالدلالة، لاهتمام البلاغة بدراسة الألفاظ ووضوحها وابراز دلالاتها، لأن انجلاء الدلالة وبساطتها هي الأساس عند القدماء، للوصول للغاية.

والعلاقة بين البلاغة والدلالة علاقة تكاملية " لأن البلاغة تقدم الآلة أو المادة أو الوسيلة التي تعين دارس الدلالة على كشف المستويات المتعددة لمعنى النص الواحد"[5]، فوضوح الدلالة والكشف عن معانيها المختلفة مرتبط بالبلاغة ؛ لكونها الأداة التي تسهم في الإفصاح عن المعاني المختلفة .

[1] ينظر، المطار: عبد العزيز: **المصطلح البلاغي في علم الدلالة**، ص 102

[2] اسماعيل، طالب محمد: **مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري**، ص 66

[3] أبو حاقة، أحمد : **البلاغة والتحليل الأدبي**، بيروت: دار العلم للملايين، ط 2، 1996 م، ص 149 – ص 150

[4] اسماعيل، طالب محمد: **مقدمة لدراسة علم الدلالة**، ص 66

[5] اسماعيل، طالب محمد: **مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري**، ص 61.

إن الوصول إلى المعنى الواضح الكامل يتم من خلال اللفظ أو الدال الجيد، فاللفظ هو الذي يعبر عن الوجدان وما يدور في خاطر النفس من خلجات وما يختزنه العقل من أفكار ، وتقدم الصورة الجمالية من خلاله، فإذا أُحسن اختيار الألفاظ وصلت إلى هدفها المنشود.

وبناء على فكرة سليمة يُعبر عنها بلفظ ثم تركيب تستطيع من خلالها الوصول إلى الإبداع وتقديم نقد بناء، واهتمام البلاغة بدراسة اللفظ والمعنى على السواء وهما ركنا الدلالة، وهذا ما يربط الدراسات البلاغية بالدراسات النقدية من جانب وبالدراسات الدلالية من جانب آخر.

3.1 الدلالة وعلاقتها بالعمل الروائي

اللغة أي لغة هي وسيلة من وسائل الاتصال والتواصل داخل المجتمع، هناك اللغة العادية والمتمثلة في لغة التخاطب بين الناس، وهدفها إيجاد التواصل ونقل الأفكار والمنافع والمصالح بين الأفراد، أما اللغة الأخرى فهي اللغة الأدبية، وهي تتجاوز دائرة التواصل بين الناس، إلى مستويات فكرية مختلفة لتصل إلى أهدافها.

فلغة الأديب هي لغة متميزة، هو لا يستخدم لغة عادية مباشرة، وذلك لإيقاع نوع من التأثير على المتلقي، وهي لغة قد لا يوجد فيها تطابق بين الدال والمدلول، بهدف اعطاء دلالات ورموز أخرى يتم التوصل لها من خلال النص الأدبي.

وتبرز هذه اللغة الأدبية حين يتم سكب هذه اللغة في وعاء الأدب، حيث يحدث فيه التفاعل بين النص الأدبي، والمبدع وصولا إلى ذهن المتلقي، الذي يبحث في الدلالات المتناثرة داخل السياق النصي لإثبات القيمة الجمالية داخل النص، ويختلف فهم الدلالات بين المبدع والمتلقي ؛ " لأن لكل من القارئ والمبدع لغته، وبهذا المعنى نتعرف على بنية الكلمة، إذ إنها لا تتغير إذا اقتضى التكوين الصوري ذلك، واحتاجت الرموز إلى توضيح دلالتها على التأويل وهذا يؤدي إلى الإمساك بالمعنى المطلوب"[1].

---

[1] محمد، محي الدين: **اللغة العربية بين الدال والمدلول، الموقف الأدبي**، مج 43، عدد 513، 2014 م، ص 22

والعلاقة وثيقة بين الدلالة والعمل الأدبي ؛ لأن العمل الأدبي " مكون من دال ومدلول، ولا مجال للفصل بينهما أو لبحث أحد الجانبين دون الآخر ؛ من حيث أن أولهما مفض للآخر"[1]. والدال والمدلول هما ركنا العمل الإبداعي والأساس الذي يقوم عليه أي عمل أدبي للوصول إلى المتلقي، ويبرز إمكانات النص وأبعاده وما يحمله من معانٍ.

والدلالية التي تتجسد في الدال والمدلول هي ركن هام من أركان العمل الأدبي، والذي لن يتم الفهم إلا بهما، فالدال هو اللفظ وهو أساس بناء العمل الأدبي، والمدلول هو المعنى الذي تحمله الألفاظ بين طياتها والتي بدورها تعطي دلالات مختلفة للفظ مما يساهم في إثراء العمل الأدبي وغناه.

وتظهر أهمية الدلالة في كونها، تتركز في البحث داخل الألفاظ أو العلامات مع العناية بدلالتها أو معانيها، فالنص لا يمكن فهمه إلا من خلال المعنى أو الدلالة، وهو يكتسب كل دلالته من خلال العلاقات داخل النص الأدبي.

وترتبط الدلالة باللغة والتي ترتبط بدورها بالبيئة المحيطة بالفرد وبالنظر إلى " أن اللغة ظاهرة اجتماعية وهي شديدة الارتباط بثقافة الشعب التي يتملكها، وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلا منها مقاما "[2]، فالمقام هنا هو الذي يحدد المقال، بمعنى أن تفسير الدلالة ومكوناتها من دال ومدلول تختلف حسب البيئة التي يعيش وسطها المبدع والمتلقي على السواء، وتفسير الدلالة فيها ترجع بحسب الخطاب الروائي للكاتب وفهم المتلقي له، والتي قد يتقاطع فيها الفهم بين الأديب والمتلقي، أو يختلف فيها الفهم فيكسب الدلالة أبعاداً أوسع.

يرتبط العمل الأدبي بالدلالة وتمثلها اللغة وتتميز اللغة من خلال تحديد اللفظ ليشير إلى معنى محدد ليتم من خلاله الفهم لأن " تخصيص اللفظ بمعنى معين يصبح له بمثابة

---

[1] سليمان، فتح الله أحمد: **الأسلوبية – مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، عمان: الدار الفنية، ص 28.

[2] حسان، تمام: **اللغة العربية معناها ومبناها**، ط 5، اربد: عالم الكتب، 2006 م، ص 37.

العلامة متى طرقت السمع أثارت في الذهن دلالة معينة يشترك في فهمها أفراد البيئة اللغوية "[1]، فتصبح الدلالة ذات مفهوم عام بين الأفراد، وقد تحمل هذه الدلالة مضامين ومعاني مختلفة تفسر العمل الأدبي، وتمكن من فهم النص.

وتختلف أساليب التعبير بين الأفراد باختلاف مواقعهم " وكما أن الناس يختلفون في ميولهم وثقافتهم وطريقة تفكيرهم وتصورهم للأشياء كذلك تختلف أساليبهم ، لأنها تعكس ثقافتهم وتصورهم للأشياء وقدرتهم على التعبير"[2] فلكل منا طريقته وأسلوبه في التعبير كل بحسب موقعه وثقافته، وللأديب لغته التي تختلف عن اللغة العادية، ويحمل لغته على عدول يختلف عما هو في الواقع المعاش.

لأن مفهوم الكتابة الأدبية مرتفع عما هو في الواقع لينقل الحدث الواقع بصورة خاصة " وهذه الصورة هي صورة مفهوميه تعادل معاني من موقع رؤية الكاتب لها، وكذلك ضمن علاقات أخرى، تختلف عن الواقع نفسه، فالمعاني هي صور تنزاح عن الواقع الذي يمثل مرجعا يتعامل معه الكاتب "[3] فلكل أديب أسلوبه الذي يعرض من خلاله فكره وقضيته التي يحاول ايصالها للمتلقي من خلال زاوية الرؤية التي تختلف وفقا لرؤية الأديب وتصوره.

والوسيلة في التعبير الأدبي تتم من خلال الألفاظ وفي قدرة الكاتب على توظيف هذه الألفاظ بشكل فني، وما تحمله هذه الألفاظ من مدلولات مختلفة، يعبر كل كاتب بها عن فكرته حسب تجربته الإبداعية، وما يريد إيصاله للمتلقي، والذي بدوره يستقرئ ويحلل هذه الدلالات وفق ثقافته وبيئته، حيث تختلف رؤية الكاتب الأدبية عن رؤية المتلقي.

العمل الإبداعي الأدبي له خصوصيته في نقل الواقع بأسلوب أدبي خاص، يختلف في تعبيره وألفاظه، فالمستوى الأدبي التعبيري وما يظهر فيه من عدول يشكل عالم الكتابة

---

[1] أنيس، إبراهيم: **علم الدلالة**، ط 3، القاهرة: مكتبة الأنجلو، 1967 م، ص 51

[2] لوشن، نور الهدى: **علم الدلالة دراسة تطبيقية**، ص 215

[3] العيد، يمنى: **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، ط 3، بيروت: دار الفارابي، 2010 م، ص 27–28.

الأدبية، حيث يقع اختلاف بين مستوى ما هو واقع وموجود على الأرض، وبين ما يعبر عنه أدبيا، ولكن الصلة بينها تبقى قائمة.

إن مفهوم المدلول في العمل الروائي يختلف من متلق إلى آخر، فالدلالة يُختلفُ في تفسيرها وفهمها عند المتلقي تبعا لثقافته ومرجعياته المختلفة، بالرغم من أن الدال أو اللفظ واحد، ولكنه يحمل مدلولات مختلفة عند المبدع (الكاتب)، وحتى عند القارئ (المتلقي) نفسه، لأننا نتفاعل مع النص من حيث هو بنيه كلامية مكونة من دال ومدلول، فنحن نتعامل مع الدال وهو اللفظ الذي يحيلنا إلى مدلول أو معنى وتختلف المدلولات في علاقتها بالمرجع وهو الموجود المادي على الأرض والذي يختلف في صورته وشكله من متلقٍ إلى آخر[1].

4.1 الرواية الفلسطينية بين الماضي والحاضر

العمل الأدبي هو أداة من أدوات الإنتاج المعرفي، والرواية هي فن من الفنون الأدبية، هي النتاج الإبداعي للمجتمع، يعبر من خلالها عن تجربته الثقافية، ويبرز هويته الوطنية والقومية، ويحافظ على شخصيته الإبداعية، ويجسد قضيته بكل أبعادها.

وهذا ما حاولت الرواية الفلسطينية ابرازه، فقد دارت العديد من الدراسات حول بداية ظهور أولى الروايات في فلسطين و" ثمة اشارات تؤكد ظهورها في القرن الماضي [2]" كما اشارت بعض المصادر التاريخية والأدبية إلى " إن الشيخ أحمد التميمي من الخليل، هو أول من أبرز رواية بالعربية وسماها (أم حكيم)" [3].

لقد كانت هذه المحاولات الأدبية دلالات على بداية ظهور الرواية الفلسطينية، ولكن جذور المحاولة الأولى كانت مع رواية " الوارث" لخليل بيدس والتي صدرت عام 1920م

---

[1] ينظر، العيد، يمنى: **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، ص 23

[2] وادي، فاروق: ***مدخل تاريخي للرواية الفلسطينية***، **شؤون فلسطينية**، ع 110، 1981 م، ص 120

[3] فرهود، كمال قاسم: **أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**، ج 2، شفا عمرو: مطبعة دار المشرق للترجمة والنشر، ص 4

وهي أولى الروايات التي ظهرت في فلسطين، وكانت أول محاولة روائية [1]. ثم ظهرت بعد ذلك العديد من الروايات، والتي اختلفت في موضوعاتها وفي طريقة معالجة الأديب لهذه الموضوعات، التي كان فيها الأديب مقلا في انتاجه الأدبي قبل النكبة وزاد من إنتاجه بفعل النكسة، حين توجه العديد من الأدباء إلى الرواية، بل تحول عديد الشعراء إلى الكتابة الروائية.

بدأ تكون الأدب الفلسطيني اجتماعيا وسياسيا، بناء على الفهم الثقافي الشامل للقضية الفلسطينية المعاشة حلماً وواقعاً، وهي الأرض والتراث والهوية والوطن، ولم تكن الرواية الفلسطينية بعيدة عن التأثر بالأحداث التي يمر بها الوطن الأم بكل آلامه وهمومه، فالرواية هي تصوير للواقع السياسي والاجتماعي والثقافي والديني الذي يعيشه المجتمع، حين تقدم الرواية هذا الواقع في قالب فني أدبي ولغة خاصة، تصل للقارئ فيتفاعل معها ويعايشها بتفاصيلها.

وعليه فقد كان ظهر الرواية الفلسطينية ضمن ظروف سياسية واجتماعية وثقافية خاصة، تختلف عن غيرها من الدول العربية المجاورة، ويعود ذلك الى طبيعة فلسطين وأوضاعها السياسية وما مرت به من أحداث، بداية من الحكم العثماني ثم الانتداب البريطاني وصولا للاحتلال الصهيوني لفلسطين العام 1948 م، والعام 1967م.

ولفهم طبيعة الظروف التي مرت بها الرواية الفلسطينية منذ بدايتها لا بد من الاطلاع على المصادر التي أثرت في الرواية الفلسطينية من جانب وتأثرت بها الرواية الفلسطينية من جانب آخر وتمثلت في:

- المجلات والصحف الثقافية التي ظهرت في لبنان ومصر.

[1] ينظر، وادي، فاروق: **مدخل تاريخي للرواية الفلسطينية**، ص 122

- المدارس التبشيرية التي انتشرت في مدن فلسطين، مما ساهم في الاتصال المباشر بالثقافة الاجنبية وخاصة المدارس الروسية، والتي كانت الاكثر انتشارا وتأثيرا [1].

كانت أغلب الجهود الروائية في فلسطين قبل عام 1948 كانت في أغلبها موجهة نحو الترجمة عن الروسية بوجه خاص، فقد أصدر خليل بيدس مجلة متخصصة في النصوص الروائية والقصصية حين ظهرت مجلة "النفائس " بين العام 1908 م حتى العام 1923 م، أما الأعمال الروائية التي أُولفت فقد كانت غير مستوعبة للأطر الفنية الخاصة بالفن الروائي، ولم يبرز فن روائي حقيقي بعناصر عمل روائي أدبية تناول واقع القضية الفلسطينية وما تعايشه من أحداث سياسية وتغيرات اجتماعية وثقافية تركت تأثيرها على الإنسان الفلسطيني خلال تلك الفترة، ولم تكن هذه المحاولات إلا بداية لظهور فن روائي تبلور بعد ذلك، لأن أغلب الجهود الأدبية في تلك قد انصرفت حتى العام 1950 م على الترجمة، في حين أن ما كان يمر به الوطن فلسطين لم يجد صدى له في الرواية الفلسطينية قبل ذلك التاريخ .[2]

وكانت الروايات التي كتبها هؤلاء الأدباء حتى تلك الفترة أي قبل العام 1950 م، قد عالجت، قضايا اجتماعية أكثر من القضايا السياسية، ويبدو أن هؤلاء الأدباء كانوا معزولين عن واقعهم بعيدين عن هموم شعبهم[3].

كما انصب اهتمام الأدباء في فلسطين على الشعر أكثر من تركيزهم على الرواية حيث " شهدت هذه الفترة تراجعا في المسيرة الروائية مقابل المد الشعري الذي طغى على الساحة الأدبية، بالإضافة إلى انتشار القصة القصيرة "[4]، ولذلك كانت المحاولات الروائية في بدايتها متواضعة في الأدب الفلسطيني، ولكن الفترات اللاحقة شهدت حضورا ملفتا للرواية، وتحول العديد من الشعراء إلى العمل الروائي.

---

[1] الأسد، ناصر الدين: **محاضرات عن خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين**، القاهرة : جامعة الدول العربية ، 1963 م ، ص 9 – ص 11.

[2] ينظر، أبو مطر، أحمد عطية: **الرواية في الأدب الفلسطيني من عام 1950م–1980م**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م، ص 52.

[3] ينظر، وادي، فاروق: **مدخل تاريخي للرواية الفلسطينية**، ص 129 – 130

[4] القاسم، نبيه: **دراسات في القصة المحلية القصيرة**، عكا: مؤسسة دار الأسوار، 1979 م، ص 67

إن الفترة الزمنية في حياة الرواية الفلسطينية بعد عام 1967 م والتي " شهدت وجود الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة مما خلق ظروفا استثنائية للإنسان الفلسطيني في مختلف المجالات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأدبية، والفكرية، وقد اختلفت هذه الظروف نوعا ما عن تلك التي عايشها الإنسان الفلسطيني في فلسطين عام 1948م."[1] وقد أثرت هذه الظروف بشكل أو بآخر على الرواية، واختلفت المواضيع التي تناولها الأدباء في رواياتهم، تبعا لتغير هذه الظروف، وإن بقيت القضية الفلسطينية وما يتعلق بها هي محور هذه الروايات.

ومع تصاعد الانتاج الروائي بعد العام 1967 م، تنوع حضور القدس في هذه الروايات، ما بين ظهورها كمركز للأحداث، أو حضورها ضمن أحداث الرواية ولكن بقي حضورها لافتا، وأصبحت القدس فضاءً للعديد من الروايات، وإن اختلفت المعالجة الروائية فيها من كاتب لآخر، فقد أضاء كل كاتب من خلال روايته على جانب مختلف من حياة المدينة وتاريخها.

لقد كان للأوضاع التي مرت بها فلسطين كبير الأثر على الحياة الأدبية عامة وعلى الرواية بشكل خاص لأنه "أمام قسوة الواقع الجديد التي فرضت نفسها على الانسان الفلسطيني، حيث وجد نفسه حائرا حول كيفية مواجهة الواقع الجديد، والتعامل معه، فليس غريب أن نرى صمتا واضحا في الحياة الأدبية، وخاصة في مجال الإبداع الروائي"[2].

وظهر بعد العام 1950 م مجموعة من الروايات، التي أثرت في الحياة الأدبية في فلسطين، وقد تميزت روايات هذه الفترة وحتى فيما كتب بعد ذلك بالطابع الوطني، بخاصة بعد نكبة عام 1948م، حيث صورت جوانب من النكبة، وتطورات القضية الفلسطينية، وقد حدث تقدم كبير للرواية على صعيد الشكل الروائي عندما استطاعت الرواية الفلسطينية تقديم أعمال روائية، أصبحت الآن من العلامات البارزة في مسيرة الرواية العربية، وبالذات أعمال:

---

[1] البيطاوي، يوسف ذياب: **الرواية الفلسطينية في الضفة وقطاع غزة من 1967 – 1993**، رام الله: منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، 2009 م، ص 6

[2] المصدر نفسه، ص 17

غسان كنفاني، وجبرا ابراهيم جبرا، واميل حبيبي، أما المضمون فقد تناول الظواهر الجديدة في المجتمع الفلسطيني في مرحلة نهوض ثوري حيث ظهرت صورة البطل الثوري، وشهدت انعكاس الواقع العربي، وبرزت الشخصية اليهودية حين قدمت هذه الشخصية بصور مختلفة[1].

ومع بداية الانتفاضة عام 1987 م تأثرت الرواية الفلسطينية بالواقع السياسي والوطني الجديد من حيث الطابع الثوري النضالي وروح المقاومة الفلسطينية من مظاهرات وملاحقات واعتقالات وتدمير للمنازل شمل ذلك مختلف الطبقات الاجتماعية في المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، وبرزت مفردات ورموز جديدة في الرواية جسدت الواقع الفلسطيني.

ثم كان تحول في الخطاب الروائي الفلسطيني بعد إبرام اتفاق اوسلو عام 1993 م، هذا التغير الناجم عن التحول الصارخ في مسار القضية الفلسطينية، بعد توقيع القيادة الفلسطينية لاتفاق اوسلو مع إسرائيل، ذلك أن الأدب مرآة الحياة العاكسة لمنظور الأديب والمثقف الملتزم بقضيته وواقع مجتمعه وحياة الناس، فالنصوص الرواية أصبحت تؤرخ للفكر الأدبي الفلسطيني المواكب للقضية الفلسطينية وتحولاته العديدة، فمنهم من رفض اوسلو، ومنهم من خالفه وانتقده بشدة، ومنهم من تجنب الخوض في المسار الجديد، ومنهم من خاضه على استحياء، ومنهم من جاراه دون أن يطريه[2].

فعلى مراحلها المختلفة " لعبت الرواية الفلسطينية دوراً محورياً في حماية التقاليد والتراث الفلسطينية، وغرس احترام القيم الوطنية والمعرفة بالتاريخ الفلسطيني، فكانت حاضنة الوجدان القومي، وحافظة التاريخ الفلسطيني في مواجهة الزحف الصهيوني الذي عمد الى طمس كل ما يمس فلسطين"[3].

---

[1] ينظر، أبو مطر، أحمد عطية: **الرواية في الأدب الفلسطيني من عام 1950 – 1980**، ص 390 وص 932

[2] ينظر، العواودة، زين العابدين: **البنية الدلالية لخطاب السيرة الروائية الفلسطينية المنجز بعد أوسلو – سردية " رأيت رام الله " و" ولدت هناك ولدت هنا " للأديب مريد البرغوثي نموذجا**، الخليل: منشورات جامعة الخليل، 2011 م، ص 49– 51

[3] خواجة، علي حسن: **القدس في الرواية الفلسطينية بعد اوسلو – نماذج مختارة**، الخليل: منشورات جامعة الخليل ومؤسسة قطان، 2010 م، ص 27

وفي خضم هذا الكم الروائي الذي أطل في الساحة الأدبية، بعد توجه العديد من الأدباء نحو الرواية، ومع اختلاف الموضوعات التي تناولتها الرواية الفلسطينية، مثلت القدس جانبا مهما من هذا الحضور الروائي، فعلى مدار تاريخ الرواية الفلسطينية كان للقدس حضورٌ مميز فيها، ظهرت في كتابات الأدباء الفلسطينيين، نظرا لكونها العاصمة التي حملت آمالهم وأحلامهم، عاشوا فيها يحملون ألم الهزيمة ومرارة الاحتلال، أو عاشوا خارجها في الغربة فحملوا معهم أجمل الذكريات وأحلام العودة التي لا تفارقهم.

وبما أن الرواية هي تعبير عن الإحساس والواقع بكل تجلياته وأبعاده " فحملت بذلك أحاسيس الإنسان العربي وانفعالاته وانشغالاته بقضاياه اليومية والمصيرية في مجالات السياسة والاجتماع، بكل ذلك حققت الرواية ارتباطا عميقا بمعاناة الإنسان ومكابداته وتطلعاته وهي تتجسد من خلال علاقاته بالسلطات المختلفة التي تكبل طاقاته وتتكالب عليه وتشل تطلعاته إلى تحقيق الحياة الفضلى[1]"، وهذا ما عاناه الإنسان الفلسطيني، وحاول تصويره من خلال أدبه.

فقام الأديب الفلسطيني من خلال رواياته إبراز القدس بكل قضاياها، وتفاصيل حياة سكانها اليومية، ومعاناتهم في وجه الاحتلال، بل والدخول إلى أعماق نفوس أهلها ووصف مشاعرهم وأحاسيسهم، وسبر أغوار حياتهم الاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية والتاريخية بتفاصيلها وأحداثها خلال فترات زمنية مختلفة من تاريخ المدينة، لتعكس جانباً مهماً من تاريخ قضية وحياة شعب.

5.1 القدس في المشهد الروائي الفلسطيني

القدس هي الأرض والوطن وحضورها دائم في كل فن وأدب شعرا ونثرا، هي مدينة القداسة والجمال والتاريخ، هي المكان الذي وإن لم يعش فيه الفلسطيني لغربته داخل وطنه

---

[1] يقطين ، سعيد: **قضايا الرواية العربية الجديدة – الوجود والحدود**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، 2010، ص 25.

بسبب الحواجز واجراءات الاحتلال، أو خارج الوطن بدافع الهجرة القسرية لأسباب سياسية أو اقتصادية ولكن صورة القدس معراج النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ورحلة السيد المسيح عبر أزقة القدس محفورة في قلب الذاكرة الجمعية الفلسطينية والعربية، حيث عمد الأديب الفلسطيني على إبراز صورة القدس من خلال أعمال روائية مختلفة، منهم من تعمق في وصف صور الأماكن فيها، ومنهم من تحدث عنها عبر طرحها قضية سياسية أو اجتماعية أو ثقافية، أو استعراض تاريخها.

فمن خلال قراءة الروايات التي تعرضت للقدس بصورة كلية أو جزئية برزت هناك أسماء روائية معاصرة حضرت القدس من خلال بنيتها السردية، فالمدينة تمتلك موقعا جغرافيا يحمل دلالات دينية ، وثقافية وتاريخية ، وسياسية عديدة لا يكاد سرد روائي فلسطيني يخلو من التعرض لها، وتناول جانبا من هذه الجوانب ودراسة أبعادها الدلالية والرمزية المختلفة.

هناك عديد من المحاولات الروائية التي تناولت القدس القديمة بكل تفاصيلها من خلال نسيج سردياتها الروائية لتذكر القدس وتتحدث عن حاراتها، وأسواقها ومساجدها، وظهرت القدس بوصفها مكاناً دينياً بأقصاه، وقيامته، وزواياه، ومآذنه وتاريخه، بما فيه من أسوار، وأبواب، وساحات، وبيوت، وعمائر مرت عليها العديد من الحضارات والأمم وصورت جانباً إنسانياً على أهمية كبيرة ليصف المعاناة الانسانية لشعب احتل مرارا وتكرارا وما زال يعاني ويقاوم.

صراع في هذه المدينة المقدسة لتحرير الأرض والانسان، صراع الإنسان الفلسطيني بكل ما يحمله مخزونه الثقافي والفكري والديني والحضاري من أجل التمسك بهذه المدينة المقدسة الوطن والحلم ولتبقى محفورة في الذاكرة، وتبقى قضية إنسانية سياسية لا تنسى.

والحديث عن القدس من خلال النسيج السردي ليس بالأمر الهين، أو السهل لما لهذه المدينة المقدسة من خصوصية في الوصف لشدة غناها بالتفاصيل، والأحداث والتأثير الشديد

على كل من عايش هذه التفاصيل، وصف يحتاج إلى معايشة طويلة، وإلى معرفة علمية بالطرق، والأمكنة ووصفها وربما إلى تفرغ كبير بهذا الشأن[1].

فكثير من الأعمال الروائية تحدثت عن قرى ومدن فلسطينية أخرى غير القدس ؛ لتكون ضمن مواضيع رواياتها، ولكن للقدس خصوصيتها لما فيها من تعقيدات وتفاصيل في المكان، والحاجة إلى معرفة واسعة ودراية بالأماكن فيها حتى أن ذلك شكل صعوبة على الأدباء من أبناء القدس نفسها ؛ ربما يعود ذلك إلى أن السارد الفلسطيني لم يصل للحد الذي يقدم فيه عمقا في الابداع ونضوجا في الفكر الروائي، أو ربما لأسباب معنوية ونفسية تتعلق بقداسة المدينة وحضارتها وتاريخها وقيمتها الدينية الخاصة، وطبيعة الصراع القائم من أجل السيطرة على المدينة وما يلاقيه الفلسطيني في هذه المدينة من محاولات لطمس هويتها وتاريخها العربي الأصيل.

وبالرغم من ذلك فالروايات التي كتبت عن القدس هي محاولات أدبية للسعي لوصف المكان بكل تعقيداته وأبعاده المختلفة وذلك حفاظا على التاريخ والهوية الفلسطينية والتأكيد على الحق الفلسطيني فيها وتمسكا بالمعتقدات الموروثة في الحافظة الجمعية الفلسطينية.

فمن خلال مجموعة من الروايات التي دارت أحداثها في القدس أو في قراها لكتاب مقدسيين مقيمين داخل أسوار القدس " افتقدوا حقيقة القدس، وتاريخها العربيين، رغم بقائهم داخلها، مما دفعهم لاستلهام التاريخ في أعمالهم، ليستخدموا وقائعه في سبيل إثبات عروبة مدينتهم"[2]

ظهرت صورة القدس في هذه الروايات على تفاوت مختلف، فمن هذه الروايات ما وردت فيها القدس عرضا دون تركيز عليها ولم تكن القدس في هذه الروايات سوى مكان

---

[1] ينظر، خواجة، علي حسن: **القدس في الرواية الفلسطينية بعد أوسلو –نماذج مختارة**، مؤتمر الادب الفلسطيني بعد اوسلو، منشورات جامعة الخليل –كلية الآداب –بالتعاون مع مؤسسة قطان، 2010، ص 28

[2] مجدي، ياسمين: قدس الرواية الفلسطينية الحنين إلى حلم المدينة المستعادة، على موقع دنيا الرأي، www.diwanalarb.com، 2009

عابر ضمن سرد هذه الروايات، وذلك لما للمدينة من خصوصية ولأن " القدس داخل السور هي مدينة شديدة التركيب إلى درجة القول إنها مدينة روائية، ورغم ذلك فهي أقل المدن حضوراً في الرواية الفلسطينية، ولأن للمدينة رائحة لا يمكن إنكارها ساعة الكتابة، فقليلة هي الروايات التي التقطت هذه الرائحة "[1].

وهناك روايات أخرى ظهرتْ فيها القدس بصورةٍ جلية باعتبارها محورا لهذه الروايات، وذكرت فيها القدس بكل تفاصيلها الزمانية والمكانية، ولا تكاد رواية فلسطينية تخلو من ذكر القدس بشكل أو بآخر، بالرغم من أن قدرة الأديب الفلسطيني على ابراز التفاصيل الجمالية للمدينة بقيت محدودة لما لهذه المدينة من خصوصية تميزها عن غيرها من المدن الفلسطينية، بالنظر لكونها مركز لأحداث سياسية واقتصادية ودينية وثقافية.

أما الكّتاب الذين تحدثوا حول القدس في رواياتهم فمنهم كتاب مقدسيون وغيرهم من خارج المدينة، فنبيل خوري في روايته " حارة النصارى" وهي أحدى الحارات في القدس والتي دارت فيها أحداث الرواية، استرجع المدينة من خلال ذكريات بطلة الرواية سلمى في القدس بعد استشهاد زوجها يوسف راشد هناك، بين ثنائية الحب والكره، والحياة والموت عاشت بطلة الرواية ذكرياتها.

أما روايات جبرا إبراهيم جبرا فقد كان حضور القدس فيها على تفاوت ففي رواية " البحث عن وليد مسعود" لم يكن حضور القدس فيها كبيرا كما هو في روايته " السفينة "حيث أطلت القدس بتفاصيلها من خلال ذكريات بطلها وديع عساف مدينة صلبة قوية بالرغم من الواقع المؤلم الذي تعيشه هذه المدينة، وبقية المدينة الحلم المحفورة في الذكريات وعمل على استحضارها في رواياته.

لم يكن ظهور القدس في رواية "الصبار" لافتاً حيث وردت من خلال ذكريات أسامة الكرمي في رواية "الصبار "بعد عودته من دول الخليج إلى فلسطين تذكر القدس التي زارها

[1] أبو بكر، وليد: الكتابة من داخل السور، موقع مجلة الكلمة، www.alklimah.net

يوما بعد احتلالها " ما زال يذكر الرسم جيدا، شاهده على إحدى السيارات في القدس وكان ذلك بعد الاحتلال ببضعة أشهر"[1].

وفي روايتها "عباد الشمس" ظهرت القدس فيها من خلال شخصية عادل الكرمي الذي يعمل صحفيا وزميلته رفيف التي تعمل معه في نفسها المجلة عندما كانا يتنقلان بين القدس ونابلس بسبب عملهما مرا بالقدس ومشيا في أسواقها وشوارعها، عندما قال لها: "ستدوسكِ السياراتُ وسط الشارع ولن تصلي باب العمود....... مشى في الأزقة وحده، رائحة جلود الخراف خيطت جاكيتات خرافية بلون الندف وبائعو البقالة على جانبي الشارع المسقوف "[2].

أما روايتها " صورة وأيقونة وعهد قديم " فهي " حالة تاريخية فلسطينية، حيث تبدأ الرواية بعشق موؤود وتنتهي إلى مدينة مقدسة ضائعة، تبدأ بعشق مستحيل بين ابراهيم (المسلم)، ومريم (النصرانية) رمز القدس"[3]، وصفت الكاتبة الأماكن في القدس على لسان مريم، ولكنه بقي في اطار الوصف العام.

في رواية "أنشودة فرح" لربحي الشويكي، تدور أحداث الرواية في أحد المخيمات الفلسطينية وظهرت القدس فيها باعتبارها مكاناً جغرافياً، تجري فيه بعض الأحداث المركزية من اجتماعات نقابية وهي المركز الرئيس لوكالة الغوث التي توزع المعونات على سكان المخيمات، عندما قال أحد أبناء المخيم: "أؤكد لكم أن مستودعات الوكالة في القدس مليئة بالحاجيات التي يزعمون عدم توفرها عند طلبها "[4]، كما أنها مركز العمل النسوي والنشاطات الثقافية والوطنية حيث كانت كل من سعاد وسهام من اللجنة النسائية في المخيم يترددون على المركز في القدس " ثم استطرد رمزي اللجنة النسائية في القدس (بدها) واحدة منكم"[5].

[1] خليفة، سحر: **الصبار**، القدس: مطبعة الشرق التعاونية، 1976 م، ص 2

[2] خليفة، سمر: **عباد الشمس**، منشورات دار الادب، بيروت، ط3 1987، ص 10-11

[3] الفيومي، سعيد: **تجليات القدس في المشهد الروائي**. ص 15

[4] الشويكي، ربحي: **انشودة فرح**، القدس: منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 1990 ص 24.

[5] المصدر نفسه، ص 36

وفي روايات ديمة السمان كان هناك تفاوت لحضور القدس فيها حيث جاءت القدس في روايتها "القافلة"، أقل كثافة من رواياتها الأخرى، وظهرت صورة القدس فيها عاصمة للتجارة والتبادل التجاري وذلك من خلال شخصية حمدان البدوي الذي يعمل تاجرا ينقل جرار الزيت من القدس ومدن فلسطينية أخرى إلى الحجاز والمغرب، ويحضر التمور وغيرها من البضائع إلى القدس ومنها إلى باقي المدن الفلسطينية، حيث انطلقت الرحلة من يافا حيث كانت تقيم أسرة حمدان "وبعد أيام ثلاثة سارت قافلة صابر إلى القدس حيث تجمعت جرار الزيت من أنحاء القرى الفلسطينية من القدس وقراها ورام الله وقراها ونابلس وقراها......"[1].

ويفتخر صابر بن حمدان البدوي بين القبائل العربية في الصحراء بنسبه قائلا لأحد رجال القبائل الذي اعترضه أثناء عودته من تجارته للحجاز " أنا من القدس الشريف "[2].

وتعد رواية ديمة السمان المعنونة " برج اللقلق " من أكثر رواياتها تناولاً للقدس، فبداية من عنوان الرواية والذي حمل صفة المكان وهو برج اللقلق والذي يقع في قلب البلدة القديمة في القدس قدمت وصفا له، وهو مكان تاريخي قالت عنه الكاتبة: " هناك في الطرف الشرقي الشمالي لسور مدينة القدس العظيم... داخل عمق البلدة القديمة يقع بيت آل عبد الجبار... في منطقة اسمها برج اللقلق من حارة باب حطة "[3].

تتحدث الكاتبة عن فترة زمنية من عمر المدينة المقدسة، وهي أواخر الحكم العثماني، وقدمت فيها وصفاً للمكان، وللحياة الاجتماعية، والاقتصادية داخل أسوار القدس خلال هذه الحقبة الزمنية، بالرغم من أن وصف المدينة قد قيد ببيت عبد الجبار ليمثل رمزاً للقدس.

أما روايتا أسعد الأسعد "ليل البنفسج" و"عري الذاكرة" اللتان ظهرتا كجزئيين لرواية واحدة، القدس فيهما هي حلم العودة في رواية " ليل البنفسج " لبطل الرواية زيد بن الرجوان

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **القافلة**، القدس: منشورات دار الهدى، 1992 م، ص 30

[2] المصدر نفسه، ص 32

[3] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج 1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 5

عندما أصر على العودة بعد رحيله إلى الاردن "يجب أن أعود بأي ثمن ولن يردّني عن القدس غيرُ الموت...." [1].

فزيد ما يزال يتمسك بالمكان الذي ولد فيه، قرية في نواحي القدس وهو يفضلها على أي مكان في العالم: "لن أعيش في عمان ولا في أي بلد عربي آخر غير القدس ورام الله"[2].

وفي زيارته مع رباب إلى القدس يتذكر زيد عديد الأماكن والأحياء المختلفة فيها ويصف على طول الطريق لها العديد من القرى الفلسطينية المهدمة والتغيرات التي طرأت عليها وعلى أسمائها.

عاد زيد ليتذكر القدس مع أسرته مرة أخرى في رواية " عري الذاكرة " عندما رآها، وأعاد أبو زيد إلى ذاكرتهم ذكر بعض أسماء القرى والأماكن والأحداث التي مرت بها وذكر أماكن تحيط بالقدس "هذه بيت حنينا وهذه هي التلة الفرنسية وهنا كان الجيش الأردني....... ها قد وصلنا إلى باب العمود وهذا سور القدس وباب الحديد ثم إلى باب الخليل فجورة العناب"[3].

ظهرت صورة القدس في رواية " مرافئ الوهم " لليلى الأطرش، وبدت من خلال ذكريات ترويها الصحفية شادن عن حياتها وعملها وحبها في القدس، وعلاقتها بالصحفي كفاح أبو غليون، علاقة فاشلة لم تفضِ إلا إلى طريق مسدود، فالقدس تجسدت بصورة الأمل الضائع، الحب والوطن المفقود ولكنها القدس بقداستها وشوارعها ورائحتها وألوانها تحيا في الذاكرة.

أما في رواية يوسف العيلة " أوراق لاجئ" فقد كان حضور القدس باهتاً وخافتاً، الحنين للقدس الذي ارتبط به من خلال أمه المقدسية، وعبر عن هذا الحنين من خلال روايته،

---

[1] الاسعد، اسعد: **دليل البنفسج**، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، سنة 2010 م، ص 10

[2] المصدر نفسه، ص 10.

[3] الاسعد، أسعد: **عري الذاكرة**، رام الله: بيت المقدس للنشر والتوزيع، سنة 2003 م، ص 112.

على خلاف روايته الأخرى التي حملت عنوان " قصة حب مقدسية "، حين أعاد سرد تـــاريخ المدينة، من خلال قصة إحراق منبر صلاح الدين والذي عكس واقع ضياع المدينة، وحملــت الرواية دلالاتٍ ورمزاً تاريخية.

ومن الروايات التي لم يكن حضور القدس فيها كبيرا، روايتي " الجانـــب الآخـــر لأرض الميعاد" و"اسماعيل" لأحمد حرب، حيث برزت القدس فيها مكاناً تتحـــرك فيـــه الشـــخوص، ومسرح أحداث حرب 67.

ففي رواية " اسماعيل " جيء على ذكر القدس بين طياتها باعتباره المكان الذي شـــهد ساحة المواجهة مع اليهود، المكان الذي يمر منه المناضلون، حيث شهد العديد من الأحـــداث واستشهاد أصدقاء اسماعيل، حين مر بها بطل الرواية إسماعيل أثناء المواجهة مـــع اليهـــود، وقاتل على جبل المكبر عام 67، ولجأ إليها أثناء الاشتباكات مع الصهاينة:

"قلت للجندي الذي كان جانبي على قمة جبل المكبر... ثم توجهت شمالا إلى شعفاط، دخلت بيتا هناك على غير هدى"[1]

وهو المكان الذي دافع عنه أصدقاء اسماعيل، واستشهد فيه أعز أصدقائه " صـــالح "، مكان محمل بالذكريات المؤلمة والحرب وضياع الوطن " نعم قيل إن اليهود قتلوه في 67 في القدس"[2]

أما في رواية " نجوم أريحا " لليانة بدر فالقدس هي مستودع ذكريات الطفولـــة التـــي قضتها في القدس أيام العطلة الصيفية أو عندما كانت تحضر لزيارة الطبيـــب مـــن والـــدها، والشوارع والأزقة التي مرت منها وعايشتها، وذكر لبعض العادات والتقاليد الاجتماعية فـــي القدس، حتى بعض أنواع الأطعمة المقدسية، كما تحدثت عن أسماء بعض حارات القدس منها حارة النصارى، وخان الزيت، وحارة المغاربة، وعقبة التكية، والحديث حتى عن المحـــلات

---

[1] حرب، احمد: **اسماعيل**، القدس: وكالة أبو عرفة للنشر والتوزيع، ط1، 1987 م، ص 73

[2] المصدر نفسه، ص 32

التجارية فيها، ولكن هذا الوصف لا يتعدى الذاكرة، فصورة القدس فيها باهتة لا تنم عن معايشة حقيقية للمكان وما وقع فيه من تغيير .

إلا أن هناك روايات وجهت اهتمامها إلى القدس، أو كادت تقتصر تناولها عليها، وقد كانت هذه الروايات في مجملها تدور في محورين " المحور الأول الذي غلبت الرؤية الاجتماعية في رواياته على نسيجها الفني وتناولت هذه الروايات هموم الفلسطينيين داخل الوطن وخارجه، والحديث عن رحيلهم وتشتتهم في الآفاق، أما الثاني فهو المحور السياسي المتمثل في الصراع مع الأعداء"[1]، ولكن القدس بقيت حاضرة في متون هذه الروايات، وبرزت من خلال قضية سياسية أو اجتماعية أو عبر سرد تاريخي للمدينة وما وقع فيها من أحداث.

وفي رواية " مدينة الله " لحسن حميد التي كتبت بأسلوب الرسائل جال خلالها الراوي في أزقة القدس وحاراتها، وزار كنائسها ومساجدها، وتحدث عن دروبها وأشجارها وبساتينها، وماضيها وتاريخها، وإن لم يعايش الكاتب المدينة بواقعها الحالي ولم يزرها ولذلك اعتمد على ما سمع وقرأ ومما عاش في الذاكرة، فجاء وصف المكان معتمدا على الوصف التاريخي والصور الفنية، والمعلومات التاريخية والجغرافية للوصول إلى المدينة والحديث عنها، فأبعده ذلك عن صدق الصورة وواقعيتها في الحديث القدس وخاصة لمن لا يعرف القدس ، ولم يعايش واقعها .

في رواية " مقدسية أنا " لعلاء مهنا، برزت القدس قضية اجتماعية، صورت الصراع الدائر في المدينة بين الفلسطيني والآخر للسيطرة على المدينة ومحاولة تغيير معالمها الحضارية والتاريخية للهيمنة عليها، ولكنها تبقى كما حملها عنوان الرواية مقدسية الملامح والهوية والمضمون، لأن كل تغيير يفرضه الآخر لا يتوافق مع طبيعة المكان وتاريخه العربي والإسلامي

---

[1] الخباص، عبدالله عوض: **القدس في الأدب العربي المعاصر في فلسطين والأردن في القرن العشرين (1900 – 1984) في الشعر والقصص والرواية والمسرحية**، ص 132

ولم تكن رواية " خلود " لسمير الجندي[1] أقل اهتماما بالقدس فقد عايش بطل الرواية " حكيم " الهجرة والتشرد والألم، والمعاناة وتحدث عن أيام صعبة عايشـها اللاجـئ، وصـف القدس فيها عندما كان صبيا عمل في ازقتها وشوارعها، وبعد عودته من دراسته في الخارج وعمله في السياحة قدم وصفا دقيقا للمكان بكل تفاصيله، فذكر المساجد قبة الصخرة والمسجد الاقصى والكنائس، وأبواب القدس ومدارسها وأسواقها.

وتحدث عادل سالم [2] في روايته " عاشق على أسوار القدس " عن رحلـة المحـامي "سرحان " الذي عاد مع أسرته من الولايات المتحدة إلى القدس، ليعيش في ظل الاحتلال حياة صعبة داخل القدس، تنقل في القدس ووصف الأماكن، وذكر المعاناة التي مر بها في سـبيل اثبات أحقيته في البقاء في القدس، أحب القدس وترك كل شيء من أجلها، عاش فيها مطـاردا ومحاصرا حتى استشهد على أسوارها، عاشقها أبديا لها.

وتعد روايات عزام أبو السعود " صبري" و" حمام العين " و" سوق العطارين " تأريخاً لفترة زمنية ومرحلة من حياة المدينة المقدسة، من خلال وصف لحياة أسرة مقدسـية أقامـت داخل أسوار القدس عايشت فترات زمنية مختلفة، بداية من الحكم العثماني ومعاناة المقدسـين خلال هذه الفترة، ثم فترة الانتداب البريطاني، وبداية الأطمـاع الصـهيونية فـي فلسـطين، والأحداث التي مرت بها، وتنقلت الروايات بين عديد الأماكن في القـدس، منهـا الحـارات والأبواب والأماكن العامة من مقاهي وحمامات، وما تحمله هذه الأماكن من دلالات وأبعاد.

---

[1] سمير الجندي مؤلف وناشر فلسطيني من القدس، ولد عام 1957 في القدس بعد أن خرجت أسرته من دير ياسين عام 1948 م ، عاش في القدس القديمة ودرس فيها، أبرز القدس من خلال أعماله الأدبية، وتحدث عن تاريخها وشوارعها وأحيائها، وله العديد من المؤلفات، أسس دار الجندي للنشر في القدس.

[2] عادل سالم كاتب مقدسي ولد في القدس عام 1957، التحق بالمدرسة العمرية ثم مدرسة دار الأيتام في البلدة القديمـة وأنهى دراسته في الكلية الإبراهيمية، سافر إلى الولايات المتحدة عام 1976 وعاد إلى القدس بعد أقل من سنة، اشترك في العمل النقابي، ثم عاد للولايات المتحدة عام 1988 وتوفي عام 2008، في الولايات المتحدة الأمريكية كتب الشـعر في بدايته ثم تحول إلى كتابة القصة والرواية وله عدد من الدراسات .

أما رواية " عائد إلى القدس"[1] لعيسى بُلاطة فقد أطلت القدس من خلال ذكريات أبطالها من أبناء القدس وداد هنداوي، وفؤاد سرحان، وجليل وزوجته ماجدة، وتنقلهما بين لندن والولايات المتحدة، وحديث الذكريات حول أيام الطفولة في القدس والأماكن التي تنقلوا فيها بين أزقة القدس وأحيائها، وأحداث الحرب عام 1948 وعام 1967، فحديثهم عن القدس ورد من خلال الذكريات فقط وليس نتيجة لمعايشة حقيقية للمدينة والتغيرات التي حدثت فيها منذ تركهم لها بعد النكسة.

أما رواية " المسكوبية " لأسامة العيسة " فقد أبرز فيها وجهاً آخر من أوجه القدس، حين سلط فيها الكاتب النظر على سجن المسكوبية المشهور في القدس، باعتباره رمزا لمعاناة الفلسطيني وألمه اليومي وعذاباته التي لا تنتهي، تحدث عن تاريخ هذا المكان وبين علاقته بالقدس، وأضاء على زاوية مؤلمة من حياة السجون وعلاقة السجان بالسجين، وجسدت الرواية استعراض الحركة الأسيرة في فلسطين من عام 1936م.

أما أماني الجنيدي فقدمت القدس في روايتها " قلادة فينوس " من خلال سرد اسطوري غرائبي بين بطلتي الرواية ريما وديمة ومعايشتهما للأماكن في القدس والتغيرات الاجتماعية والديموغرافية التي يتعرض له المكان والسعي الحثيث من الاحتلال لتغيير معالم المكان.

القدس تأخذ مكانها في رواية " الجذور " لحليمة جوهر، وتقدم القدس بكونها مدينة اقتصادية لتبادل السلع التجارية، ومركز للمقاومة الثوار في فترة الثلاثينيات من القرن المنصرم، وأبرزت عدداً من الأماكن التي تحرك فيها شخوص الرواية منها باب الأسباط وحي الواد وسوق خان الزيت، وجبل المكبر، ولكن البناء المعماري للرواية برز ضعيفا حيث عمدت الكاتبة على قتل بطل الرواية من بدايتها مما أضعف البناء الفني لها لأن ذلك أثر على استمرار أحداث الرواية بدون بطلها.

[1] عيسى بُلاطة من مواليد مدينة القدس عام 1929 وهو استاذ جامعي وكاتب ومترجم، حصل على الدكتوراه في الأدب العربي له العديد من المؤلفات في الأدب والشعر والدراسات القرآنية، ويقيم منذ مدة طويلة في كندا.

الفصل الثاني

مقاربة تحليلية للدوال في المشهد الروائي

الفصل الثاني

مقاربة تحليلية للدوالّ في المشهد الروائي

توطئة

يعد عنصرا الزمان والمكان من أهم أركان الرواية الحديثة، وإن كان التركيز قديماً انصب على عنصر الزمان بشكل أكبر من المكان لأن " الرواية في المقام الأول فنٌ زمنيٌ"[1] ولكن الاتجاهات النقدية أبرزت أهمية عناصر أخرى في العمل الروائي وأصبحت " الرواية من أكثر أجناس الأدب عناية بالزمان والمكان، وهي مثلها في ذلك مثل الحياة"[2].

هما رُكنا الرواية اللذان يقوم عليهما مع عناصر الرواية الأخرى نسيج العمل الروائي " وبين قطبي الزمان والمكان يشيد الراوي خطابه الروائي، فهما متلازمان ومنفتحان على العالم الروائي"[3].

والرواية في تركيزها على هذين العنصرين تصبح الأقرب إلى المتلقي، حين يقيم التفاعل معها بشكل أفضل وبصورة أقرب للفهم والواقع المعاش " إذ لا يعقل تصور هذه إلا ضمن إطارين متلازمين أحدهما زماني والآخر مكاني، تتجسد الحكاية المتخيلة، بكل عناصرها، التي يرويها الراوي من وجهة نظره، حيث يمسك الراوي باللحظة الزمنية مثبتا عناصرها من خلال إطار المكان. " [4]

وعليه يلعب كل من عنصري الزمان والمكان دورا داخل هذه اللعبة الروائية، التي تتحرك فيها الأحداث من خلال الزمن ويحيط به سور المكان الذي تجري الأحداث داخله،

---

[1] قاسم، سيزا أحمد: **بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984 م، ص 74

[2] ابراهيم، بنيلة: ***قص الحداثة*: مجلة فصول**، مج 6، ع 4، 1986 م، ص 95

[3] أحمد، حفيظة: **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية (1950 – 2000)**، رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي، 2007 م، ص 117

[4] المرجع نفسه، ص 117

وكذلك حركة الشخصيات لأن " الزمان والمكان في حالات كثيرة يلعبان الدور الأكبـر فـي صياغة الشخصيات والأحداث والرؤى السردية، وتنسيقاتها في إطار محدد"[1]

فلا يمكن إغفال أي من عنصري الزمان والمكان ؛ لأن الزمان عنصر فعال في العمل الروائي فنحن لا يمكن " أن ننطلق بسرد حدث ما لم نحدد له عتبة زمنية، وإلى جانب ذلـك ارتبطت حداثة الرواية بقدرتها على التلاعب بالبيئة الزمنية، لدرجة أصبحت معهـا زمنيـة الأحداث، عنوانا لتميز نمطاً روائياً عن سواه "[2]، كما أن للمكان أهميته أيضـا لأن "اهتمـام الروائيين، ومن ثم النقاد، بالمكان له ما يبرره منطقيا وفنيا لأنه لا يُتصور حدوث أي شـيء خارج المكان".[3]

فهناك علاقة جدلية بين المكان والزمان، في كون كل منهما مكملاً للآخر في العمـل الروائي، فحين " يشكل كل من المكان والزمان الروائيين أحد المكونات الأساسية فـي بنـاء الرواية، فهما يدخلان في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد، كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية الأخرى[4]" وهذه العناصر مجتمعة تشكل عناصر العمل الروائي، والتي لا يقوم إلا بها.

فحركة السرد الروائي تعتمد على عنصري الزمان والمكان حتى أن " الحدث لا يقدم سوى مصحوب بجميع إحداثياته الزمانية والمكانية، ومن دون وجود هذه المعطيات يسـتحيل على السرد أن يؤدي رسالته الحكائية "[5]، فالقص الروائي لا يمكن له أن يكتمل إلا من خلال هذين العنصرين.

وتعد دراسة الزمان والمكان في العمل الروائي، وخاصة في الرواية الفلسطينية حيث تميزت بخصوصيتها عن غيرها من الأعمال الأدبية الأخـرى بسـبب الظـروف السياسـية

---

[1] أحمد، حفيظة: **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية**، ص 118.

[2] الجابري، فوزية لعيوس غازي: **التحليل البنيوي للرواية العربية**، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيـع، 2011 م، ص 153

[3] قطوس، بسام: **سيمياء العنوان**، عمان : منشورات وزارة الثقافة، 2002 م، ص 26

[4] بحراوي، حسن: **بنية الشكل الروائي**، بيروت، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، 1990، ص 26

[5] المرجع نفسه، ص 29

والاجتماعية والثقافية التي تحيط بفلسطين، فدراسة الزمان والمكان وما يحمله من دلالات، يساهم في الكشف عن أبعاد مختلفة لتاريخ قضية وحياة شعب.

كما تساهم دراسة هذه الدوال في تسليط الضوء على العديد من جوانب الرواية الفلسطينية، بما تحمله من إشارات وأبعاد تلقي بظلالها على حياة المجتمع الفلسطيني، وخاصة الروايات التي برزت القدس في متونها، من وجهة نظر هؤلاء الكتاب سواء لكتاب من القدس أو خارجها، أو كتاب يعيشون داخل فلسطين أو في الشتات، كل منهم عبر عن مكانه وزمانه بطريقته، ونظر للقدس كل من زاوية رؤيته الخاصة لها وتجربته فيها، ومعايشته لها.

وبالرغم مما في هذين العنصرين– الزمان والمكان – من تجاذب وتداخل أحداهما من الآخر وصعوبة الفصل بينهما، حيث يشكلان نسيجاً واحداً داخل العمل الروائي، ولكن هذه الدراسة ستحاول الفصل بينهما لدراسة دلالة كل منهما على حدا وما يحمله كل من الزمان والمكان من دلالات في اطار الروايات التي ظهرت فيها القدس، والعمل على استكناه هذه العناصر الروائية في ضوء الروايات الفلسطينية التي عرضت للقدس.

1.2 الدوال المكانية

1.1.2 مفهوم المكان الروائي

قبل الخوض في الحديث عن المكان في العمل الروائي لا بد من تحديد مفهوم المكان لغة واصطلاحاً .

مفهوم المكان لغة

المكان لغة هو من " المكانِ والمكانةُ، ومنه مكانه وموقعه ومحله، وهو الموضع لكينونة الشيء فيه"[1]، كما أنه جاء من" الموضع الحاوي للشيء، والجمع أمكنة وأماكن"[2]،

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: **لسان العرب**، مج 11، ص 421.

[2] الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب بن محمد: **القاموس المحيط**، ج 5، ص 215

وورد كذلك "من تق دم الناس على سكناتهم ونزلاتهم أي مقارهم"[1]، وفي التنزيل ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾[2] أي ناحيتكم، والمكانة: المنزلة.

فالمعنى اللغوي للمكان كما تحدثت عنه مصادر التراث العربي تمثل في كونه موضع الشيء، أو الموقع من السكن أو المحل الذي يقام فيه، بكل ما يحمله هذا المكان من خصائص وصفات، وما يحمله من دلالات، وهو مكان لإقامة الفرد والاستقرار فيه واستمرار الحياة بداخله.

مفهوم المكان اصطلاحا

اختلفت الآراء حول تحديد مفهوم اصطلاحي للمكان الروائي، فقد برز عنصر المكان داخل العمل الأدبي ليكون إطاراً تتحرك بداخله كافة عناصر العمل الأدبي لأن " المكان في أي عمل أدبي لا ينظر إليه بداءة إلا بكونه الشيء الذي تجري عليه الأحداث، وتتحرك فيه الشخوص"[3].

فهو من الأسس التي يقوم عليه العمل الأدبي، وهو الحاوي لكافة عناصر العمل الروائي بكل أبعادها ودلالتها المختلفة، حيث تقع فيه الأحداث وتنسجم فيه العلاقات بين الشخصيات والزمان والمكان، ويعكس المكان العديد من دلالات الرواية السياسية والاجتماعية والثقافية.

كما أنه " الكيان الاجتماعي الذي يحتوي خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، وهو يحمل جزء من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه، والمكان هو القرطاس المرئي والقريب الذي سجل الانسان عليه ثقافته وفكره، وآماله وأسراره، وكل ما يتصل، وما وصل إليه من ماضيه ليورثه للمستقبل"[4].

---

[1] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: **تاج العروس من جواهر القاموس**، مج 6، ص 349

[2] سورة الأنعام، الآية 135

[3] النصير، ياسين: **الرواية والمكان دراسة المكان الروائي**، ط 2، دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2010م، ص 2

[4] المرجع نفسه، ص 71

والمكان بهذا المفهوم هو وعاء تتفاعل فيه عناصر العمل الأدبي مجتمعة، وهو الذي يشهد اندماجاً بين الإنسان وبيئته، ويعكس ثقافة شعب وحضارة أمة من خلال ما يحمله المكان من أبعادٍ انسانية وفكرية واجتماعية.

ويمكن وصف المكان الروائي عادة، وهو مكان محدد في كثير من الأحيان، بأنه موقع الأحداث، أو المجال الذي تتحرك فيه الشخصيات، أو تقيم فيه، فتنشأ بذلك علاقة متبادلة بين الشخصية والمكان، وهي علاقة من الأهمية بمكان لإعطاء العمل الأدبي خصوصية، واستقلالية عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى، ومن ثم ليكتسب هذا المكان خصائصه وميزاته ودلالته المختلفة داخل العمل الروائي.

وهو الذي يشكل القالب الذي تقع فيه الأحداث، وتتفاعل من خلاله الشخوص، وهو مرآة التي تعكس وجه المجتمع وكافة جوانب حياته السياسية، والثقافية، والاجتماعية، والتراثية، والدينية والفكرية.

أما المكان من حيث توظيفه في الرواية " فهو يقسم إلى نوعين:

* المكان الموضوعي وهو الذي يبني تكويناته من الحياة الاجتماعية، ويكون متمثلا اجتماعيا وواقعيا.

* أما المكان المفترض فهو ابن المخيلة البحتة، والذي تتشكل أجزاؤه وفق منظور مفترض، وقد يستمد بعض خصائصه من الواقع إلا أنه غير محدد، وغير واضح المعالم"[1].

وتظهر الأمكنة في الروايات بأشكال مختلفة " منها المغلقة في النصوص الروائية مثل الدار، والمدينة، والوطن، ومنها المفتوحة التي تأتي على شكل فضاء مفتوح يعبره الكثيرون ، ومنها اللامتناهي مثل البحر، والغابة والصحراء، وكل مكان له معنى ووظيفة، وحسب وظيفته نرى أن بعض الأمكنة تتصف بالألفة أو تثير الكراهية أو تذكي نزعة العدوانية"[2]،

[1] النصير، ياسين: **الرواية والمكان دراسة المكان الروائي**، ص 22

[2] نور الدين، صدوق: **البداية في النص الروائي**، اللاذقية: دار الحوار، 1994 م، ص 52

وينعكس تأثير المكان على الشخص تبعا للحالة النفسية التي يعيشها ، فالسجون، ومراكز الاعتقال، وغرف التحقيق، والحواجز العسكرية أماكن تثير الخوف وعدم الشعور بالأمان، أما بيت الطفولة حيث الأسرة، والأهل، والمساجد، والكنائس، والحمامات العامة، والحدائق، تعطي الشعور بالراحة والأمان، وتحمل دلالات أخرى بين طياتها داخل العمل الروائي.

إن اختلاف الأمكنة يحدث التنوع داخل الرواية، وينعكس ذلك على سلوك الشخصيات وتشابك الأحداث في العمل الروائي، ويساهم في تحديد سير الزمن داخله، ثم على إبراز القضية التي يتناولها العمل الأدبي بكافة أبعادها ودلالاتها ؛ لأن المكان يكشف عن الكثير داخل الرواية.

2.1.2 أهمية المكان في الخطاب الروائي

للمكان أهمية أساسية في بناء الحدث الروائي، فلا يمكن وقوع الحدث الحكائي دون وجود مكان تتحرك فيه الشخصيات وتتفاعل فيه الأحداث، كما يمكننا من خلال المكان الكشف عما تحمله حياة هذه الشخصيات من دلالات اجتماعية وسياسية ودينية، وبالتالي يعكس صورة الأوضاع السياسية والثقافية والتاريخية والدينية والاجتماعية لهذا البلد أو المجتمع بكامله والتطورات والظروف التي مرت بها.

فالمكان لم يعد إطاراً وحسب بل هو عنصر رئيس لا يمكن تجاوزه في أي عمل روائي، وآية ذلك أن أحداث الرواية لا تحدث إلا في مكان، والشخصيات الروائية لا تعيش إلا في مكان، وحتى الزمن يحتاج إلى مكان يحل فيه ويسير منه أو إليه، والسرد لا يقوم ولا يبقى معزولا عن الأمكنة، ولا شيء يجري خارج المكان[1].

يُخلق المكان من خلال الكلمات داخل النص الروائي، وهو مكان له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة، وخصائصه التي تنعكس على العمل الروائي، والتي لا يمكن إغفالها أو

[1] ينظر، صالح، صلاح: **قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر**، القاهرة: دار شرقيات، 1997 م، ص 12

التقليل من أهميتها ؛ لكونه يؤثر في كل عناصر النص الأدبي فيؤثر فيها، وينعكس على مجريات الأحداث فيها.

يعد المكان في الرواية جزءاً أساسياً من هندستها ومعمارها، وليس مظهرا تزويقيا، بمعنى أن جماليته تتدفق وتتناسق مع جماليات الرواية الكلية، ولا تخرج عنها؛ بالنظر إلى أن المكان في حركة دائمة مع شخصيات الرواية وأحداثها، والإنسان من خلال حركته في المكان هو الذي يقوم برسم جمالياته، إن الظروف الاجتماعية والنفسية والتاريخية لا تخلق المكان وحدها، فقد يكون للظروف السياسية كبير الأثر في خلق مكان لم يكن موجود على أرض الواقع[1].

وقد ساهمت الظروف والأحداث السياسية التي مرت وتمر بها فلسطين في إبراز المكان بشكل واضح حتى يمكن وصف الرواية الفلسطينية بأنها رواية مكان، وذلك لظروف القضية القائمة أساسا على التمسك بالأرض والتراب، واثبات الحق الفلسطيني عليها، وإظهار قضية القدس بالاعتماد على واقعها المكاني، وما يحدث فيه من تغيرات تشهدها المدينة بشكل متسارع.

وبقي هناك اختلاف حول قيمة العنصر المكاني في النص الروائي، فالموقف الأول يرى ضرورة توضيح ملامح محددة للمكان في النص الروائي، ويؤكد هذا الموقف على أهمية رسم مكان حقيقي في الرواية لأن تعدد الأمكنة يساهم في إظهار وحدة القصة، كما وجدت آراء أخرى قللت من أهمية هذا العنصر في العمل الروائي واعتبرته عنصراً هامشياً بالقياس على العناصر الروائية الأخرى[2].

وباشلر من أكثر من أهتم بدراسة المكان في العمل الروائي وقال " إن العمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته، ذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي

---

[1] ينظر، شاهين، أسماء: **جماليات المكان في روايات جبرا ابراهيم جبرا**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001 م، ص 16 – ص 18

[2] ينظر، لعيوس، فوزية: **التحليل البنيوي للرواية العربية**، ص 237 – ص 238

بيت الطفولة، أنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا "[1]. فهو ينظر باهتمام إلى المكان ويتحدث عن تأثيره النفسي على ساكنيه خلال مراحل عمرية مختلفة، والأثر العميق الذي يتركه المكان على الأشخاص.

فدراسة المكان في الرواية تقوم على تشكيل عالم من المحسوسات قد تطابق عالم الواقع وقد تخالفه ولكنه يبقى موجودا داخل العمل الأدبي وله مكانته، وهو يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث، والمكان مرتبط بالإدراك الحسي للأشياء، ويظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ أو الحيز[2]. فالمكان قد يكون مكاناً حقيقياً موجود على أرض الواقع، وقد يكون من صنع خيال الكاتب، وجده ليكون من خلاله عالماً روائياً .

وعلى ضوء ذلك برز الاختلاف حول تفاوت أهمية عنصر المكان بين النقاد، إلا أنه يبقى عنصرا من عناصر النص الأدبي له وجوده داخل العمل الروائي لا يمكن اغفالها، وذلك حين " يتضامن المكان مع العناصر الأخرى المؤسسة"[3] من الزمان، والشخصيات، والأحداث، والتفاعل الحاصل بينهما داخل الإطار المكاني.

يلعب المكان دوراً في تشكل الحدث داخل العمل الروائي، حين يعكس طبيعة الحدث المستوعب داخل المكان، وما يقع فيه من صراعات وخلافات، يبرز من هنا تأثير المكان على الأحداث داخل الرواية، ويكشف دلالات هذه الأحداث وما تحمله من أبعاد.

كما يعكس المكان أثراً خاصاً على الشخصيات داخل النسيج الروائي، فالمكان يعطي انعكاساً لطبيعة الشخصية وما تحمله من دلالات لأنه الحاوي للذكريات والأحداث التي عاشت فيها الشخصيات وتأثرت بها، وهو يصور الواقع الذي تحياه هذه الشخصية حيث يمنح بعض

---

[1] باشلر، جاستون: **جماليات المكان**، بغداد: دار الجاحظ للنشر ووزارة الأعلام، 1980 م، ص 6 – ص 7

[2] ينظر، قاسم، سيزا: **بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984 م، ص 74 – ص 77

[3] بورنتون، رولان وريال أونليه: **عالم الرواية**، ترجمة: نهاد التكرلي، ط 2، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1991 م، ص 9

النقاد المكان قيمة كبيرة في تَشَكُلِ الشخصيات الروائية ليصبح المكان بذلك " قوة فعالة ومؤثرة في حياة الشخوص"[1]

فتأثير المكان يقع بذلك على كافة مكونات العمل الأدبي بما فيها الشخصية الروائية في تشكلها وحركاتها حيث " يُعدُ المكان من العناصر المهمة في بناء الشخصية الروائية، فلا يمكن أن توجد شخصية بدون مكان"[2] تتحرك وتتنقل بداخله، فهو انعكاس لصورة صاحبه بكل أبعاده وخصائصه وصفاته.

يتضح من ذلك أهمية المكان في العمل الروائي، وما له من تأثير على القارئ، فكلما كان وصف المكان دقيقا وواقعيا فإنه يمنح المصداقية للعمل الأدبي، ويساهم في تماسكه وانسجامه وقوة تأثيره على الرواية برمتها، إضافة إلى القدرة على إيصال الفكرة التي يريد العمل الروائي ابرازها، وخاصة إذا ما تم توظيف المكان بشكل فعّال وهادف داخل الرواية، إضافة إلى ما يحمله هذا المكان من دلالات ومعانٍ مختلفة داخل نسيج العمل الأدبي.

3.1.2 المكان في الرواية الفلسطينية

للمكان أهمية خاصة في الرواية الفلسطينية، لكونه يعبر عن حالة خاصة من الشعور بالحنين والتمسك بالأرض الفلسطينية، وهو الذي يعيش داخل الفلسطيني يحمله معه حيثما ارتحل خارج الوطن، أو حيث هو داخله يعيش داخل مكان محتل مقيد فيه محاصر بحواجز الاحتلال، الوطن فلسطين، ورمزه مدينة القدس بكافة مقدساتها ورموزها التاريخية، والدينية، والثقافية، وكل مكان فيها يحمل دلالات خاصة مرتبطة بتاريخ هذه الأماكن وما وقع فيها من أحداث أثرت في حياة المدينة.

ظهرت أسماء الأماكن في بعض الروايات الفلسطينية بأسماء حقيقية على الخريطة الجغرافية، فهناك أسماء لمدن وقرى ومخيمات فلسطينية عديدة وعلى رأسها المدينة المقدسة

[1] اولنتبنير، لين وليزلي لويس: **الوجيز في دراسة القصص**، ترجمة: د. عبد الجبار المطلبي، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1983 م، ص 168

[2] جابر، عبد المجيد: جماليات المكان في رواية خلود، www.maannews.net

قلب الصراع ؛ لتمثل الواقع الفلسطيني وتعرض قضية وطن، وحياة شعب، وترصد مآل مدينة وما صارعته من أحداث وحروب وانعكاسها على مدينة القدس.

إن الخلفية المكانية الواقعية والأحداث التاريخية الحقيقية، تسهم بشكل فعال في إضفاء الصبغة الواقعية على هذه الروايات، وتجعلها الأقرب إلى القارئ، ولأن " هناك هاجس مركزي يحضر في هذه الكتابات وهو محاولة الإمساك بالزمان الفلسطيني الذي يتبدد وكذلك الامساك بالمكان الفلسطيني، تصبح الرواية كما السيرة سلاحا لحماية الهوية والذاكرة، والزمان والمكان، ودفاعا عن القدس الوطن والقضية"[1].

فالمكان في الرواية الفلسطينية يحمل العديد من الدلالات والمعاني والاشارات والرموز، التي تتعلق بتاريخ القضية الفلسطينية النضالي على مر التاريخ، والمقاومة الفلسطينية بمراحلها المختلفة وعليه " جاء المكان مؤشرا على واقع الاحتلال وحالة الشتات التي تعيشها الشخصيات الفلسطينية، واختلفت الروايات في وصف المكان وتتبع جزئياته وتوظيفه فنياً، فبعض الروايات أمعن في التفاصيل، وبعضها الآخر اكتفى بالتسمية أو بالإشارة السريعة إلى المكان "[2]. ولكن المكان بقي له حضوره الخاص في الرواية الفلسطينية.

ففي الروايات الفلسطينية هناك علاقة متبادلة بين الشخصية والمكان، يكشف عن الحالة الشعورية لهذه الشخصية، وتكشف عن الكثير من خباياه وأسرارها وعلاقتها بالمحيط والتفاعل مع الأحداث والتأثير والتأثر بها، فبيت الانسان هو صورة عنه، والعلاقة بينهما متبادلة، ومن هنا ظهرت ثنائية المكان في الرواية الفلسطينية، فظهر المكان الآمن الذي يحمل الأمن والسلام للمقيمين فيه، في مقابل المكان المكروه الذي يحمل الشر والقلق والخوف لساكنيه.

ويختلف الشعور بالمكان تبعاً للحالة النفسية التي تعيش فيها الشخصية، فهناك أماكن نعتقد أنها آمنه ولكنها تحت ظروف معينة تكون غير ذلك، فالمكان هو ذاته عاشت فيه

---

[1] أبو نضال، نزيه: ***القدس في الرواية الفلسطينية، الاردن***: **مجلة أقلام جديدة**، ع 29، 2009 م، ص 3 – ص 4

[2] أحمد، حفيظة: **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية**، ص 126

الشخصية أيام الطفولة، وعايشت الشعور بالراحة في جنباته، ثم أصبح المكان غير الآمن يهدد حياته من المحتل بالقتل، أو الاعتقال.

والمكان محور هذه الدراسة هو مدينة القدس بما تحمله هذه المدينـــة مـــن تفاصـــيل ودلالات وأبعاد رمزية، لتعكس روح شعب محتل، ووطن سليب، والمدينة كمكـــان روائـــي عرفت "باعتبارها حقيقة تراكمية في المكان والزمان، ومن هذا المنطلق فان تاريخهـــا يمكـــن استقراؤه من خلال مجموعة من التراكمات التاريخية، وفي تطورها من حيث الـــزمن تأخـــذ شكلا تتابعيا من حيث الوجوه التي مرت بها، وهي نتيجة لذلك التتابع الزمني تعد تراكمية في المكان"[1].

وصورة المكان عند الفلسطيني ليس الوطن المفقود، فجميع الناس لهم وطن يعـــودون إليه، أما الفلسطيني فالمكان يعيش بداخله أينما ارتحل هو المكان الذي لا يمكـــن اكتشـــافه أو استرجاعه إلا بالتذكر والتخيل، ولا يمكن رسمه إلا من خلال حكايات الكبار[2].

فالمكان حاضر في الرواية الفلسطينية سواء عاش الفلسطيني داخل الوطن ووصـــف تفاصيله أو عاش مغتربا بعيدا عنه فبقي محفوراً في الذاكرة، فوصفه من خلال ما علق فـــي ذاكرته التي خلت من تتبع تغيرات المكان، وما وقع فيه من أحداث، ولكن المكان في الرواية الفلسطينية يظل الكاشف عن الواقع الفلسطيني بكل أبعاده.

والقدس محور الدراسة هو المكان الأكثر غناً بتفاصيل الواقـــع الفلســـطيني، أيقونـــة فلسطينية تصف جوانب الحياة والتاريخ الفلسطيني، فكل مكان في القدس يروي حكايته، هـــي حكاية شعب وتاريخ أرض ووطن، تمسك بالماضي الجميل، ورفض الواقع القائم على التقسيم والتغيير وطمس الهوية.

---

[1] رشوان، حسين: **المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري**، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحـــديث، 1982 م، ص 44

[2] ينظر، أبو فخر، صقر: **المكان والرمز في الرواية الفلسطينية**، ص 21

4.1.2 الدوال المكانية في روايات الكتاب المقدسيين

ظهرت مدينة القدس مكاناً روائياً من خلال روايات لكتاب مقدسيين عاشـــوا داخـــل المدينة، أو من القدس أقاموا خارج الوطن في المنفى في مدن عربية وأوروبيـــة، وتختلـــف طريقة المعالجة الأدبية من كاتب إلى آخر من حيث نظرة كل منهم للقدس من زاويته، ورؤيته لها بحسب تجربته المعيشية فيها، أو ما علق في ذاكرته عنها.

ففي روايات عزام أبو السعود ظهر المكان فيهـــا جـــزءاً مـــن الأحـــداث السياســـية والتاريخية التي مرت بها المدينة المقدسة، في روايته " صبري " سردت الأوضاع السياســـية التي مرت بها القدس أبان الحكم العثماني ثم الاحتلال الإنجليزي لفلسطين، وبداية الأطمـــاع الصهيونية، وما رافق ذلك من احتجاجات ومواجهات مع الإنجليز والعصابات الصهيونية.

جاء المكان جزءاً من سرد الأحداث الروائيـــة ولوصـــف الأوضـــاع الاقتصـــادية، والسياسية، والاجتماعية الصعبة التي مرت بها فلسطين خلال تلك الفترة، وحالة المجاعة التي مر بها سكان القدس حتى العائلات المرموقة فيها.

مثلت تكية خاصكي سلطان التي يوزع فيها الطعام وهو عبارة عن حســـاء الفريـــك، جانب من حياة أهل القدس وحياة أسرة الدكتور فؤاد، حيث وقف ابنه صبري في طابور هذه التكية لأخذ حصته من الطعام، لتحمل هذه الأماكن دلالة على إلى الحالة الاجتماعية والفقـــر الشديد الذي مرت به القدس.

كما أبرزت الرواية أماكن أخرى منها المقهى وهو مكان عام مفتوح يعبره العديد من الأشخاص ، " فقهوة الباسطي " مثلت حالة من الرخاء التي عاشتها القدس بعد أيـــام صـــعبه مرت بها المدينة المقدسة ، وخروج الناس للتسلية بعد فترة من الضيق عاشـــتها المدينـــة، " بمرور الأيام تحسنت الأوضاع في القدس، أصبحت المواد الغذائية متـــوفرة فـــي الأســـواق، بما فيها الطحين والسكر والشاي والقهوة، وأصبح الدكتور يقابل الأصدقاء في قهوة الباســـطي

مساء كل يوم، كان هناك بعض الرخاء، الأتراك تركوا فلسطين، والحرب قاربت على الانتهاء"[1].

تطورت الحياة في القدس خلال تلك الفترة، وبدأ المكان يتحدث عن تغير الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها القدس، عندما بدا سكان البلدة القديمة ينتقلون للإقامة خارج أسوار القدس، حين قرر الدكتور فؤاد " أن يبني بيتا جديدا خارج أسوار القدس..... إن الكثير من "بكوات " القدس وافنديتها قاموا ببناء منازل كبيرة وواسعة لهم خارج الأسوار، بعضهم ذهب إلى مناطق قرب باب العامود، أو باب الساهرة وبعضهم خرج إلى مناطق أبعد.... لكنه لم يبتعد كثيرا عن البلدة القديمة "[2].

ورد ذكر لبعض الأماكن في القدس خلفية لسير الأحداث منها طريق الآلآم، وباب الخليل، وجاء المكان على سبيل الوصف في مواقع أخرى من الرواية " كان عليهم المرور بمحاذاة السور باتجاه الغرب أولاً من باب الساهرة حتى باب العامود فالباب الجديد ثم الانحراف جنوبا نحو باب الخليل"[3].

برزت صورة المسجد الاقصى في هذه الرواية مكاناً مقدساً للصلاة، وطلب الحاجة، والدعاء، وذُكر الزلزال الذي ضرب أروقة المسجد الاقصى، وقبة الصخرة، وما أحدثه من تدمير كبير في البيوت، أثار هذا الحادث ألماً عميقاً في نفوس أبناء القدس، ودلالة المكان هنا تحمل اشارة إلى ثورة عام 1929 م أو ثورة البراق التي وقعت في القدس، وانعكست على سائر المدن الفلسطينية حين وقع عدد كبير من الشهداء وذلك احتجاجا على سياسة الانجليز ضد الفلسطينيين، لقد أرخ هذا المكان لحدث مفصلي في تاريخ المدينة المقدسة وفلسطين.

وتبقى القدس هي مركز صنع القرار في العالم الاسلامي، واستقطاب المؤتمر الإسلامي الأول حين " عقد في القدس مؤتمر إسلامي، عقدوه في اليوم الأول من شهر تشرين

---

[1] أبو السعود، عزام توفيق: **صبري**، القدس: الدائرة الثقافية للمسرح الوطني الفلسطيني (الحكواتي)، 2008 م، ص 48

[2] المصدر نفسه، ص 119

[3] المصدر نفسه، ص 174.

الثاني 1928 م وقد استنكروا فيه أي عمل أو محاولة ترمي إلى أحداث أي حق لليهـود فـي مكان البراق"[1]، تَعمدُ الرواية إلى إسقاط دلالة المكان للتذكير بواقع القضية الفلسـطينية، ومـا لاقته من دعم ومساندة في السابق، وما تحتاج إليه الآن من دعم للقضية الفلسطينية.

أما حائط البراق فهو دلالة الوجود العربي الإسلامي في القدس، إضافة إلـى دلالتـه الدينية العميقة كونه المكان الذي مر منه النبي الكريم في رحلته إلى السماوات العلا، وحمايته والدفاع عنه واجب، استدعى من العالم الإسلامي التحرك لحمايته وعقد مؤتمر من أجل ذلـك في مدينة القدس.

ولكن مما يؤخذ على هذه الرواية هو تركيزها على وصف الأماكن خارج القدس أكثر من القدس ذاتها، فقد استُنفذت صفحات عديدة في الحديث عن رحلةِ صبري إلـى بريطانيـا ووصف الأماكن هناك، وقد كان حرياً بالكاتب أن يركز على القدس ووصفه لها باعتبارهـا رواية القدس كما جاء في مقدمة الرواية.

أما الجزء الثاني من رواية عزام أبو السعود والمعنونة " حمام العـين "، ظهـر دال المكان فيها بداية من عنوان الرواية وهو حمام العين، وهو حمام شعبي قديم بني جـزء مـن سوق القطانين أوقفه الأمير سيف الدين تنكيز العام (1360) م، وهو من الحمامات القليلة التي بقيت تعمل حتى بدايات القرن العشرين.

حيث كان يذهب إليه رجال القدس للاستحمام والراحة، وظهر المكان شـاهداً علـى العديد من الأحداث الاجتماعية والسياسية التي مرت بها القدس، ويحمل دلالة عراقة المدينـة وأصالتها العربية عبر التاريخ، وليجسد بعض العادات والتقاليد داخل المجتمع المقدسي، التـي تميزت بها القدس عن سائر المدن الفلسطينية.

وحملت صورة الغلاف وصفا لشكل هذا المكان وهو الحمام التركي القديم، وبرز فيه الفن المعماري الخاص بتلك الفترة، كما عكست الصورة طابع الشخصيات التي كانت تتـردد

[1] العارف، عارف: **المفصل في تاريخ القدس**، ج 1، القدس: مطبعة المعارف، 1961 م، ص 402

عليه بلباسها العربي التقليدي، والشخصيات غير واضحة المعالم، والصورة بـرزت بـاللون الأبيض والأسود، لتعكس واقعا أليما تمر به هذه المدينة المقدسة.

برزت القدس في هذا الجزء أيضاً مكاناً لصنع القرار السياسي، وقبلة العبادة والصلاة، يلجأ لها أبناء فلسطين من مختلف مناطقهم، كما فعل أبو محمود صديق أسرة الدكتور فـؤاد، الذي قَدِمَ من سهل مرج بن عامر إلى القدس لعرض قضية الأرض التـي يملكهـا، وحـاول اليهودي بمساعدة مختار قريته خربة مبروك أن يستولي عليها " الكل نصحني بالرواح إلـى القدس، أشاور الزعماء هناك.... أشاور المفتي... روح عندهم وخليهم يوخذوك عند المشايخ والناس المهمين، منها بتصلي في الأقصى، ومنها بتشم الهوا"[1].

وهناك أماكن أخرى جاء ذكرها في القدس ، منها مقر البلدية الـذي عكـس الواقـع الاجتماعي، والصراع على السلطة داخل المجتمع المقدسي بين عائلتي النشاشيبي، والحسيني، ومحاولة كل طرف اجتذاب عدد من شخصيات القدس إلى جانبه ، حين استدعى كل طـرف منهم الدكتور فؤاد وابنه للدخول معه في الانتخابات.

أما المقهى هو المكان الذي يمر فيه الناس بشكل مؤقت، لتناول أحاديـث شخصـية، وتجارب خاصة، وهو دلالة على حالة الاستقرار الاجتماعي والسياسي المؤقت الذي تعيشـه القدس، حيث ذهب إليه صبري وصديقه الإنجليزي هنري، " ذهبنا سوية إلى مقهى في شارع يافا غرب المدينة، كان حديث هنري عن كينيا وعن الصيد وعن السفاري...."[2]، فقد يكـون للتسلية أو لمناقشة قضايا سياسية واتخاذ الرأي فيها حين ذلك يحمل المقهى بعدا آخـر غيـر كونه للتسلية وقضاء أوقات الفراغ عندما " كان الحوار ساخناً في قهوة الباسـطي فـي ذلـك اليوم، كان عدد من أفندية القدس يجلسون في حلقة حول الدكتور فؤاد بيك". إنه المكان الـذي يعكس طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية في تلك الفترة.

---

[1] أبو السعود، عزام توفيق: **حمام العين**، القدس: الملتقى الفكري العربي، 2009 م، ص 21

[2] المصدر نفسه، ص 51

وعرضت الرواية وصف بعض الأماكن في القدس منها شارع الواد، وباب الساهرة، وسوق القطانين، والمدرسة التنكيزية، وقهوة زعترة، وباب السلسة، وبـــاب الخليـــل، وبـــاب الأسباط، وحارة النصارى، والبلدة القديمة، وبرج اللقلق، وسوق الغنم، وهذه الأماكن مثلـــت خلفية لوصف الأحداث التي وقعت، حيث تتحرك فيها شخصيات الروايـــة، وأبـــرزت هـــذه الأماكن واقع المدينة خلال تلك الفترة .

أما روايات المقدسية ديمة جمعة السمان، قدمت صورة أخرى للقدس ففي روايتهـــا " برج القلق " بجزأيها الأول والثاني، تحدث الرواية عن القدس ووصفت المكان بما يحمله من دلالات وأبعاد سياسية واجتماعية وتاريخية عايشتها المدينة المقدسة.

وحمل عنوان الرواية منذ البداية دال المكان، وهو برج اللقلق الموجود في باب حطة والمطل على أسوار مدينة القدس، وأبرزته الكاتبة بقولها: " هناك في الطرف الشرقي الشمالي لسور مدينة القدس العظيم.. داخل البلدة القديمة يقع بيت ال عبد الجبار... في منطقة اســـمها برج اللقلق من حارة باب حطة، البيت كبير موغل فـــي القـــدم شـــيد علـــى نظـــام ســـالف الأزمان....." [1].

أطل بيت آل عبد الجبار يحمل دلالة المدينة المقدسة، فالبيت هـــو القـــدس العربيـــة الإسلامية القديمة بكل تفاصيلها وأصالتها، مدينة رغم ما أصابها صابرة مصممة على البقاء، وما يحدث داخل بيت عبد الجبار هو انعكاس للمجتمع المقدسي وما مر به من أحداث أثـــرت عليه، فهذا البيت الذي احتضن بين جدرانه أسرة عبد الجبار كبير العائلة، هو إشارة أيضا إلى الشعب الفلسطيني وما عاناه ويعانيه، وحمل هذا المكان الكثير من الأحداث بين جنباتـــه مـــن الفرح والحزن والفقر والغنى، والتاريخ العربي الأصيل، يحمل قيمة مادية ومعنوية كبيـــرة لا تقدر بأي ثمن.

[1] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج 1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005 م، ص 5

ظهرت القدس وأسواقها مركزاً تجارياً واقتصادياً وسياحياً ، يتبادل التّجارُ فيه البضائع، وقبلة للسياح الأجانب في هذه الفترة والفترات اللاحقة من تاريخ فلسطين والقدس " فمنطقة باب الخليل سوق تجاري نشط تعج بالبائعين والمشترين... أماكن تجارية كبيرة خاصة في مجال الحبوب والبقول.. وحسبة الخضار التي يصدر إليها ناتج أراضي القرى الغربية والجنوبية. فالقدس قلب فلسطين وساحة باب الخليل قلب القدس"[1].

أما أسوار القدس والبلدة القديمة، جسدت في تلك الفترة دور الأم التي تحتضن أبناءها بحرص وحنان كبيرين، وفرت الحماية لهم على مدار سنوات طويلة، فالأمان داخل هذه الأسوار ومن يخرج خارجها يعرض حياته للخطر، أسوار تبرز الماضي العريق، ومكان حمل لأهله الأمان والسلام على مر الزمن، " فالذي كان يخرج من حضن سور القدس في تلك الأيام كان يعتبر أنه في غربة، فخارج السور برية موحشة، فالمدينة كانت تقفل أبوابها قبل أن يحل الظلام تحتضن أبناءها بحنان وأمان"[2]

إنها المدينة التي أحبوها فأحبتهم ووفرت لهم الحماية والأمان على مر التاريخ داخل أسوارها، فبعيد عن القدس هو بعدٌ عن فلسطين، في اشارة إلى رفض الاغتراب وترك الوطن والدعوة إلى الصمود داخل القدس، أما عالم خارج الأسوار الذي مثل الرهبة والخوف هو رمز للعدو والخوف من مواجهته، وخروجهم خارج السور هو تحد لخوفهم، وقدرتهم على التغلب على المصاعب من حالة الفقر والعجز التي أثرت عليهم.

حارات القدس التي أبانت واقع المجتمع المقدسي، حملت هذه الحارات دلالة الوحدة واللحُمة بين أبناء المدينة الواحدة، يهب كل منهم للعون والمساعدة عند الحاجة، حارات القدس التي تكتلت كجسد واحد عندما استغاث عبد الجبار بهم لمساعدته " كان قد تجمع بشر كثير من حارة السعدية، وحارة باب حطة، وحارة الواد، يحملون المشاعل"[3].

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج 1، ص 9

[2] المصدر نفسه، ج 1، ص 16

[3] المصدر نفسه ، ج 1، ص 40

والمكان في الرواية يحمل ثنائية ضدية، فيها تناقض واختلاف. عالم داخل الأسوار في القدس الذي يمثل السكينة والأمان والاستقرار لأبناء البلدة القديمة، في مقابلـه عـالم خـارج الأسوار بما يحمله من خوف من المجهول لا يعرفونه، مكان لاستقرار المجـرمين وقطـاع الطرق، عالم الأرواح والجان، عالم مجهول، يخشى الخروج إليـه سـكان البلـدة القديمـة، ويتمسكون بالبقاء داخل أبواب القدس، التي تمثل لهم الطمأنينة من غزو الأشرار، " المكـان داخل السور شيء... وخارجها شيء آخر يا عبد الجبار وهذا ما لا تستطيع انكاره"[1].

ويحملُ المكان أيضاً دلالة صراع بين الخير والشر، ينتصر فيه الخير ممثلا في عبد الجبار، ليفتح لأهل المدينة داخل السور عالماً آخر للخروج منه " قال عبد الجبار: الدنيا كلها خارج السور يا أبا الطاهر.. هيا اخرج وتعرف عليها... فخارج السور عـالم آخـر... لـو تتعرفوا عليه... تستمتعون بعجائب الدنيا وتحبونها"[2].

وفي الجزء الثاني من هذه الرواية كان الجبل هو دلالة العزة والشـموخ والمقاومـة، وحملت جبال القدس بشموخها وكهوفها وأوديتها هذه المقاومة التي قادها عبد الجبار مع غيره من المقاومين ضد اليهود والانجليز عندما " اشترى بندقية انجليزية الصنع من مهرب سـلاح بدوي.. يأتي به عبر النهر.. واستوطن الجبال مع الثوار.. وذاع صيته مناضلاً شجاعاً.. "[3]، ومقاومة عبد الجبار هي رمز للمقاومة الفلسطينية ضـد الاسـتعمار البريطـاني والأطمـاع الصهيونية.

أما ما حدث لبيت عبد الجبار فقد كان انعكاساً لمآل القدس التـي انتهكـت حرمتهـا ومقدساتها وقتل خيرة أبنائها ، جاء ذلك على لسان نعيمة زوجة علي تخاطب ابنها عبد الجبار الحفيد بعد اقتحام اليهود لبيت آل عبد الجبار واستشهاد الجد والوالد " اقـتحم اليهـود دارك..

---

[1] السمان، ديمة جمعة، **برج اللقلق**، ج 1، ص 63

[2] المصدر نفسه، ج 1، ص 63

[3] المصدر نفسه، ج 2، ص 233

دخلوها فاتحين.. وخرجوا منها آمنين ولم أرَ منك سوى الدموع.. يـا لعـاري فيـك أنـت وأخوتك"[1].

كان سوق خان الزيت دالا على التحول الاقتصادي والسياسي الذي حدث في القدس، عندما انتقل عبد الجبار الحفيد للعمل في محل جده بعد استشهاد والده، حين " استلم حـانوت جده في سوق خان الزيت، ولما أصبح بيع الفحم والخضار.. غير مجـدي.. درس أوضـاع السوق.. وبدل مهنته إلى هدايا فلسطينية تراثية "[2].

كل ما في القدس هو مكان طاهر يحمل قداسة خاصة يستحق الدفاع عنها وحمايتهـا، ليس فيه مكان لعميل أو خائن " ماذا تفعل هنا.. إنه مكان مقدس طاهر.. ليس لك فيه حيز... كل بقعة في القدس مقدسة طاهرة يا أمي"[3].

ورد ذكر لبعض حارات القدس منها حارة اليهود، وحارة النصارى، وظهرت بوصفها أماكن وقعت فيها العديد من المعارك مع اليهود، وبرزت في الرواية لوصـف أحـداث هـذه المعارك، ليحمل المكان دلالة عمق المقاومة في القدس ودفاع أبناء القدس عنها.

أما روايات ديمة السمان الأخرى والتي كان حضور القدس فيها أقل كثافة من غيرها فقد كانت روايتها بعنوان " الضلع المفقود "، التي ظهرت استهلالية الرواية بالمكـان بـذكر " حي الواد " في القدس وهو حي يحمل دلالة عراقة التاريخ في المدينة المقدسـة منـذ أقـدم الأزمان " قبل أن تصبح القدس مدينة تلتف حولها الأسوار السبعة على مر العصور"[4].

وبيت سليم العطار في حي الواد فيه الحب والدفء، وبيوت القدس متماسكة متحابـة، يتعاون كل منهم مع الآخر، فبيت سليم العطار هو دلالة البيت المقدسي بتماسكه وحبه وتوحد أبنائه.

[1] السمان، ديمة جمعة، **برج اللقلق**، ج 2، ص 331

[2] المصدر نفسه، ج 2، 333

[3] المصدر نفسه، ج 2، ص 446

[4] السمان، ديمة جمعة: **الضلع المفقود**، ص 3

أما المسجد الأقصى فهو قبلة المسلمين، تستقطبهم من كل مكان في الأرض، ومن كل جنس ولون، عندما" جاء ذات يوم إلى المدينة رجل هندي عجوز مع زوجة تعــدت مرحلــة الشباب.. فبدت سيدة جميلة لها قامة طويلة مشدودة.. جاءا إلى المســجد الاقصـــى لتقــديس حجتهما بعد أن أديا فريضة الحج"[1].

وكانت القدس بأسواقها، منها سوق خان الزيت وما به من حركة تجارية وحوانيــت، هي انعكاساً لقلب القدس النابض، ومركزاً اقتصادياً وتجارياً لكافة فلسطين، يردُ إليها الباعــة والمتجولون من القرى والأرياف المجاورة " وتتدفق القرويات داخل السور آتيات من قراهن يحملن سلال الخضرة والفواكه بما جادت به الأرض والشجر يبعنها ويتكســبن أرزاقهــن.. وتفتح الحوانيت وتنطلق نداءات الباعة"[2].

لقد كان للآبار القديمة دلالة على الحياة في هذه المدينة، حفر سكان القدس هذه الآبار لتوفير المياه لهم في الفصل الذي تجف فيه العيون ، والينابيع اشارة لاستمرار صمودهم فــي وجه الطبيعة، ومقاومة المحتل الذي يحاول السيطرة على هذه المياه للتضيق على سكانها.

قاوم أهل القدس على أسوارها التي مثلت رمزا للصمود والمقاومة والتحدي لكل معتدٍ، فلطالما كانت هذه الأسوار على مر التاريخ تقام للحماية ورد كيد المعتدين فهذه الأسوار هــي رمز لحماية من الأعداء فبدأ الرجال يتصايحون " إلى الأسوار أيها الرجال.. فالقدس تناديكم.. هيا إلى الجهاد"[3].

رحلة العودة للقدس والحنين للطفولة وبيت الأهل، وهي المأمن والملجأ فــي الشــدة والحاجة بعد طول غربة وسفر المكان الذي عاد له عياش بعد طول الغربة " في صباح اليوم التالي أخذ عياش القطار إلى مدينة القدس مسقط راسه ومرتع طفولته ودار أبيــه وحــانوت

[1] السمان، ديمة جمعة: **الضلع المفقود**، ص 9

[2] المصدر نفسه، ص 6 – 7

[3] المصدر نفسه، ص 11

أهله"[1]. فالقدس هي الموطن الذي يجذب أبناءه بعد طول غياب، يعود لها مهما طال الــزمن، وهذا ما فعله عياش بعد أن عاد إلى القدس بعد ابتعاده عنها واقامته في الهند عند أهل والدتــه مجبرا بسبب النزاعات العائلية التي قامت بين آل لقمان وآل العطار في القدس.

كانت أحياء القدس داخل سور البلدة القديمة شاهدا على صراع عائلي واشـــارة إلـــى الحياة الاجتماعية داخل القدس، وانقسام أبناء المدينة المقدسة فيما بينهم " وكان منظرا غريبا.. فنصف الحي يتلألأ بالأنوار.. وتنتشر فيه الزينات.. وتنطلق منه الزغاريد.. ونصف الحـــي الأخر الذي يسكنه آل لقمان مظلم ساكن ساكت فيه حزن وكآبة"[2].

ورد ذكر لأماكن أخرى في القدس منها أسوار القدس و جبالها وأوديتها، باب الـــواد ودير ياسين بالقرب من القدس كلها كانت شاهدا على فترة تاريخية من تاريخ المدينة المقدسة، ومقاومتها ضد المحتلين من الانجليز ثم اليهود.

وفي روايتها " القافلة " كان حضور القدس فيها خافتا على خلاف روايات ديمة السمان السابقة، عادت القدس في هذه الرواية لتطل باعتبارها مركزا تجاريا هاما، واشارة للأهميـــة الاقتصادية باعتبارها بؤرة اقتصادية ليس للقدس وحدها بل لكافة أنحاء فلسطين، " سارت قافلة صابر إلى القدس حيث تجمعت جرار الزيت من أنحاء القرى الفلسطينية من القدس وقراهـــا، ورام الله وقراها، ونابلس وقراها"[3].

نقطة لإبرام الصفقات التجارية وخاصة تبادل زيت الزيتون بتمور الحجـــاز، خـــلال الرحلة التي كان يقوم بها حمدان البدوي وابنه صابر عبر الصحراء للحجاز او لبلاد المغرب العربي " وصلوا الى مدينة القدس وسلموا البضائع الى اصحابها وأنهوا حساباتهم"[4].

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **الضلع المفقود**، ص 105

[2] المصدر نفسه، ص 192

[3] السمان، ديمة جمعة، **القافلة**، ص 30

[4] المصدر نفسه، ص 101

وعاد سوق خان الزيت في القدس ليحمل طابع العراقة العربيــة الاصــيلة، ودلالــة تواصله بأصوله العربية " سوق خان الزيت الذي يذكره بالأسواق الشعبية العربية العريقة في بغداد ودمشق والقاهرة"[1].

ظهرت بعض الأماكن في هذه الرواية منها "عقبة علــوان، بــاب الخليــل، ســوق العطارين" جسدت هذه الأماكن وغيرها في القدس دلالة الحب والأمان والدفء الاسري الذي تمنى ابن حمدان البدوي وأحفاده العيش فيها حياة كريمة مزدهرة.

أما في ثنائيتها " وجه من زمن آخر " و" بنت الأصول " ظهرت بعض أحياء مدينــة القدس منها حي الواد، وحي السرايا، لتعكس واقعاً غريباً عاشته المدينة فــي ظــل انتشــار الشائعات والخرافات في تلك الفترة والتي قيدت حياة الناس عندما " عاد آل رشيد من موســم النبي موسى.. ليجدوا أن شهرة مريم قد سبقتهم إلى مدينة القدس.. وبالذات حــي الســرايا.. وحي الواد..، أصبحت مريم الاسطورة التي قوضت عرش المبروكة " [2]، فهي أحياء مفتوحة يعبرها أطياف مختلفة من البشر والسياح وتقام فيها عديد المناسبات الدينية، وملجأ للطــرق الصوفية، هذه الأماكن هي دلالة للتنوع الفكري والديني فيها، وشاهدٌ على أحــداث سياســية وظروف اقتصادية واجتماعية عاشها أبناء القدس.

بوابات القدس هذه الأماكن التي حملت ثنائية متناقضة، هي المكان الذي عكس الأمان لأهل القدس عندما كانت تغلق ليلا خوفا من المعتدين، أصبحت هذه البوابات في فترة الحكــم البريطاني سجننا تغلق على سكان البلدة القديمة لمنعهم من التنقل عند وقوع المظاهرات.

أما المنازل القديمة والتي احتضنت دفء الأسرة المقدسية، وحملت دلالــة وعراقــة وأصالة المدينة المقدسة وما بها من كنوز مدفونة، فأرض القدس وترابها هي الكنز الحقيقــي الذي يريده كل طامع.

---

[1] السمان، ديمة جمعة، **القافلة**، ص 197

[2] السمان، ديمة جمعة، **بنت الأصول**، ص 5

صورة القدس في هذه الثنائية ظهرت قبلة أهل الأرض، والمكان الأكثر قداسة، جاء هذا على لسان الدليل مصطفى عندما قال لمريم " تعلمين أن مدينة القدس قبلة أهل الأرض جميعا.. على اختلاف لغاتهم وديانتهم.. يهود.. مسيحيين.. مسلمين.. وغيرهم من عبدة البقر والنار.. إلى آخره من المذاهب والديانات التي لا عد لها.. ولا حصر.. يقال أنها تعد بالمئات"[1].

ثنائية المكان تجسدت أيضا بين حي السرايا وحي الواد، بين مكان موحش مخيف تعرضت فيه مريم للاعتداء عندما حاول الدليل المقدسي مصطفى الاعتداء عليها " فوق درجات عقبة السرايا. وهم أن يحضنها.. حتى أنشبت أظفارها في وجهه تدميه.. وهي تصرخ بأعلى صوتها.. النجدة.. النجدة يا عرب " [2]، ومكان آمن عاشت فيه بأمان في ظل آل رشيد " أنت في أمان يا ابنتي.. لا تخشي شيئاً.. أنت في بيت الحاج رشيد شيخ الحارة وكبيرة.. لن يجرؤ أحد أن يمسك بسوء.. وأنا مجيرك " [3]، هو المكان الذي عاشت فيه مع آل رشيد الأسرة التي أحبتها وحمتها.

وهناك شارع يافا والملهى الليلي وهي الأماكن التي يذهب لها الأجانب والجنود البريطانيون، ينطلقون منه لحياة اللهو، وهو رمز للوجه القبيح للقدس، وليحمل دلالة أن هذا المحتل لا يحمل أي هدف أو رسالة في احتلاله لفلسطين سوى الجري وراء الشهوات واللذات وسلب أهل البلاد خيراتهم.

وسور القدس المكان الأكثر قوة وصلابه هو أول الأماكن التي شاهدتها مريم عند دخولها المدينة " سور مدينة القدس العتيد.. تتحسس حجارته الصلبة النافرة القاسية.. بعيون الشوق.. كنز من التراث.. خلفه الأجداد للأحفاد تاريخ عز وكرامة وصمود.. شاهد على مر

[1] السمان، ديمة جمعة: **وجه من زمن آخر**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011 م، ص 34

[2] المصدر نفسه، ص 70

[3] المصدر نفسه، ص 71

العصور.. إننا بناة حضارة.. " [1]، رمز لمنعة المدينة، وأصلة الأجداد، حجارتها فارس عربي يقف في وجه المحتل الغاصب، لتدفع بالمعتدين وتحمي أبناءها.

أما رحلة السيد المسيح عبر طريق الآلام والألم والمعاناة التي مر بها، هي رمز لرحلة معاناة الشعب الفلسطيني، والطريق التي سار عليها الفلسطيني في مقاومة المحتل " من باب الأسباط.. إلى طريق الواد.. وعقبة السرايا.. إلى سوق خان الزيت.. وحتى كنيسة القيامة.. كانت تنزف قطرات دمه.. تطهر أرض بيت المقدس.. وتشهد الرب على معاناته.. وقسوة بني قومه عليه.. وشدة ظلمهم له"[2]، هي رمز لمعاناة القدس، ورمز أيضا لطهارتها وتخلي أبناء العروبة في الدفاع عنها.

وورد ذكر لبعض الأماكن خلفية للأحداث التي تنقلت من خلالها الشخصيات وحملت ذكريات في حياة أبطالها، حارة النصارى، ومستشفى الهوسبيس، وسوق الشماعة، وحي الطالبية، وسجن القشلة، وباب الخليل، ودائرة الآثار، وجورة العناب، وحي باب السلسلة، وسويقة علوان، والحرم الشريف، والشيخ جراح.

تلقي رواية " خلود " لسمير الجندي بأضوائها على القدس،، حيث ظهرت صورة الغلاف على قسمين، أبرز القسم الأول منها مدينة القدس العتيقة من خلال مقطع طولي وبرزت صورة المسجد الأقصى وقبة الصخرة، تحيط بها بيوت القدس، وشمس مع المغيب تظهر في الافق البعيد باللون البرتقالي، أما القسم الثاني فهو صورة امرأة تحمل قيثارة وتجلس القرفصاء في وضع جنيني، القدس بأحيائها وحاراتها ومدارسها ودور عبادتها الاسلامية والمسيحية، وزواياها وتكاياها ومحلاتها وعقباتها، كل مكان فيها دال على أحوال اقتصادية واجتماعية عاشتها المدينة، وتأريخ لواقع سياسي مرت به بكل ألمه.

أطلت القدس المدينة الضائعة المحتلة بعد حرب حزيران، والشاهدة على عمق مأساة التهجير عندما " عدنا إلى الملجأ،... كان معتما قذرا، لم تغادره رائحة الروث،... أرضيته من

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **وجه من زمن آخر**، ص 7

[2] المصدر نفسه، ص 8

التراب المشبع بالرطوبة، وجدرانه عارية"[1]، تجسدت المدينة من خلال الملجأ الذي حمل دلالة الواقع المرير الذي آلة له مدينة القدس بعد الاحتلال.

القدس هي المكان الحامل عمق المعاناة الفلسطينية، يحمل ذكريات التشرد واللجوء " كانت الطريق خلفنا خالية تماما، فالعودة باتجاه القدس مستحيلة"[2]، ولكنها تبقى المدينة حلم العودة لأبنائها الذين استعدوا للتضحية بكل شيء في سبيل العودة لها.

تنقلت الرواية بين العديد من الأماكن في القدس، ووصفتها بدقة بتفاصيل واضحة ودقيقة مرة، أو بتفاصيل أقل مرة أخرى، ووصف الأماكن كان وصفا دقيقا حيث أن كاتبها عاش المكان بتفاصيله، ولكن الرواية تعرضت لوصف أماكن أخرى في غير فلسطين منها تايلند وإن كان هذا الوصف فيه من الإقحام في أحداث الرواية، لطول عدد الصفحات التي تحدثت عن تايلند والرواية كما يتحدث كاتبها هي رواية حول القدس.

أبرزت الرواية بعض أزقة القدس وحاراتها وعتباتها، هذا ما قاله بطل الرواية حكيم في حنينه للعودة للقدس " إلا أنني أحن كثيرا إلى القدس، وحاراتها وأزقتها.. ليتني الآن أجول في أحيائها، بخطوات منسابة بين الأزقة العتيقة.. أمر حالما من باب الساهرة أعانق حارة السعدية"[3]، الممرات والأزقة ترتبط بتراكمات تاريخية ماضية، تعود إلى زمن الصراع، علامة فارقة بين النصر والهزيمة، وترمز إلى الأمل الجاد والعمل الحثيث على الصعيدين السياسي والنضالي.

أما منجرة السكناجي الذي عمل فيها حكيم تسعة وعشرين يوما " وعندما حضرة في اليوم الثلاثين كعادتي للعمل واستلام أجرتي، كانت المنجرة مغلقه.. كيف أرجع البيت دون أجرتي؟ ماذا سيحل بأمي؟"[4]، المنجرة هي مكان معاد، رمز لمعاناة مريرة لم يعشها حكيم رغم آلامه، وفي ذلك انعكاس لعدوانة الآخر تجاه كل ما هو فلسطيني، أما موقف الفلسطيني منهم

---

[1] الجندي، سمير، **خلود**، ص 19 – ص 20

[2] المصدر نفسه، ص 34

[3] المصدر نفسه، ص 73

[4] المصدر نفسه، ص 91

بأن " كلهم متشابهون، وعيونهم رمادية فيها القسوة والخبث، والحقد.. كلهم متشابهون.. لـــن أعمل عند أحد منهم ما حييت"[1].

ومن الأماكن التي ذكرت في الرواية حيث وقعت فيها أحداث الرواية، القدس القديمة، قبة الصخرة المشرفة، والمسجد الاقصى، وحوش الشاي، وحوش الغزلان، وحارة الشـــرف، وباب العامود، والمقبرة اليوسفية، وباب الساهرة، وباب الأسباط، وسوق خان الزيت، وسوق العطارين، وسوق الدباغة، والمدرسة العمرية، والمدرسة الرشيدية، وحارة السعدية، وشـــارع صلاح الدين، وشارع الزهراء، وشارع السلطان سليمان، وعقبة الميلوي، والمدرسة الميلوية، وعقبة المفتي، وعقبة الخالدية، وعقبة السرايا، والقيرمي، وبيت حنينا، وطريق الالام، وزقاق الزاوية النقشبندية. مثلت هذه الأماكن ثنائية الحب والأمن والاستقرار لساكنيها من جهـــة، أو مكان فيه ذكريات الخوف والألم والحزن عاشها حكيم مع أسرته في القدس من جهة أخرى.

فزقاق النقشبندية في القدس حينها كان فضاء معاديا بفعل الاحتلال، وهو مكان أليـــف عند خلوه من الجنود، فهذا المكان عكس جانب الشخصية الطموحة والخائفة . هـــذا الخـــوف والقلق ظهر على علاقته بالمكان، بل شعر نحوها بالعداء والكراهية، وهي أماكن يقـــيم فيهـــا الإنسان تحت ظرف إجباري، وأصبح بيت أم سعيد فضاء أليفا، كما أن السجن مكـــان غيـــر أليف بل هو مكان معاد لا يشعر فيه بألفة وعلاقته بالشخصية علاقة قلق وتوتر وخوف، فهو فضاء معادٍ، فقد دخل السجن الراوي مدة عام كامل وعندما خرج من السجن أصبح بيته هـــو الفضاء الأليف[2].

حتى أسماء هذه الاماكن تعرضت في القدس للتغير والتحريف وحملت دلالـــة واقـــع جديد يحاول الاحتلال فرضه على المدينة المقدسة " هم يغيرون أسماء الشوارع، صار الوادي " حاجاي "، والمصرارة " نفئيم "... والقدس كل القدس صار اسمها " أورشليم"[3].

---

[1] الجندي، سمير، **خلود**، ص 92 – ص 93

[2] ينظر، جابر، عبد المجيد: **جماليات المكان في رواية خلود**، ص 24

[3] الجندي، سمير: **خلود**، ص 187

صورة القدس بين ثنائية الحلم والواقع ظهرت في رواية " عاشق على أسوار القدس " لعادل سالم، حيث أبرزت صورة الغلاف سور القدس العتيق ومن وراءه المسجد الأقصى، وقد كسى ليل مدينة القدس حلة سوداء، هو ليل العاشق كما حمل عنوان الرواية، لكن سماء القدس بنجومها وقمرها يضيئ ليلها المظلم، وأمام السور وقف حصان البراق الحصان الأبيض المجنح فاردا جناحيه مع ضوء يخرج من أقدامه، في اشارة إلى رحلة الإسراء والمعراج عندما حُمل النبي الكريم وصعد من صخرة المعراج إلى السماوات العلا في رمزية للمكانة الدينية المقدسة التي تتمتع بها المدينة وابراز مدى عشقه للقدس وحبه لها، حلم العودة للقدس، صورتها في الذاكرة قبل سفر بطل الرواية سرحان لدراسة المحاماة والعمل في أمريكا، ولد فيها وعاش أيام الطفولة في البلدة القديمة، ودراسته في المدرسة البكرية حملت الكثير من الذكريات

أما صورة القدس داخل أبنائها في الغربة مشرقة لطالما باتت محط جذب لهم " أن تكون في المسجد الاقصى وقلب القدس ومركز ثقلها، يعني أنك في قمة تاريخ الإنسانية وحضارتها... سلوان، والمكبر، وجبل الطور، الذي يقف شامخا كشموخ أهلها، كأنها حارسها الأمين"[1]، إنها أجمل مدن الدنيا، تستحق التضحية بالمال وحتى بالنفس، ترك سرحان كل نجاح له في أمريكا وعاد للقدس، ليسقط عاشقاً صريعاً على أسوارها.

صورة الحلم الذي عاش بداخله في مقابل صورة الواقع الموجود والمعاش في القدس، الواقع الأشد إيلاما، جانب آخر لصورة القدس وخاصة بعد اتفاق اوسلو، واقع سياسي جديد متمثل في تصاعد وتيرة بناء المستوطنات داخل القدس وخارجها مما يؤثر بشكل واضح على ديموغرافية المدينة " عشرات المستوطنات المحيطة بالقدس وفي داخلها... أصبحت بعض المناطق السكنية اليهودية في النبي يعقوب ملاصقة للبنايات العربية"[2] .

[1] سالم، عادل: **عاشق على أسوار القدس**، ص 9

[2] المصدر نفسه، ص 43

وهناك جزء آخر من الصورة يتمثل في تهجير الفلسطينيين من القدس والعمل على تفريغها من ساكنيها الأصليين، من خلال سحب الهويات وحق المواطنة بالرغم من الحق التاريخي للفلسطينيين في القدس " نسكن القدس منذ آلاف السنين، واسرائيل تريد طردنا على الرغم من أنها منحتنا سابقا رغما عنا بطاقات هوية زرقاء"[1].

أما الواقع الاجتماعي الصعب فهو جزء آخر من صورة القدس وما يتعرض له أبنائها بسبب اعتداءات المستوطنين عليهم بشكل ممنهج " فالناس بشكل عام أصبحوا يخافون على أولادهم من حوادث اعتداء المستوطنين عليهم، أو حواجز التفتيش المتنقلة"[2].

وأبرزت الرواية أماكن في القدس مثلت بعداً لأحداث الرواية التي تنقل فيها الأبطال منها: باب خان الزيت، وسوق العطارين، وباب السلسلة، وسوق اللحامين، وطريق الآلام، وشارع الواد، حملت هذه الأماكن صورة لذكريات عاشوها في القدس محملة بالألم والأمل والحب.

أما القدس في روايتي أسعد الأسعد " ليل البنفسج " و" عري الذاكرة "، فقد جسدت هدف العودة بأي ثمن لبطل الرواية حتى لو كلفه ذلك حياته عندما عاد إليها متسللا عبر نهر الأردن بعد أن نزح عنها من قريته " بيت محسير " بالقرب من القدس " يجب أن أعود بأي ثمن. ولن يردني عن القدس غير الموت"[3].

صورة القدس هي حلم العودة لأبنائها، والتي تستحق التضحية من أجلها فزيد الذي فضلها على كل مدن الدنيا يضحي في سبيل ذلك، طريق العودة صعب ومحفوف بالمخاطر " الطريق إلى القدس، تتلوى مثل أفعى رقطاء، وسط تلال جرداء... إن الإسفلت صار أكثر سوادا، والطريق أكثر تعرجا "[4]، حمل هذا الوصف دلالة الواقع المؤلم الذي وصلت له القدس بعد حرب حزيران، واستحالة الوصول للمدينة في ظل هذا الوضع القائم أبان الحرب.

---

[1] سالم، عادل: **عاشق على أسوار القدس**، ص 97

[2] المصدر نفسه، ص 39

[3] الأسعد، أسعد عبد المنعم: **ليل البنفسج**، ص 10

[4] المصدر نفسه، ص 50

القدس حبيبة جميلة كما تركها قبل نزوحه إلى الأردن فبيت حنينا، وبـــاب الســـاهرة، وشارع صلاح الدين، والبريد، والشيخ جراح لم تتغير وكل ما تغير في المكان " هو هذا السيل من الغرباء، تعج بهم شوارع المدينة، مناظرهم لا توحي بأنهم سياح"[1]، كل ما في القدس مـــا زال محتفظا بأصالته وعروبته لم يتغير فيها سوى هؤلاء الدخلاء عليها.

جاءت الرواية على ذكر بعض قرى القدس وهي جزء من تاريخ المدينة والتـــي لـــم تسلم من هجمات اليهود الذين دمروا كثيرا منها واحتلوا بعضها وغيروا أسماء بعضها كمـــا حدث لقريته " بيت محسير " والتي يسمونها " بيت مئير "، من القرى التي دمرت (لفتا، عـــين كارم، قالونيا، ساريس، عمواس).

أما روايته " عري الذاكرة " فكان حديثه عن القدس فيها من خلال رحلة زيد وأسرته ووصف المكان من خلال الذكريات التي حملها أبو زيد عن القدس وسردها لأسرته معتمـــدا على الحديث بالفعل الماضي الناقص " كان " ، فصورة القدس هي التاريخ الماضي الذي كان وما وقع فيه من أحداث وما حمله من ذكريات ، ووصف ما شهده هذا المكان من تغيرات بعد الحرب " هذه هي بيت حنينا، كان أهلها أول من عرفوا أمريكا... وهذه هي التلة الفرنســـية، هنا كان الجيش الأردني، وها هي خنادقه، وهنا كان السور الفاصل بـــين القـــدس الغربيـــة والشرقية"[2].

المدينة التي يسكنها أو يزورها كل البشر على اخـــتلافهم إلا أصـــحاب الأرض مـــن الفلسطينيين وأهلها من المقدسيين، وعندما تزورها تجد نفسك في وطن غريب، فهذا المكان لم يعد لك وجود فيه وأنت صاحب الحق هنا، قال زيد: " بشر من كل الملل، وكل الأجنـــاس... هنا في القدس، تسمع لغات العالم كلها وتبحث عن موطئ قدم، فتحس بالغربة، كأنك من بلـــد غريب"[3].

---

[1] الأسعد، أسعد عبد المنعم: **ليل البنفسج**، ص 53

[2] الأسعد، أسعد عبد المنعم، **عري الذاكرة**، رام الله: بيت المقدس للنشر، 2003، ص 112

[3] المصدر نفسه، ص 112

صورة القدس التي تحيا في الذاكرة المقدسية المغتربة خارج الـوطن، ظهـرت فـي رواية "عائد إلى القدس" لعيسى بُلاطة، ليسرد من خلال روايتـه ذكريـات المكـان بداخلـه والأماكن التي عاش وتنقل فيها في القدس قبل رحيله عنها، ولكنها تعيش بداخلة ليعلن العودة لها، رافعاً بذلك حق العودة للقدس كما حمل عنوان الرواية " اني أود أن أعود الى القدس فهي أحب مدن الدنيا إلي"[1].

فحي القطمون في القدس هو الحي الذي عاشت فيه وداد أيام الطفولـة، فيـه ثنائيـة مناقضة هو المكان الآمن الذي شهد ذكريات الطفولة الأولى والحياة الأسرية الهادئة، ما لبـث المكان إلى أن تحول إلى مكان معاد سكن في طياته الخوف والرعب والألم مع بداية احـتلال اليهود للمدينة، وبقي حلم العودة لبيت الطفولة مستحيل التحقيق بعد احتلال اليهود للحي.

أما باب الخليل، والبلدة القديمة حيث بيت جدها العتيق ذو الأقواس القديمـة، حمـل المكان ذكريات الصبا وجزء من ذكريات الشباب، مكان أحست فيه بالوحشة والغربة لما شهده من أحزان وآلام لا تنتهي بعد أن تركت بيت أسرتها في القطمون بعد النكبة.

أما سور القدس الذي يلتف حول المدينة بقوته وشموخه، حمل دلالة الفارس المـدافع عن القدس وحماية سكانها الذين يقيمون بداخلها " إن المناضلين الفلسطينيين... قد اسـتحكموا بسور القدس وقتلوا بأسلحتهم من عليائه أعدادا كبيرة من أفواج الصهيونيين الهاجمين"[2].

حارات القدس وأسواقها أماكن مثلت ذكريات الطفولة التي عاشتها وأصـدقاء الصـبا فؤاد وجليل وماجدة وتنقلت بين أسواقها (سوق القطانين، والنحاسين، وخان الزيت) لتشير إلى حياة تجارية وحرف مختلفة عمل بها أهل القدس. وصف المساجد والكنائس التي حملت دلالة القداسة والخصوصية فيه.

---

[1] بُلاطة، عيسى: **عائد إلى القدس**، ص 127

[2] المصدر نفسه، ص 86

أما حارة اليهود الذي انعكس وصف المكان فيها ليمثل الخوف وعدم الاستقرار عندما شاهدوا " بدهشة لأول وهلة مدى الدمار الذي لحق طرقاتها وأسواقها ودورها وكنسها"[1]، مكان غير آمن حين استشهد فيه بدر شقيق وداد الصغير بقنبلة يدوية كان يلعب بها ظناً منـــه أنهـــا لعبة أطفال.

بدت القدس في رواية عارف الحسيني " كافر سبت "، كما وصفها الراوي من بدايـــة الرواية عندما عاد تاج الدين إليها " فعاد وأبناؤه وزوجته يجرون أمجاد الماضي وذل الحاضر إلى القدس"[2]، واقع المدينة الأليم بعد انتهاء فترة الحكم العثماني وبداية الاستعمار الإنجليـــزي حتى الاحتلال الصهيوني، القدس هنا حاضر ذليل ومجد غائب.

بين تصور الأنا والآخر حول ما تمثله الأرض لكليهما، هذه المفارقة هي التي صنعت الفرق التاريخي حول أحقية امتلاك الأرض بين صاحب الأرض المتشبث بها ومن له الحـــق في البقاء عليها، وبين من جاء إليها من بعيد لا وطن له سيرحل عنها حيث أتى ولو بعد حين لأنهم " لم يدركوا أن الفلسطيني باقٍ في بيته وأرضه، مهما فعلـــوا، فمفهومنـــا عـــن الأرض والوطن وارتباطنا ببيوتنا وقبورنا، يختلف تماما عن مفهومهم عنها"[3].

كل مكان في القدس مهدد بالمصادرة في أي حين، من فـــرض الضـــرائب العاليـــة " الأرنونا "عليهم، فالوجود الفلسطيني هو رمز للمقاومة في وجه المحتل، الذي يعمل جاهدا من أجل ترحيلهم عنها " مقابل ضريح الست طنشق... [4]، إحدى العائلات التي كانت تسكن خلـــف الضريح قد فتحت بابا لتدخل الغرفة وتستخدمها بسبب أزمة السكن في القدس، وخوفهم علـــى

---

[1] بُلاطة، عيسى: **عائد إلى القدس**، ص 88

[2] الحسيني، عارف: **كافر سبت**، ص 13

[3] المصدر نفسه، ص 41

[4] ضريح الست طنشق: دار الست وكانت تسمى الدار الكبرى، بنتها الست طنشق بنت عبد الله المظفرية بين سنتي 794 – 800 ه – 1392 م – 1398 م، وفي شمال هذه الدار التربة التي بنتها الست طنشق نفسها. وهي مدفونة فيها. توفيت بالقدس.. كانت تسمى بتربة الست، ويسميها أهل القدس (تربة خاصكي سلطان) وتقع فيما يعرف بعقبة التكية بين سوق خان الزيت وحارة الواد. – ينظر، العارف، عارف: **المفصل في تاريخ القدس**، ص 207

فقدان حقهم في العيش داخل المدينة بسبب سياسة سحب الهويات المقدسية"[1]، بهـذه الصـورة ظهرت حياة المقدسيين في القدس، وشهد المكان على عمق المأساة التي يعيشها المقدسيون من تضيق لإجبارهم على الرحيل عنها.

كما رمزت الأماكن للتعددية الدينية داخل المدينة منذ القدم، ومنح الأقليـات الدينيـة حقوقهم فوق هذه البقعة الطاهرة، والذي تحول إلى مبنى لبلدية الاحتلال " الذي يسـمى (دوار سفرا) مقابل باب الحديد، في سور القدس، والذي فتح أيام السلطان عبد الحميد الثاني، آخـر سلاطين الدولة العثمانية، وهذا نزولٌ عند رغبة الحجاج الفرنسيسكان"[2].

أما باب الأسباط وهو أحد الأبواب للسور الشرقي للقدس حيث قدم المكـان بوصـف لتفاصيله " وهو أحد الأبواب الجميلة للمدينة، تزينه أربعة أسود حجرية محفـورة فوقـه " [3]، حمل المكان هنا ثنائية ضدية بين ما يحمله من لحظات الفرح عايشها أهل القدس في العيـد " ترتبط ذاكرة الطفولة في منطقة باب الأسباط وساحة " تومـا تومـا " المحاذيـة بـالمراجيح والألعاب.. التي كنا نركبها في جولات قصيرة ندفع أجرتها من العيديات، والتي كانت تنصب هناك أيام عيد الفطر، وعيد الأضحى"[4]، وبين لحظات الهزيمة، وهو رمز لسـقوط المدينـة، وبداية المعاناة التي حملت الألم لسكان القدس عندما " تمكن الاسرائيليون من خلاله من اقتحام البلدة القديمة واحتلالها عام 67"[5].

كما أن وادي قدرون أو وادي " ستنا مريم " وفيها ما يسمى بطنطورة فرعون " وهي ثلاثة أبنية يقال أنها كنعانية " [6]، هي أماكن شاهدة على القيمة التاريخية والعربية الاسـلامية، وقبور الصحابة الذين عاشوا فيها في العصور الإسلامية المختلفة حيث " الصحابي عبادة بـن

[1] الحسيني، عارف، **كافر سبت**، ص 71، ص 31، ص 36، ص 37، ص 92

[2] المصدر نفسه، ص 37

[3] المصدر نفسه، ص 63

[4] المصدر نفسه، ص 63

[5] المصدر نفسه، ص 63

[6] المصدر نفسه، ص 64

الصامت هو أول قاض في القدس، حيث هو والصحابي شداد بن أوس مدفونان في باب الرحمة "[1]، وأصولها الكنعانية داخل المدينة المقدسة.

أما قرية دير ياسين والتي تقع غرب القدس، فقد برزت بعد أن وقعت فيها مجزرة قامت بها العصابات الصهيونية بحق الأطفال والنساء والشيوخ في شهر نيسان عام 1948 م، هي رمز للتضحية والاستشهاد عند الفلسطينيين، مقابل رمزيتها على وحشية الاحتلال وجرائمه البشعة التي برزت شاهدا على مر التاريخ على معاناة الفلسطيني فوق أرضه.

في الرواية أماكن أخرى شكلت خلفية لأحداث وتحرك الشخوص خلالها وشملت: جبال القدس التي رمزت بشموخها إلى مكان للتخطيط للعمل الثوري ضد اليهود، ومقهى الخواجات أول سوق الحصر في البلدة القديمة، والخانقاه الصلاحية، وكنيسة الأقباط، وكنيسة الأحباش، وباب الساهرة، وسوق اللحامين، وسوق العطارين، والمقبرة اليوسفية، ومقبرة باب الرحمة، وحي الشيخ جراح، وطريق الآلام، وساحة باب الخليل، وسوق الدباغة وسوق الحصر، وشارع الأنبياء، وشارع السان جورج، كان وصف الكاتب لهذه الأماكن دقيقا ومفصلا، عندما تحدث عن معاناة الحجر كمعاناة البشر داخل المدينة المقدسة التي تقع تحت نير الاحتلال.

وتمثلت القدس كذلك في هذه الرواية، مكاناً للذكريات والذي عاشت فيه الأسرة بعد أن عادت من دمشق " وبعد سنوات وافته وزوجته المنية، ودفنا في مقبرة باب الساهرة"[2]، المكان لم يعد عنصر جذب بعد ما مر به من تغير الأحوال فمن أبناء تاج الدين من بقي داخل القدس ليصاب بمس بعد فترة وجيزة ومنهم من هاجر خارج القدس " أما أخوه تقي الدين فلم يحتمل الحياة تحت سطوة الانتداب البريطاني في القدس، فسافر إلى القاهرة ليكمل تعليمه هناك ولم يعد إلى القدس"[3].

---

[1] الحسيني، عارف، **كافر سبت**، ص 64

[2] المصدر نفسه، ص 13

[3] المصدر نفسه، ص 14

القدس المدينة المقسمة التي تحمل واقعاً جديداً، ودلالة الواقع السياسي الــذي فرضــه الاحتلال، ظهرت ثنائية المكان بكل تناقضاته، القدس الشرقية والقدس الغربية التي استوطنها اليهود القادمون من أنحاء العالم، وأقاموا في بيوت سكانها الأصليين من المقدسيين، كانت هذه البيوت هي الملاذ الآمن لساكني هذه البيوت فيما مضى، واليوم هي سجن يعيشــون داخلــه ويشكل مصدر قلق دائم ومكمن للعدو، في مقابل القدس الشرقية التي انحسر فيها الفلسطينيون مع كثير من المعاناة وفرض الضرائب واستمرارية التضيق عليهم حتى في مصادرة ممتلكاتهم لإجبارهم على ترك بيوتهم، وغيرها من الممارسات القمعية.

ظهرت عديد الأماكن التي حملت تفاصيل المدينة المقدسة، ودارت في فلكها أحــداث مقدسية منها: البلدة القديمة، وحي الشيخ جراح، وكنيسة القيامــة، والبيمرســتان الصــلاحي، وشارع المسعودي، ومقبرة باب الرحمة، وشارع الأصفهاني، ومبنى النوتردام، وباب العامود، ومقبرة اليهود، وكلها أماكن حملت رموز شاهدة على معاناة الفلسطيني، وسعي المحتل إلــى تغير معالم وجه هذه المدينة المقدسة، وجه جديد مغاير لم تألفه المدينة، وصورة لحالة الانقسام وعمق الجرح لم تعرفه من قبل.

5.1.2 الدوال المكانية في روايات الكتاب غير المقدسيين

ظهرت صورة القدس في روايات الكتاب غير المقدسيين، لتبقى المدينة الحلم والأمل، حلم العودة لكثيرين بعيدين عنها، وأمل بالحرية والعيش بكرامة لمن هم مقيمــون داخلهــا أو حولها، فهي المدينة الحاضرة دوما في قلب الذاكرة الجمعية الفلسطينية، فكل منهم يرى فيهــا مدينته.

ففي سياق رمزي أطلت القدس في رواية أماني الجنيدي والموسومة "قلادة فينــوس"، حين حملت الرواية من بداية عنوانها طابعاً رمزياً صورة القدس فيها محملة بجراح الحصار والألم، وجه آخر للقدس وواقع جديد للاحتلال الذي عزل المدينة، وعبث بملامحهــا، مدينــة الأسرار والأسوار " مدينة معزولة كجزيرة، محاطة بأسوار فوق أسوار، تُهتُ فــي تفاصــيل

مثيرة، وطرق واسعة متشعبة، بيوت جديدة عالية بجوار بيوت صغيرة عتيقه تطغى مشـــهدا صامتا يبوح بقسوة مدينة تزدهر بالأساطير والأسوار"[1]، هكذا بدت القدس لوحة فسيفسائية من الفن القوطي، أو لوحة أسطورية الملامح والتفاصيل تروي حكاية المدينة وما آلت إليه.

مشهدان متناقضان في القدس، المدينة العتيقة ذات البيوت الصغيرة التي تحمل دلالـــة الحياة الصعبة التي يحياها المقدسي، في مقابل بيوت جديدة وأبنية عالية، الأعـــلام الزرقـــاء أعلام دولة المحتل سكان أغراب ووجوه أشد غربة لم تعرفها المدينة من قبـــل " لـــم تتـــرك السنوات التي مرت القدس على حالها، تغيرت ملامحها.... تنفست عميقا وأنا أراقب الشوارع التي ازدادت ضخامة، الوجوه المتنوعة، الاحياء المختلطة.... تلك الأعلام الزرقاء... ســـألت نفسي: أهذه هي القدس؟"[2].

مدينة حزينة أنهكها واقع الصراع، مكان هرم وشاخ رغم صموده وشموخه لقرون في وجه التاريخ ومقاومته لكل معتد، هي اليوم شاهدة على واقع مرير، وكل ما فيها يحمل دلالة المعاناة والألم فبطلة الرواية عندما كانت تتجول في القدس فتقول " توجهت إلى باب العامود، لأعبر السوق إلى المسجد....، بدا حزينا صامتاً أخذت أقواسه تزداد انحناء، بدت لي أعمدتـــه أقصر، وحجارته أكثر استمراراً، وأقل صلابة"[3].

بدت المدينة هنا منقسمة على نفسها، على الطرف الأول ملامح المدينة العربية مـــن أول باب العمود عبر المصرارة، حتى شارع يافا فلاحات بالثياب التقليدية المطـــرزة، أحيـــاء ضيقه وفوضى هنا وهناك من غير تنظيم، وإعلانات بالعربية، وعلى الطرف الآخـــر مدينـــة أخرى حركة واتساع، يهود متدينون يرتدون المعاطف السوداء، وجنود مدججون بالســـلاح، وإعلانات مكتوبة باللغة العبرية " ضيق وفوضى، نساء محجبات، وكثير مـــن الفلاحـــات... اعلانات الشارع مكتوبة بالعربية، وبعد أمتار أخذت المدينة تنسلخ عن نفسها وتتبدل: حركة،

---

[1] الجنيدي ، أماني: **قلادة فينوس**، ص 11

[2] المصدر نفسه، ص 11

[3] المصدر نفسه، ص 13

نساء سافرات، إعلانات الشارع مكتوبة بالعبرية، تناقض فظ تحمله القدس في شارعين متعانقين، لكل شارع حكايتان ولغتان"[1]، هكذا بدت مدينة القدس بين طابع عربي أصيل، وطابع آخر غريب عن المدينة، هذا التناقض العجيب الذي أتعب المدينة وأثقلها.

سيطر الجانب الأسطوري على هذه الرواية فالأسطورة تساهم في تخفيض جرعة الألم عند الهروب من واقع أليم يعايشه إلى عالم متخيل لأن " استدعاء هذا التراث الأسطوري سبب من أسباب النجاة، النجاة الشعورية من حالة الوعي الصادم إلى حالة اللاوعي الحالم، أو تحقيق الغياب في الحضور، حيث يحول الأسطورة إلى واقع معيش"[2]، وهذا ما قدمته رواية قلادة فينوس، عندما عرضت الأسطورة للتخفيف من الواقع المؤلم لمدينة القدس ومآلها والذي عكسته هذه الرواية، من خلال حالة الألم التي عايشتها بطلتا الرواية.

ومن الكتاب غير المقدسيين الذين ظهرت صورة القدس في رواياتهم سحر خليفة ففي روايتها " صورة وأيقونة وعهد قديم " جاء في مقدمة الرواية، هذه رواية عن القدس العربية التي تقترب من الأفول، رواية عن القدس، المدينة المقدسة التي لا يفرط بها العرب، ولا يتنازل عنها المسلمون، تتهود يوما وراء يوم، كما لو كانت تنزف عروبتها وإسلاميتها، وتتأمل ما تبقى من القدس، وترصد أرواحا ميته تتاجر بأحجار فلسطين، إنه مصير شعب ومآل مدينة [3].

هي رواية عن القدس العربية، حيث " تدور الرواية في حواري القدس وكنائسها ومساجدها وصلبانها وقساوستها"[4]، وتعكس من خلال التنقل بين هذه الأماكن دلالات تحمل تصوراً لواقع المدينة وما وصلت إليه ، وما وقع فيها من أحداث ، كيف ضاعت ولم يتمسك بها أبناءها ولم يدافعوا عنها .

---

[1] الجنيدي، أماني: **قلادة فينوس**، ص 69 – ص 70

[2] صرصور، عبد الجليل حسن: ***الزمن، الرمز، الاسطورة في رواية أنياب الصل للكاتب خليل حسونة، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة،*** ع 50، 2009، ص 426

[3] ينظر خليفة، سحر: **صورة وأيقونة وعهد قديم**، ص 6 – ص 10

[4] المصدر نفسه، ص 8

ظهرت صورة القدس من خلال شخصية مريم الفلسطينية، التي مثلت رمــزا للقــدس الجريح، فالقدس التي ضاعت لم تعد كما كانت، بل أصبحت تاريخاً . " القــدس الآن قــدس أخرى، قدس التاريخ. لكن القدس كانت مريم، أو أن القدس وذاكرتـــي وحبـــي الأول كـــان التاريخ، وأنا في الحاضر ابن اليوم، لا لي حاضر ولا لي مريم ولا لي تاريخ"[1].

تصور الرواية واقع المدينة التي تركها أهلها وهاجروا إلى بلاد أخرى، أمــا بيــوت القدس وما تحمله من طابع عربي أصيل وعريق " دار العيلة، البناء قديم عريق، اشتراه الوالد من عائلة هاجرت إلى أمريكا مع بدء النزوح... البيت فخم"[2].

كما أنها تناقش قضية التغيرات المكانية للمدينة والتي تحمل دلالة " توثيق حالة تهويد القدس، من خلال شراء بيوت المقدسيين ومن خلال بناء المستوطنات حول القــدس"[3]، يــأتي اليهودي من الخارج للسيطرة على بيوت القدس وحاراتها بالقوة. "ويستصدر أمــراً بــامتلاك الدار رغم القوشان بحوزتها، وعليه ختم عثماني ثم بريطاني ثم أردني"[4].

ظهرت حالة ضياع المدينة، وكانت الأماكن فيها شاهداً على حالة تغير المكــان مــن مستوطنات وطرق التفافية " أين الخضار؟ أين الشجر؟ أين الزيتون؟ شوارع ومبان ودكاكين تحاول أن تبدو كمدينة فأضحت لا قرية ولا مدينة، سألت بخفاء ورأيت الطريــق الالتفافيــة؟ ورأيت المستوطنة الالتفافية"[5].

وشكلت القدس لوحة فسيفسائية ملونة، عاشت على أرضها مختلف الأديــان والملــل والأجناس " هي حارة فقط ضمن حارات لأقليات من كل الجهات، أرمن، ويونــان، وروس،

---

[1] خليفة، سحر: **صورة وأيقونة وعهد قديم**، ص 11

[2] المصدر نفسه، ص 26

[3] الفيومي، سعيد محمد: **تجليات القدس في الرواية الفلسطينية**، ص 10

[4] خليفه، سحر: **صورة وأيقونة وعهد قديم**، ص 23

[5] المصدر نقسه، ص 31

وألمان، وأديرة كثيرة حين تدخلها تصبح حارات"[1]، حمل المكان دلالة التعددية الدينية، فهي مدينة لكل الأجناس والأديان .

وتبقى القدس مركز الاقتصاد، وبوابة التعددية الدينية والاجتماعية " مشيت في الزقاقات المكتظة بطوفان البشر سواح ورهبان وقرويين وحجاج وتجار من كل الجهات، وبسطات محمولة على عجلات يجرها باعة لكل الاصناف، موز، وتمر، ومشمش..." [2].

وفي رواية " مقدسية أنا " لعلاء مفيد مهنا، والحاصلة على جائزة مسابقة الكاتب الشاب للعام 2009، عُولجت صورة القدس بشكل مختلف، حين تناولت مواضيع وقضايا جديدة حول التعايش بين الأديان، وقيود العادات والتقاليد واقع المدينة المقسمة وجدار الفصل العنصري الذي أقامته إسرائيل وأغلقت على ساكنيه بوابات حديدية، حالة جديدة للمدينة ، و(غيتو) آخر يفرضه الاحتلال.

ومن هنا كان عنوان الرواية " مقدسية أنا " تحمل دال المكان من بدايتها، فالقدس هو المكان الذي يعيش بداخلنا (مقدسي، ومقدسية)، وياء النسبة تعود لهذا المكان أي القدس، وهو المكان المقدس الذي يحيا في معتقدنا الفكري والديني " في كل منا مقدسي بشكل ما، القدس أكبر من أن نرحل عنها دون أن نعود، إنها كل شيء، هنا عرفت نفسي واكتشفت الحقيقة، وإن كان هناك قدر فإني أشكره على القدس"[3].

فهذه الرواية أظهرت صراعاً حضارياً في المكان وثنائية ضدية، ظهرت فيها الأبنية التاريخية العريقة ذات الفن المعماري في البلدة القديمة في القدس، في مقابل البنايات الاسرائيلية التي بنيت وهي خالية من أي فن معماري، مفارقة تحمل العديد من الدلالات بين جنباتها ليس للمحتل فقط، والذي يعي حقيقة وجوده غير الأصيل على هذه البقعة ولكنها رسالة للفلسطينيين والمقدسيين بعدالة قضيتهم وثقافتهم وحضارتهم العربية الأصيلة هذا ما جاء على

---

[1] خليفه، سحر: **صورة وأيقونة وعهد قديم**، ص 50

[2] المصدر نفسه، ص 56

[3] مهنا، علاء مفيد، **مقدسية أنا**، ص 322

لسان الأستاذ الجامعي الإسرائيلي في أحدى المحاضرات في الجامعة العبرية عندما قال: " إذا نظرنا إلى بنايات القدس من حولنا لرأينا بوضوح أن هناك تناقضاً كبيراً ما بين البنايات الإسرائيلية وما بين البنايات التاريخية العائدة إلى العهد العثماني والمملوكي والأموي، إن الأمر جلي للعين المجردة بسبب كثرة البنايات القديمة، وعلى الأخص في البلدة القديمة وما حولها، والنتيجة هي أن القدس كانت تملك فنا معماريا خاصا، أما اليوم فإننا نبني بطريقة البال كال"[1].

إن عدم انتماء اليهود للقدس وفلسطين عامة هو ما أوجد هذه المفارقة، فالمكان يتحدث عن عروبته وأصالته حتى من وجهة نظرهم " أما البنايات التي كانت قبل قيام الدولة فهي ذات فن آخر، مزخرفة تتميز بالقناطر، والأبراج، والقباب، والمآذن العالية الرفيعة في البناء المعماري... ومن المفهوم ضمنا أننا (اليهود) نغير هيئة القدس ولا نتناسق معها، والسبب في ذلك يعود في النهاية لعدم انتمائنا لما كان هنا قبل قيام الدولة"[2].

باب العامود هو من معالم القدس، وهو شاهدٌ على صمود المقدسيين ومعاناتهم وهو شريان الحياة النابض في القدس، هذا ما جاء على لسان عائشة وهي تسير عبر باب العامود، لتشكو له واقع أليم تمر به هي وكل فلسطيني في مواجهة بطش الآخر من قتل وتدمير وحصار " اه يا باب العمود، انصفني، كن مالكي واحمل عني بعض هذا التعب، قتلوا والدي يا باب وأمست حياتي في حضرتك بائسة"[3].

أما سياسة تدمير المكان في القدس، وهدم بيوت المقدسيين من أسر الشهداء والمعتقلين، ليصبح المكان للمقدسي والفلسطيني مكاناً طارداً ويحمل دلالة معادية بعد أن كان هو الملجأ الآمن، ولكن الإصرار على البقاء ورد على لسان عائشة بعد أن هدم منزل اسرتها " حين وقفت على أطلال البيت قلت عاليا وأردت أن تسمعني الدنيا كلها: تقول التوراة إذا

---

[1] مهنا، علاء مفيد، **مقدسية أنا**، ص 111

[2] المصدر نفسه، ص 111

[3] المصدر نفسه، ص 189 – ص 190

نسيتك يا قدس فلتنسني يميني وأنا أقول اذا نسيتك يا قدس فلتشل يميني ويساري وأعدم حياتي، هنا سأبقى، هنا سأبنيك يا بيت من جديد ولن أرحل"[1].

وفي رواية " المسكوبية " لأسامة العيسة، حمل فيها عنوان الروايـــة دلالـــة مكانيـــة، فالمسكوبية هو مركز توقيف واعتقال بني خارج سور القدس، وشكل على مدى عصور طويلة منبع لألأم المقدسيين ومعاناتهم " في معتقل المسكوبية بالقدس، وهو أحـــدى أولـــى البنايـــات وأعظمها خارج أسوار القدس القديمة، والتي استولت عليها سلطات الاحتلال البريطاني، لتزج فيها، وفي غيرها من السجون بأعلام ثقافية وسياسية فلسطينية وعربية"[2].

المسكوبية هي نسبة إلى " المسكوب " وهو الاسم الذي يطلقه الناس علـــى الـــروس، ويعود تاريخ المسكوبية إلى العام 1857 م، بناه الروس مجمعاً للمصالح الروسية، فيه نُـــزُل للحجاج، ومستشفى وكنيسة، وحتى المحكمة والسجن، وهو بناء فخـــم ذا هندســـة معماريـــة مميزة[3].

والمسكوبية هي معادل موضوعي للمعاناة والألم، وهو المكان غير الأليف أو ما يمكن أن نطلق عليه المكان المعادي " فالمكان المعادي يأتي في الطرف النقيض للمكان الأليف، فثمة أمكنة لا يشعر الإنسان بألفة ما نحوها، بل يشعر نحوها بالعداء والكراهية، وهي أماكن قد يقيم فيها الإنسان تحت ظرف إجباري، كالمنافي والسجون والمعتقلات والأماكن الخالية من البشر وأماكن الغربة"[4].

هذا المكان الذي يشكل الجانب المؤلم من جسد المدينة المقدسة، وجانب آخر من تاريخ الشعب الفلسطيني، لقد حملت القدس دلالة السجن الكبير ســـجن لآلاف الفلســـطينيين الـــذين

---

[1] مهنا، علاء مفيد، **مقدسية أنا**، ص 295

[2] العيسة، أسامة: **المسكوبية** ، ص 15

[3] ينظر محسن، سميح: المسكوبية يوميات كاتب فلسطيني تضيف إلى أدب السجون، www. alarab.com

[4] جابر، عبد المجيد: **جماليات المكان في رواية خلود**، ص 24

حاصرهم الاحتلال بالحواجز والاجراءات التعسفية بهدف التضـيق علـى سـاكنيها هـذه الاجراءات القمعية " التي تستهدف المكان الفلسطيني"[1].

وعالم السجن هنا هو نقيض عالم الحرية، والسجن " هو شكل مـن أشـكال الاقامـة الجبرية، فقد برزت صورته في الرواية الفلسطينية بوصفه عالما مقابلا لعالم الذل،... حيـث يمكن تقسيم مراحل السجن السياسي في الرواية الفلسطينية إلى ثلاث مراحل:

مرحلة الاستقبال: وهي الطريق إلى الزنزانة والبقاء فيها

مرحلة التحقيق: الذي يرافقه التعذيب المستمر

مرحلة الاستقرار: وهي البقاء في الزنزانة"[2].

سجن المسكوبية الذي يمثل ثنائية من نوع مختلف فهو مكان قائم على التفاضل بين ما هو مؤلم، وما هو أشد ألما بين زنزانة مؤلمة، وأخرى أكثر قسوة وبين " بـرش " وبـرش آخر، واقع عكس المعاناة من جانب، وحمل الأمل من جانب آخر، أمل بوجود كوكبـة مـن الصامدين في وجه السجان وقهر لسياسة القمع والتنكيل.

هذا المكان الذي يمثل جزءاً من تاريخ مدينة القدس منذ العهد العثماني الـذي مـنح الروس هذه القطعة الحيوية التي بني عليها المبنى في القدس، حيث بنى فوقها بنـاء ضـخما متعدد الاستعمالات، ثم الانتداب البريطاني، فاليهود الذين حولوه إلى سجن، تمارس فيه أبشع وسائل التعذيب وأكثرها ألما على الفلسطينيين حتى من الصِبْية صغار السن.

شكل هذا السجن نافذة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في القدس، مـن خلال القصص والعلاقات والأحداث التي يرويها السجناء فيه وهم الذين يشكلون جانبـا مـن المجتمع المقدسي، فالمكان هنا هو انعكاس لواقع الحياة في القدس وتنوعها الحضاري والثقافي

---

[1] العيسة، أسامة: **المسكوبية**، ص 15

[2] ينظر، حطيني، يوسف: **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العـرب، 1999 م، ص 86

منذ القدم بين الأجناس والأديان على اختلاف مذاهبهم، أو اختلاف آرائهم وأفكارهم حين كانوا يعيشون ذات يوم في القدس بتآلف.

هناك أماكن أخرى برزت في الرواية منها شوارع القدس، حارة الشرف، وحارة المغاربة، وحارة السعدية، وشارع صلاح الدين، وجبل الزيتون، والمدرسة الصلاحية، والمتحف الفلسطيني، وباب الأسباط، والبلدة القديمة، والمسجد الأقصى كلها أماكن شاهدة على تاريخ القدس والمطامع الاستعمارية فيها عبر الأجيال المتعاقبة، حادثة حرق المسجد الأقصى، ومذبحة حارة النصارى، هذه الأماكن هي دلالة معاناة المدينة والأوضاع الاجتماعية والسياسية المؤلمة التي مرت بها.

انعكست صورة أخرى للقدس ظهرت في روايات أحمد حرب، ففي رواية " اسماعيل " أطلت القدس مركزاً للمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال، عندما حمل بطل هذه الرواية اسماعيل ذكريات هذه المدينة بداخله حين استشهد فيها صالح أعز أصدقائه " نعم قيل أن اليهود قتلوه في 67 في القدس"[1]، على قمم جبال القدس كان اسماعيل وغيره من المناضلين يرنون بنظرهم إلى كل فلسطين، فمن القدس بدأ النضال، هي عاصمة النضال التي تشع على الأرض الفلسطينية.

ضياع القدس هو ضياع لمدن فلسطين كافة ، فهي المدينة الرمز، حتى الطريق الخاوية إلى القدس تمثل الهزيمة الفلسطينية، هاجر سكانها مع اشتداد الحرب " بقيت أمشي على طول الطريق الرئيسي ما بين شعفاط والقدس، لم أرَ أحدا على طول الطريق حتى ظننت أن العصافير قد هاجرت أو اختبأت من شدة القيظ"[2].

أما الجزء الثاني من رواية " اسماعيل " المعنونة " الجانب الآخر لأرض الميعاد " والتي لم يكن حضور القدس فيها لافتا كالرواية السابقة، ظهر المكان يحمل واقعاً جديداً قديماً.

---

[1] حرب، أحمد: **اسماعيل**، ص 22

[2] المصدر نفسه، ص 74

واقع أطل مع بداية الدعوة للسلام مع اليهود من قبل بعض الأطراف الفلسطينية، عند قيام أحد أبطال الانتفاضة الفلسطينية بإنشاء " مكتب الجسر للصحافة والاعلام " لجسر الهوة بين العرب واليهود.

أما الواقع القديم فهو المتمثل في تقسيم المدينة إلى القدس الغربية والشرقية التي يقيم فيها العرب، ثم اغلاق المدينة ومحاصرة سكانها والتضيق على الداخلين إليها، لتحمل دلالة الوضع السياسي الصعب الذي عاشته القدس في فترة الانتفاضة الأولى العام 1987 م، ليحولها الاحتلال إلى ثكنة عسكرية يصعب الوصول إليها وهذا ما جرى على لسان الراوي عندما قال: " ما أن وصلت إلى الطريق الرئيسي إلى القدس حتى اصطدمت مع نقطة تفتيش أخرى... كانت السيارة قد تجاوزت مخيم الأمعري في الطريق إلى القدس دخان وإطارات محروقة، وقنابل مسيلة للدموع"[1].

المقدسات الدينية في القدس وعلى رأسها المسجد الأقصى وما يتعرض له من اعتداءات بشكل متكرر " كم مرة ادعت الشرطة الاسرائيلية أنها أوقفت (جماعة الهيكل) عن شق انفاق تحت المسجد الأقصى"[2]، وهي دلالة واضحة على مزاعم اليهود ونواياهم المبيته للهيمنة على المقدسات، فالقدس الآن قدس أخرى مشوهة " الآن أعيش في القدس، العاصمة المشوهة "[3].

قدم حسن حميد القدس في روايته "مدينة الله "، حيث حملت الرواية منذ بداية عنوانها دلالة مكانية خاصة مقدسة ولفظ الله الأعظم أضفى مزيداً من الهيبة والجلالة عليها، فأبرز هذا العنوان المدينة بأنها مدينة لله هي مدينة ليست ملكاً لأحد بمفرده من البشر، يعبث بتاريخها كما يريد.

---

[1] حرب، أحمد: **الجانب الآخر لأرض الميعاد**، ص 7 – ص 10

[2] المصدر نفسه، ص 258

[3] المصدر نفسه، ص 231

هي مدينة مقدسة لكل الديانات، تحمل دلالة التنوع الديني والثقافي والبشري، هذا ما تحدث عنها (أبو العبد) في الرواية عندما كان يحاور الراوي في مقهى قلنديا "... فالقدس كما رأيتها، إنها مدينة الله، ليست لدين بعينه وليست لبشر بعينهم... إنها مدينة ممدودة على كف الله، وهذه الجبال التي تراها ليست سوى البادي من كف الله، وهذه الأودية ليست سوى خطوط هذه اليد المباركة"[1].

ومن خلال وصف الأماكن التي مر بها في القدس من (درب الآلام، وكنيسة القيامة، وسوق الحصر والنحاسين، ومسجد الصخرة، والحي الأرمني " حملت هذه الأماكن دلالة التعايش بين مختلف الأديان لأنها " هي مدينة الحب والمجاورة والمسامحة والتعاون والعطاء، مدينة الأنوار الإلهية، هي مركز الهداية والنور، مدينة لا تغلب ولا تقهر"[2]، مدينة لا يمكن أن تكون محتله لأنها ليست لأحد، فهي مدينة التعدد والتنوع.

رُسمت القدس في هذه الرواية بين كونها مدينة المحبة والسلام والتعايش من جانب، وبين تحولها رمزا للمعاناة وصمود أهلها، " وكلما فكرت في (دبلن) العزيزة تنهض جمالية القدس العزيزة، روحانية المكان، قدسية الخُطا التي مشاها السيد الجليل، وروائح البخور"[3]، هذه هي القدس في عيون أبنائها لا تشبهها أي مدينة، القدس هنا حاضرة في الغياب الفلسطيني، رغم الغربة والوحدة بعيدا عن الوطن ولكن حضورها لا ينتهي بكل قداستها وبهائها.

ثنائية المكان في هذه الرواية التي برزت فيها صورة القدس بين الأماكن المغلقة مثل السجون والتي مثلث حالة الخوف والألم والموت، في مقابل الأماكن المفتوحة منها الينابيع والشوارع والمساجد والكنائس التي قدمت الراحة والروحانية والقداسة والحياة، لتبرز انعكاساً لواقع مدينة القدس.

---

[1] حميد، حسن: **مدينة الله**، رام الله، منشورات اتحاد كتاب فلسطين، 2009 م، ص 32

[2] الموسى، خليل: العنوان والدلالة في الرواية المقدسية مدينة الله لحسن حميد انموذجا www.alqudslana.com

[3] حميد، حسن: **مدينة الله**، ص 25.

وبرزت القدس في رواية ليانة بدر " نجوم أريحا " من خلال ذكريات الطفولة التي عاشتها الكاتبة في القدس. حيث " مثلت القدس الصورة المضيئة من تلك الذاكرة، وهي صورة تتصل غالبا بالحياة في القدس، أيام بساطتها، وتتصل بالقدس ذاتها كمكان يحسن وصفه"[1].

فمن خلال هذه الرواية عكس المكان وصفا للحياة الاجتماعية في القدس وما حملته من دلالات تتعلق بالعلاقات الأسرية التي حملت طابع البساطة وسط العائلات المقدسية.

والحديث عن الواقع الاقتصادي والتجاري وما أصاب المدينة من مجاعة خلال تاريخها المليء بالأحداث، حيث مثلت عقبة التكية التي بنتها خاصكي زوجة السلطان عثمان للفقراء، حين كان يوزع حساء الفريك على الجياع في القدس، مثلت إشارة إلى الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي مرت بها المدينة.

كما تعرضت الرواية لذكر العديد من الأماكن التي حملت ذكريات الطفولة منها: سور القدس، والبلدة القديمة، وسوق خان الزيت، وحي النصارى، وعقبة المفتي، ودرب الآلام ، وباب العامود، والحرم الشريف، وكنيسة الجثمانية. كلها أماكن شكلت جزءا هاما من الذاكرة، والذكريات التي عاشتها في القدس، ودلالة الحنين الدائم للمدينة.

من خلال قصة حب رمزية برزت القدس في رواية " قصة حب مقدسية " ليوسف العيلة، فقد سلطت الرواية الضوء على أحد أهم الأماكن الدينية المقدسة في القدس وهو المسجد الأقصى ليعكس من خلاله تاريخ مدينة عربية مقدسة أسيرة ومعذبة مدينة ما زالت تقاوم ترفض بإصرار كل مظاهر التهويد فيها " ولجنا باب الأسباط واتجهنا صوب المسجد الأقصى لمشاهدة آثار منبره المحترق.. قام اليهود بهدم بيوت حارة الشرف وبنوا من الحجارة نفسها بيوتاً أخرى أسموها حارة اليهود، بقيت حجارتها وفية لها لأنها لبنات حضارة متجددة"[2]، ويقدم من خلال سرده لتاريخ المكان وما وقع فيه من أحداث تاريخية بارزة، يقدم

[1] أيوب، محمد، وآخرون: **نحو دراسة تأصيليه للرواية الفلسطينية المعاصرة**، رام الله: منشورات مركز أوغاريت للنشر والترجمة، ص 84

[2] العيلة، يوسف: **قصة حب مقدسية**، ص 29

نقداً ذاتياً لكل من تخلى عنها وتحدث عن مآل هذه المدينة التي تخلى الأبناء والأشـــقاء فـــي الدفاع عنها.

ورمز منبر صلاح الدين وحادثة أحراقه والذي عكسته صورة الغلاف الحدث الرئيس في الرواية باعتباره مكاناً مقدساً، حيث بدأت الرواية بمقدمة مكانية أبرز فيها المسجد الأقصى وحادث احراقه عندما " غشانا صدى الذكرى العاشرة لحرق منبر المسجد الأقصى مصـــادفة في عام 1979.. قال لي المقدسي: لا تعجب يا حسن، مما فعله روهن بمنبر صلاح الـــدين! أراد الغازي أن يثأر من نصرنا في حطين فحرق رمزنا " [1] ليحمل دلالات حسية على بطش الذي يتعرض له أهل المدينة، وتدمير المقدسات الدينيـــة، يـــدمرونها فـــي محاولـــة لقطـــع الفلسطينيين عن تاريخهم العربي، فلا مكان لمعتد فوق هذا التراب المقدس الذي دنس بأفعاله، فالحادث مثل رمزاً لما حدث للمدينة المقدسة من تشويه وتدمير بعد الاحتلال ليس فقط للأماكن الدينية بل لكل ما فيها.

أبرزت الرواية الصراع مع الآخر على امتلاك المدينة، والســـيطرة عليهـــا وتغييـــر ملامحها وحتى اسمها " كنت لا أجرؤ على البوح بما كانت تقوله جارتنا راخيلا مزراحـــي : نحن أيضاً نحب أورشليم ! نريد أن نعيد تشكيلها بطريقة تتناسب مع ذوقنا وهويتنا وطقوسنا، أليس لنا حق فيها ؟ حول الاحتلال الإسرائيلي بعض خاناتها إلى مدينة غريبـــة، ذات نمـــط جديد، فباتت لا تشبهنا ولا نشبهها."[2]

في رواية " زمن الخيول البيضاء " لإبراهيم نصر الله، ربط الكاتـــب بـــين المكـــان والبشر، فقال: " خلق الله الحصان من الريح، والإنسان من التراب، (مثل عربي)، والبيوت من البشر"[3]، هو يتحدث عن علاقة لصيقة بين المكان والإنسان، والمكان للفلسطيني هـــو الحيـــاة يرتبط به حيثما حل، فارتباطه بالمكان لا ينتهي، والقدس متجذرة فيه، وعلاقته معها لا تنتهي.

[1] العيلة، يوسف: **قصة حب مقدسية**، ص 6 – ص 8

[2] المصدر نفسه، ص 45

[3] نصر الله، إبراهيم: **زمن الخيول البيضاء**، ص 7

القدس في هذه الرواية هي الشريان النابض بالحياة والحب، المكان وما عكسه من أهمية تجارية واقتصادية وتبادل السلع المتوفرة في أسواق القدس وما يحمله الفلاحون من حبوب وقمح وسمسم وغيرها من منتجات، لبيعها في أسواق القدس.

فيتحول المكان في القدس، خلال فترة زمنية إلى خليط من البشر والديانات والأغراب الذين أقاموا في بيوت متراصة، وبما أن البيوت من البشر كما يرى الكاتب، فقد أقام هؤلاء البشر (الغرباء) الذين جاءوا إلى القدس صراعاً مع أصحاب الأرض، طمعا في بيوتهم وأرضهم، وذلك عندما قامت العصابات الصهيونية بطرد أبي سليم من بيته " وجد الحاج ناجي أبو سليم وزوجته قد طردا منه ووقفا في الشارع يصرخان ويطلبان تدخل الناس... إنهم يطردون الجميع، لكن ذلك لم يثنه عن التقدم نحو البيت"[1].

غَيّرَ كل مستعمر دخل المدينة من معالمها شيئاً، هذا ما وجده الحاج خالد وابنه " حين وصلا القدس كانا في عالم آخر تماما، عالم يتغير ما بين زيارة وزيارة... السيارات تكاد تطحن الناس لفرط اندفاعها، وعربات الخيول المزركشة تنتقل مثل الديوك الرومية كما أنها سيدة الأرض ومن عليها"[2].

جاءت الرواية على ذكر بعض القرى المجاورة للقدس منها " زكريا، وعجور، عراق سويدان، والبريج، والمسيمية، قطرة، والمغار " التي دمرتها العصابات الصهيونية، رمزاً على وحشية المحتل وارهابه، وسعيه الى تغيير وتدمير كل ما هو فلسطيني عربي.

أبرزت ليلى الأطرش في روايتها " مرافئ الوهم "، الحديث عن المكانة التاريخية للقدس " هي القدس القديمة ! فريدة عتيقة، تعلن ذاتها وتاريخها وقدسيتها بأصواتها وروائحها، أذان وأجراس وضجة بشر... وأقواس تحمل ذاتها منذ كانت أورشليم ويابوس وبيت إيل"[3].

---

[1] نصر الله، إبراهيم: **زمن الخيول البيضاء**، ص 477

[2] المصدر نفسه، ص 219

[3] الأطرش، ليلى: **مرافئ الوهم**، بيروت: دار الآداب، 2005 م، ص 32

مثلت صورة القدس مستودعاً للذكريات الأولى التي عاشتها شادن، وتختزن هذه الرواية حكاية عشق للمكان ارتبطت بعشق آخر عايشته في هذه المدينة قبل خمسة وعشرين عاما " تقذفك أقداري إلي بلا تخطيط كما فعلت قبل خمسة وعشرين عاما في جريدة القدس ومدينتها"[1]، كل مكان هنا حمل ذكريات تعيش داخل الفلسطيني باب العمود، وحارة النصارى، وجبل الزيتون، وباب المغاربة، باب الساهرة.

والقدس هنا مرفأ من مرافئ الحياة مرت بها بطلة الرواية، منها بدأت رحلة الفراق وإليها انتهت، فالقدس هي بداية ونهاية كل حكاية، في القدس الحب لا ينسى وكل شيء فيها محفور في الذاكرة أينما حل الفلسطيني وعاش.

وتلخص الكاتبة المكان في القدس بقولها " وللقدس سطوة الامتلاك وقدرة الاحتلال، وجبروت السكن"[2]، إنها صفات القدس التي انعكست على المكان، لها القدرة على الاحتواء هي الآسرة والجاذبة لمن عاش فيها رغم قوة الاحتلال، وتبقى فيها عظمة المكان.

كان صوت القدس خافتا في رواية " أنشودة فرح " لربحي الشويكي، ولكنها رغم ذلك بقيت المدينة صاحبة الحضور، هي المحور الذي تدور حوله فلسطين في اتخاذ القرار، وكل ما يتعلق بتيسير حياة الناس، فوكالة الغوث التي توزع المعونات على اللاجئين موجودة في القدس " مستودعات الوكالة في المخيم عندنا فارغة فعلا ونحن نعرف ذلك والمستودعات المليئة بالمخصصات هي مستودعات المركز الرئيسي في القدس"[3].

فالقدس هنا هي تصوير للواقع السياسي الفلسطيني، والوضع الذي تحول إليه الفلسطيني من صاحب حق ومالك أرض إلى لاجئ، يعتاش على معونات وكالة الغوث، داخل مخيمات اللجوء، وعكست قضية اللاجئين جانباً مهماً من جوانب القضية الفلسطينية ، والمعاناة الفلسطينية داخل المخيمات.

---

[1] الأطرش، ليلى: **مرافئ الوهم**، ص 6

[2] المصدر نفسه، ص 8

[3] الشويكي، ربحي: **أنشودة فرح**، القدس: منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1990 م، ص 29

كما شكلت القدس في هذه الرواية رمزا للعمل النقابي وبياناً لأهمية القدس، ومكانتها الطليعية في العمل النسوي والاجتماعي، ومنه انتقل إلى باقي المناطق الفلسطينية، وما تمثله هذا النقابات للمرأة الفلسطينية، في تشكيل الوعي السياسي والاجتماعي.

2.2 الدوال الزمانية

1.2.2 مفهوم الزمن في الخطاب الروائي

قبل الشروع في الحديث عن الزمن في الروايات التي أطلت فيها صورة القدس، وما يحمله الزمن الروائي فيها من دلالات مختلفة، وسيتم بداية الحديث عن مفهوم الزمن لغة واصطلاحا.

مفهوم الزمن لغة

ورد مفهوم الزمن في المعاجم العربية "اسم لقليل الوقت أو كثيره، ويكون الزمن شهرين إلى ستة أشهر، والزمن يقع على الفصل من فصول السنة، وهو من الزمن والزمان: أي العصر، وأزمن الشيء: طال عليه الزمن، أو أتى عليه الزمان، وأزمن بالمكان: أقام به زمانا"[1]. و "هو من استواء الليل والنهار، والزمن يقع على جميع الدهر أو بعضه، والزمان مدة تطلق على الكثير والقليل من الوقت "[2].

فالزمن في كتب التراث بذلك هو كل ما يشير إلى الوقت على اختلاف المدة الزمنية التي تشمله، وهي غير محددة بفترة بعينها، أي أن الزمن يقع على كل وقت سواء حدد بفترة زمنية أو كانت غير محددة.

مفهوم الزمن اصطلاحا

اختلف النقاد في تحديد تعريف جامع له، وتعددت الآراء تبعا لتعدد المدارس النقدية والأدبية، منهم من نظر إلى الزمن باعتباره عنصرا محوريا يترتب عليه التشويق والايقاع،

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: **لسان العرب**، ج 7، ص 199 – ص 200.

[2] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: **تاج العروس من جواهر القاموس**، مجلد 9، ص227 – ص 228

يحدد طبيعة الرواية وشكلها، وهو الهيكل الذي تشيد فوقه الرواية، أو أنه الحقيقة المجردة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى يؤثر فيها وينعكس عليها[1].

والزمن هو زمن الشيء الذي نقص عنه، وهو الوقت اللازم لعبور أو اجتياز النص المقروء، أو هو الزمن المستعار متمثلا في زمن النص المكتوب، والزمن الحقيقي وهو زمن قراءة النص، كما أن الزمن يقوم على التصور لأحداث قديمة قد حدثت في الماضي ويعيد الكاتب سرد هذه الأحداث التي يعرف تفاصيلها وبدايتها ونهايتها بشكل مسبق، والزمن هو المُسير للأحداث فلا يمكن وجود نص روائي دون عتبة زمانية تحدده، إضافةً إلى أن الزمن داخل العمل الروائي يحمل دلالات خاصة، تقدم للنص أبعاداً مختلفة[2].

2.2.2 أهمية الزمن في الخطاب الروائي

يعد الزمن عنصرا جوهريا في المقاربة الروائية، ولعل أهم ما يميز الزمن عن غيره من عناصر الرواية هو استحالة دراسته بعيداً عن غيره من العناصر الحكائية الأخرى، وقد شكل الزمن في الرواية الحديثة بعدا ايحائيا ورمزيا، ولم يعد يقف عند الوظيفة البنائية، بل تجاوز ذلك إلى وظيفة دلالية، والدلالة الزمنية تعني الأبعاد الايحائية التي يعبر عنها التشكيل في الرواية، ويتبلور في نوع من الصراع الذي يرجع إلى مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية، والنفسية، وتشكل الذات بعدا دلاليا في الصياغة الزمنية للنص الروائي لأن بناء الشخصية يستند إلى ماضيه وحاضره ومستقبله[3].

فالزمان عنصر لا يقل أهمية عن المكان " فلا يمكن تناول المكان بمعزل عن تضمين الزمان، كما يستحيل تناول الزمان في دراسة تنصب على عمل سردي، دون أن لا ينشأ عن

---

[1] ينظر، قاسم، سيزا أحمد: **بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ**، ص 26 – ص 27

[2] ينظر، العيد، يمنى: **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، ص 109 – ص 111

[3] ينظر، ولعة، صالح: **بناء الزمن الروائي ودلالته في روايات عبد الرحمن منيف**، **الموقف الأدبي**، ع 498، تشرين أول 2012، ص 61 – ص 62.

ذلك مفهوم المكان "[1]، وتظهر بذلك العلاقة المتبادلة بين كل من عنصر الزمان وغيرها من عناصر الرواية ومنها المكان.

والزمن بذلك يمثل العمود الفقري للعمل الأدبي، ويساهم في تتابع حوادث القصة وانتظام تسلسلها، وفقدان هذا العنصر يُحدث خللا داخل النص الأدبي، وبالنظر إلى أنه الأساس الذي يقوم عليه الفن الروائي، اختلفت أشكال الزمن وتعددت في الرواية حتى بات الزمن هو الذي يُقيم حدود الرواية، فلا يمكن وقوع الأحداث وتحرك الشخوص إلا من خلال إطار زماني تتحرك فيه .

والزمن الروائي أحد أهم مكونات الخطاب الروائي، اهتمت به الدراسات النقدية الحديثة بوصفه عنصراً فعالاً في العمل الروائي، حيث " يمثل الزمن عنصرا من العناصر الأساسية التي يقوم عليها القص، فإذا كان الأدب يعتبر فناً زمنياً – إذا صنفنا الفنون إلى زمانية ومكانية – فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن"[2].

كما أن أحداث الرواية مرتبطة ارتباطا عضويا بالزمن عند ذلك " تتجلى أهمية عنصر الزمن في الفن الروائي بعدم امكانية اهماله فلا يمكن أن ننطلق بسرد حدث ما لم نحدد له عتبة زمنية وإلى جانب ذلك ارتبطت حداثة الرواية بقدرتها على التلاعب بالبنية الزمنية "[3].

ويلعب الزمن دورا فعالاً في الرواية ولأن " الزمن عنصرٌ جوهريٌ في أنواع الروايات المختلفة، فان هناك بعض الروايات الكبيرة، كان الزمن موضوعها الرئيس، حتى سمى بعض النقاد هذه الروايات رواية الزمن أو رواية زمنية "[4].

وبذلك يعد الزمن عنصرا مهماً في العمل الروائي شأنه في ذلك شأن العناصر الأخرى في تكاملها داخل نسيج الروائي، ونظرا لأهميته فهو يحمل دلالات وأبعاداً داخل الرواية، ويؤثر فيها تأثيرا مباشرا، ويوجه أحداثها ويؤطر مكانها.

---

[1] مرتاض، عبد الملك: **في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد الروائي**، الكويت: عالم المعرفة، 1998 م، ص 227

[2] قاسم، سيزا أحمد: **بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ**، ص 26

[3] الجابري، فوزية لعيوس غازي: **التحليل البنيوي للرواية العربية**، ص 135

[4] أحمد، حفيظة: **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية** من عام 1950– 2000، ص 189

وهناك خصائص يحملها الزمن داخل العمل الروائي تجعل هذا العنصر على أهمية خاصة: " – الزمن محوري وعليه تترتب عناصر التشويق والايقاع والاستمرار، ثم أنه يحدد في نفس الوقت دوافع أخرى محركة مثل السببية والتتابع.

- الزمن يحدد إلى حد بعيد طبيعة الرواية وشكلها، بل أن شكل الرواية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعالجة عنصر الزمن.

- ليس للزمن وجود مستقل نستطيع أن نستخرجه من النص مثل الشخصية أو الأشياء التي تشغل المكان أو مظاهر الطبيعة، فالزمن يتخلل الرواية كلها، ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية. [1]

أما أداة التعبير عن الزمن فهي اللغة وما تمثله من ألفاظ تحمل معاني مختلفة حيث ينهض الزمن الروائي بمهام دلالية مختلفة، وذلك من خلال ارتباطه بشكل الرواية والذي يحدد طرق الاشتغال بالزمن [2].

3.2.2 الزمن في الرواية الفلسطينية

الرواية الفلسطينية ذات خصوصية زمانية بالإضافة لخصوصيتها المكانية، فقد تناولت الروايات الفلسطينية البحث عبر فترات زمانية مختلفة ، وتحدثت عن أزمنة متعددة منها تاريخي قديم مثلت جزءاً من التاريخ الفلسطيني الحافل بالأحداث، ومنها ما أرخت لفترات زمنية لاحقة مثل الحروب التي عايشها الشعب الفلسطيني على مر تاريخه النضالي ولا يزال حتى اليوم.

وتم من خلال هذه الروايات التطرق إلى مراحل مختلفة من عمر القضية الفلسطينية بداية من الحكم العثماني، وما سبقها من مراحل تاريخية بداية من الفتح الإسلامي وصولا إلى غيرها من الدول الاسلامية التي شيدت عديداً من العمائر والمساجد في القدس وفلسطين، ثم

---

[1] قاسم، سيزا: **بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ**، ص 26 – ص 27

[2] ينظر، حطيني، يوسف: **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، ص 182

الاستعمار الانجليزي، والنكبة وما تلاها، مرورا بالنكسة وما أعقبها، حتى بدايـــة المقاومـــة الشعبية وصولا إلى عقد اتفاقيات السلام.

مثل التعاقب الزمني التقليدي الشكل الغالب على الرواية الفلسطينية، حتى لدى أكثـــر الكُتّاب حضورا، كما كان اللجوء للاستذكار ضرورة ملحة يحمل وظائف دلاليـــة عديـــدة، إذ يمكن للراوي من خلالها أن يعطي خلفية تاريخية أو يكشف عن ماضي الشخصيات، أو يضع إطاراً جغرافياً للحدث، والرواية الفلسطينية كشفت من خـــلال الـــزمن عـــن حجـــم المأســـاة الفلسطينية والطمأنينة الهاربة من خلال الاستذكار في ظل وضع حاضر طارئ يفتقر إلى أدنى حدود الأمان[1].

ولأن الزمن يمثل الجانب المعنوي غير المحسوس في الرواية، فقد ساهم في الكشف عن الخبايا النفسية للشخصيات، والصراعات التي تعيشها هذه الشخصيات وتمر بهـــا داخـــل العمل الروائي، كما ارتبطت بأحداث سياسية وحروب مرت بها المدينة المقدســـة وفلســـطين، كلها عكست جوانب دلالية ذات مغزى.

فالزمن الروائي ذو طبيعة تخيلية، إذ إن الماضي الروائي فـــي القـــص لـــه حقيقـــة الحضور، فحين يتحدث المرء عن الحاضر الروائي، فان المقصود هو الحاضر النصي، على الرغم من كونه ماضيا بالنسبة للروائي، فثلاثية الزمن (الماضي، والحاضر، والمســـتقبل) لا تساوي التاريخ ولكنها تمثل حضورها في الصيغة السردية، فالماضي في الرواية الفلســـطينية هو صورة الوطن، والذكريات في هذا الوطن، أما الحاضر فيرصد الألم والمعانـــاة والأمـــل، والمستقبل هو التوقعات وفق ظروف واقعية أو بعيدة عنها[2].

تمسك الكُتّاب بالزمن الماضي في الرواية الفلسطينية لنظرتهم إليه باعتباره مجســـداً للحب والتفائل وأيام الطفولة والشباب والأمل بعودة الذكريات الجميلـــة والـــوطن المفقـــود،

---

[1] ينظر، حطيني: يوسف: **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، ص 164

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 138 – ص 140

والحاضر هو الواقع المؤلم والأمل بالأفضل، أما المستقبل فهو ضبابي الرؤية وغير واضح الأفق، وكل زمن فيها له دلالاته واشاراته التي يحملها لتفسير الواقع الفلسطيني، ورصد المعاناة.

هيمن الزمن التاريخي والزمن النفسي على الرواية الفلسطينية وخاصة النسائية، حيث أفادت بشكل واضح من التاريخ القديم والحديث، واستخدام الوقائع والأحداث المتصلة بالقضية الفلسطينية، كما اعتمدت على الزمن النفسي (الداخلي) المتعلق بالشخصيات الروائية[1].

وهناك مؤشرات أثرت على عنصر الزمن في الرواية الفلسطينية منها " التحول في حركة التاريخ الذي صنعه الانسان الفلسطيني بممارسته النضالية، وكسر رتابة الزمن، فأصبح الحلم قابلا للتحقيق، إذ أصبح الزمن الفلسطيني يتجه في حركته نحو المكان الفلسطيني المفقود"[2].

وهناك أسباب أخرى ساهمت في تغير مفهوم الانسان الفلسطيني للزمن، فقد كان " وعي الانسان الفلسطيني المبكر لواقعه ولقضيته هو الذي أبرز عنصر الزمان في الأعمال الأدبية الفلسطينية، وقد سبق وعي الفلسطينيين بقية الوطن العربي لواقع قضيتهم، وهذا الوعي العميق تجسد بأشكال متفاوتة ووجد لنفسه مسارات متعددة مع مسيرة التجربة الفلسطينية"[3].

4.2.2 أنواع الزمن وعلاقته بالزمن الروائي

اختلفت آراء النقاد والاتجاهات الأدبية حول تقسيم الزمن في الرواية، وتطبيق الزمن على هذه الروايات، بأشكاله المختلفة، ولأن الزمن له تأثيره على الرواية، وحركة الأحداث والشخوص داخلها، ظهر الاهتمام بالزمن وأنواعه داخل العمل الروائي

برزت هناك اتجاهات في الأدب تميل للواقعية في الربط بين الزمن التاريخي والرواية بشكل واضح لجعل هذه الرواية أقرب إلى الواقع، وبأحداث حقيقية وقعت من خلال ربط

---

[1] ينظر، أحمد، حفيظة: **بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية (1950 – 2000)**، ص 204

[2] وادي، فاروق: **ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية – غسان كنفاني، إميل حبيبي، جبرا إبراهيم جبرا**، ص 56.

[3] عوده، علي: **الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية**، منتديات ستار تايمز، ص 16

التاريخ بسرد هذه الروايات، لتبدو الرواية بذلك الأقرب إلى المتلقي، والأكثر ارتباطاً بواقعه، وثم كان اسقاط الزمن التاريخي على الزمن الواقع، ليبدو التاريخ يعيد نفسه وذلك أخذ العبر والدروس منه، أو جعله سلوى له فيما يعايشه من واقع أليم.

ثم كانت إسهامات الشكلانيين الروس، في تقسيم الزمن بين زمن القصة وهو الزمن الأول، وهذا الزمن يشمل ما هو كوني ويتضمن الفصول والأيام والشهور، والمؤشرات الزمنية التي تضبط الوقت، ويضم كذلك ما هو سيكولوجي، من الذكريات والأحاسيس والأعمال التي يقوم بها البطل، ويتضمن كذلك ما هو تاريخي ويشمل الآثار، أما الزمن الثاني وهو زمن السرد ويكمن في تتابع الوصف وتداخل وتوالي الزمن[1].

وبناء الرواية يقوم من الناحية الزمنية على " تزامن الماضي والحاضر والمستقبل، ولما كان لا بد للرواية من نقطة انطلاق تبدأ منها، فإن الراوي يختار نقطة البداية التي تحدد حاضره وتضع بقية الأحداث على خط الزمن من ماض ومستقبل. وبعدها يستطرد النص في اتجاه واحد في الكتابة غير أنه يتذبذب ويتأرجح في الزمن بين الحاضر والماضي والمستقبل،... وترتيب سرد الأحداث في الرواية هو جزء أساسي من تشكيل الرواية تشكيلاً فنياً. " [2]

وهناك علاقات تدخل ضمن إطار الزمن منها: الترتيب أو النظام ويكون في تتابع الأحداث على التوالي وهي من صنع الراوي وترتيبه، وقد يلجأ الراوي إلى تكسير زمن قصه الحاضر ليفتح على زمن ماض له، وقد يداخل بين عدة أزمنه[3]، أما الجزء الثاني من هذه العلاقات وهي المدة والمقصود بها هو سرعة القص وهي تختلف من حيث الاسراع والتباطؤ والتقطيع داخل المشهد حيث تعادل مدة الزمن على مستوى الوقائع مدتها على مستوى القص[4]،

---

[1] ينظر يقطين، سعيد: **تحليل الخطاب الروائي**، ط 2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1993 م، ص 74.

[2] قاسم، سيزا أحمد: **بناء الرواية**، ص 29

[3] ينظر، العيد، يمنى: **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، ص 112- ص 113

[4] ينظر، المصدر نفسه، ص 127، ويقطين، د. سعيد: **تحليل الخطاب الروائي**، ص 75.

وآخر هذه العلاقات هو التواتر أي النظر إلى ما يتكرر حدوثه أو وقوعه من أحداث، وأفعال على مستويي الوقائع والقص ويأتي هذا التكرار في الرواية بصورة مختلفة[1].

جل الدراسات السابقة بينت أهمية الزمن بكونه عنصراً أساسياً في بنـــاء الروايـــة، وتحدثت عن الزمن وأشكاله وصوره، وعمدت على إبراز تفاعل هذا العنصـــر فـــي الســـرد الروائي، والكشف عن العلاقات التي يشكلها الزمن داخل العمل الروائي والتي تحمل أبعـــاداً دلالية وإشارات تسهم في إثراء العمل الأدبي، وجعله أكثر واقعية ومصداقية وتقـــديم أبعـــاد جمالية له.

وستحاول هذه الدراسة تناول عنصر الزمن بالدراسة بالرغم من صعوبة فصل هـــذا العنصر عن غيره من العناصر الأخرى داخل العمل الروائي، وذلك بهدف الاطلاع على مـــا يحمله من مضمون، وتقديم تصورا للزمن، ودلالاته المختلفة في الروايـــة الفلســـطينية التـــي ظهرت فيها صورة القدس على وجه الخصوص، وذلك من خـــلال اســـتعراض عـــدد مـــن الروايات التي أطلت فيها القدس عند كتّاب مقدسيين وآخرين من غير القدس.

5.2.2 دلالة الزمن في روايات الكتاب المقدسيين

برز الزمن من خلال الروايات التي أطلت القدس فيها، ليحمل فـــي هـــذه الروايـــات دلالات ورموزاً متعددة، حول فترات زمنية مختلفة من تاريخ القدس، منها ما ارتبط بالواقع المعيش والأحداث السياسية والاجتماعية من جانب، أو ارتبط بالشخصيات التي تعـــيش مـــن خلال الماضي والحاضر والمستقبل من جانب آخر.

ففي رواية حارة النصارى، لنبيل خوري اعتمد الزمن على سرد للأحداث والوقـــائع التاريخية التي مرت بها القدس، لتمثل هذه التواريخ جزءاً من تاريخ القدس، وليؤرخ لأحداث جسام مرت بها المدينة المقدسة رمز المقاومة الفلسطينية، حيث شهدت هذه الفتـــرة ثـــورات

[1] ينظر العيد، يمنى: **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، ص 129

فلسطينية من العام 1936م بسبب تعاون الانجليز مع الحركة الصهيونية، وبداية الأطماع الصهيونية في فلسطين، ثم سقوط جزء من المدينة في حرب عام 1948م.

والزمن الروائي هنا غير متسلسل حسب الزمن التاريخي للأحداث ؛ لاتّكاء الرواية بشكل كبير على ما يحدث من صراع داخلي يعيشه الشخوص، فهي تقوم على أساس الصراع الداخلي الذي تعيش سلمى فيه لا حسب تسلسلها التاريخي الحقيقي، فسرد أحداث العام 1948م حيث النكبة، وما حدث فيها من عذابات وألم، ثم العودة إلى العام 1936 م، وما قام به الثوار من مقاومة ضد الانجليز وسياسته، مرورا بدخول الجيش الاسرائيلي للقدس عام 1967 م، هو زمن مضطرب باضطراب الحالة التي تعيشها الشخصية، ويعكس حالة المدينة والوضع القائم بها.

فالرواية اعتمدت في كثير من جوانبها على الاسترجاع في الزمن من خلال ذكريات سلمى عن زوجها الشهيد يوسف، والذكريات التي مرت بها فيها القليل من الفرح والكثير من المعاناة باستشهاد يوسف، فقصة سلمى هي قصة القدس ذاتها.

والزمن هنا هو زمن ضياع القدس، واضطراب هذا الزمن هو لعكس الواقع المضطرب واشارة لحال المدينة في هذه الفترة الزمنية، ذكريات سلمى في حارة النصارى والزمن الذي تتذكره هو الزمن الفلسطيني المحفور في الذاكرة الجمعية الفلسطينية، بكل ألمه وأحزانه إنه زمن القدس والنضال والاستشهاد.

أما روايتا عزام أبو السعود " صبري " و " حمام العين " ، والتي تميزت بالسرد التاريخي لأحداث مرت بها المدينة والميل إلى الواقعية، فقد تميز سرد الزمن الذي دارت حوله أحداث هذه الروايات، بالإيقاع الزمني السريع والمتتالي، ففي رواية " صبري " كانت الفترة الزمنية التي تناولتها الرواية هي فترة محددة، حيث تناول اطارا محكما لروايته، وهي كما ذكرها الكاتب في مقدمتها " فترة زمنية صعبة من تاريخنا الفلسطيني خاصة، والعربي عامة، ألا وهي السنوات 1914 م – 1929م"[1].

[1] أبو السعود، عزام توفيق: **صبري**، ص 5

لقد كان لهذه الفترة الزمنية انعكاسها على مدينة القدس، وحملت دلالات متعددة، حيث شهدت هذه الفترة أحداث كثيرة من اندلاع الحرب العالمية الأولى، وسقوط الدولة العثمانية، ثم وعد بلفور 1917م، وبداية الصراع الفلسطيني الصهيوني على أرض بيت المقدس مع انطلاق ثورة البراق عام 1929م.

شكل العام 1914م، زمن هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية حيث أن " القادة العسكريين قرروا سحب الفرقة من الميدان واعادتها للخطوط الخلفية، في أواخر عام 1914م"[1]، انعكست هذه الهزيمة على القدس وفلسطين، وجسدت مرحلة جديدة من تاريخ القضية الفلسطينية.

أما " في الثامن من كانون أول (ديسمبر) عام 1917، وكانت أصوات خافتة للمدافع تسمع حول مدينة القدس"[2]، مثل هذا التاريخ زمناً مقدسياً آخر مرحلة جديدة مع انسحاب الأتراك وبداية الاستعمار البريطاني للقدس، وما رافقه من تغيرات زمانية ومكانية وقعت فيها المدينة.

كما ظهر انسياب للزمن وتتابع الأحداث، فالزمن تميز بالهدوء والرتابة في أماكن من الرواية مثل " تعاقبت الأيام، مرت بقية أيام الحرب، يومين متتاليين "، وسيطر الزمن الضبابي والمصير المجهول انعكاسه على الحياة في القدس، ليسير الزمن بعد ذلك بشكل تصاعدي للوصول إلى تدهور الأحوال في القدس حيث كشف العام 1917 م عن مؤامرات حاكها الانجليز حول تدويل فلسطين، كما شهد العام 1920 م العديد من الأحداث السياسية التصعيدية المتسارعة في القدس والتي انعكست على فلسطين.

تتابعت الأحداث في الرواية بشكل متذبذب بين أيام صعبة عاشتها القدس عكستها اسرة الدكتور فؤاد والمجتمع المقدسي من اعتقالات ومطاردات ومواجهات مع الانجليز، وأيام فيها

---

[1] أبو السعود، عزام توفيق: **صبري**، ص 18

[2] المصدر نفسه، ص 43

فرح وسعادة بعد انتقال الدكتور فؤاد لبيته الجديد، وخطبة ليلى وصبري، وولادة حفيد الدكتور فؤاد، ثم تطورت الأحداث بشكل متسارع في القدس حتى وصلت ذروتها مع العام 1928 م مع انعقاد المؤتمر الاسلامي حول القدس وفلسطين، ثم ثورة البراق العام 1929 م، وبروز المطامع الصهيونية في القدس، وبداية مرحلة أخرى من تاريخ المدينة والقضية الفلسطينية.

أما روايته "حمام العين " فقد بدأت بافتتاحية زمانية في ليلة باردة مظلمة في شهر شباط عندما استيقظ أبو محمود لصلاة الصبح، هذا الصباح من أيام الشتاء في قرية "خربة مبروك "هو فصل يحمل معه الخير للأرض وأهلها، حمل هنا على عكس دلالته بداية مأساة لأسرة أبي محمود عندما انطلقوا لزراعة أرضيهم مع ساعات الصباح الباكر ليجدوا علامات وضعها موظفو المساحة الانجليز لمصادرة أرضهم لحساب سماسرة الأرض اليهود، هذه الفترة الزمنية التي خيمت على الرواية هي دلالة على الواقع الفلسطيني المعاش في تلك الحقبة، حيث بدأت المطامع الصهيونية في التنامي في فلسطين وانعكس أثرها على مدينة القدس.

ثم بدأ تسارع في زمن القص بعد هذه الحادثة فقرار أبو محمود السفر للقدس في اليوم التالي من هذه الحادثة "الكل نصحني بالرواح إلى القدس أشاور الزعماء هناك أشاور المفتي..."[1]، ثم مقتل مختار قرية مبروك بعد أربعة أيام، عندما " هرول الجميع باتجاه الصوت ليجدوا أن مختار قريتهم ينزف دما... لم تمضِ أكثر من ساعة حتى كانت البلدة كلها مطوقة بالجنود الانجليز"[2] كلها دلالات تشير إلى تسارع القص في سرد الأحداث السياسية، وتنامي الأطماع الصهيونية باتجاه السيطرة على الأرض الفلسطينية عام 1932م.

ولكن الزمن في القدس والأيام فيها تمر ببطء وبشكل اعتيادي، وإن كان فيها بعض التسارع لإنجاز المهمة التي جاء من أجلها أبو محمود عند ذهابه مع الدكتور فؤاد للقاء رجال القدس منهم الحاج أمين الحسيني وموسى كاظم في اليوم التالي لوصوله القدس، الزمن هنا

[1] أبو السعود، عزام توفيق، **حمام العين**، ص 20

[2] المصدر نفسه، ص 29 – 80 ص

زمن غامض ويحمل بين طياته أحداث جسام بعد استشهاد أبي محمـــود ومصـــادرة الأرض، زمن يسير باتجاه المجهول ليعكس واقع القدس وغيرها من المدن الفلسطينية في تلك الفترة.

استخدم الكاتب الحوادث التاريخية كخلفية لروايته ليضيف لها سمات الرواية الواقعية، منها معايشة الشخصيات في الرواية لأسماء زعماء عاشوا في القدس، مـــنهم الحـــاج أمـــين الحسيني وموسى كاظم باشا، وأحداث زمنية أخرى منها اشتراك علي في مظـــاهرات يـــوم الجمعة في القدس، ومشاركة أسرة الدكتور فؤاد في مظاهرات عام 1929 م، ثم ثورة البراق، كل هذه الفترات الزمنية هي اشارة للوضع السياسي الذي أخذ بالتدهور في القـــدس، وبدايـــة سيطرة اليهود وبالتعاون مع الانجليز عليها.

امتدت أحداث هذه الرواية كما ذكر المؤلف في مقدمتها من العام 1930 م وحتى العام 1937م، وهي فترة زمنية معقدة مليئة بالأحداث التي كانت حافلة بالتغيرات الجذرية في تاريخ فلسطين، أولها الاضراب العام الذي أعلن في العام 1936 م، والمقاومة المسلحة، والاعتقالات ومصادرة الأراضي، وسعي اليهود لامتلاك أراضٍ وشرائها من فلسطينيين كل هذه الأمـــور انعكست بشكل مباشر على القدس، إلى جانب الصراعات السياسية والاجتماعية والأيدولوجية وشكلت القدس محور هذه الأحداث [1].

في رواية " خلود " لسمير الجندي، بدأ زمن الرواية غير واضح أو محدد حين قـــال بطل الرواية حكيم " التقينا ذات مساء...، أمسية ولا كل الأمسيات...، مضى ذلك اليـــوم..."[2] هو هنا يتحدث عن التقائه بمحبوبته وهي القدس أن حبه للقدس غير مقترن بزمان وليس لـــه وقت محدد فالقدس لها كل آن.

برزت سرعة الزمن في بداية الرواية بطيئة ثقيلة والمدة الزمنية فيها قصيرة منهـــا " ثلاث ساعات، بعد خمسة أيام، قضينا أيامنا الأولى، بعد يومين " بهدف تقديم تفاصيل دقيقـــة

[1] الجندي، سمير: **خلود**، ص 7
[2] المصدر نفسه: ص 8 – ص 9

حول نكبة عام 1967 لتكشف عن عمق المأساة الفلسطينية التي عاشتها أسرة حكيم كما سائر الأسر المقدسة، والتي ساهمت في تشكل الشخصية والواقع الفلسطيني بعد ذلك.

كما برز تيار الوعي من خلال الصراع الداخلي الذي عاشه بطل الرواية حكيم وهو طفل عند خروج اسرته من بيتهم بسبب الحرب، صراع داخلي مرير يعكس اضطراب الشخصية، واضطراب الزمن هنا هو اضطراب القدس معها فقال:

"هل سيكون عشاء بعد اليوم؟ ربما لدينا بعض الطعام لهذا اليوم، ولكن.. كادت أن تنزل دمعتي لولا أن والدتي طلبت مني الانتباه إلى أختي حتى لا نفقدها أيضا"[1]

كشف هذا الصراع داخل الشخصية عن أبعاد زمانية مختلفة تعيشها الشخصية حول الحاضر المؤلم والمستقبل المظلم، وهو انعكاس لتاريخ مدينة تسير نحو المجهول، بكل معاناتها وألمها وسيرها نحو مصير غير واضح الرؤية.

بعد أحداث الحرب أخذ الزمن الروائي داخل الرواية يتصاعد تدريجياً " مرت سنة...، بعد انتهاء العطلة الصيفية... "[2]، ليعكس واقع القدس والتطورات والتغيرات المتلاحقة التي وصلت لها المدينة بعد ذلك، وتصارع الزمن وانعكاسه على الحياة داخل القدس، ثم هناك الزمن الذي انساب عادياً رتيباً عندما كان بعيداً عن القدس، ومثل هذا الزمن التغيرات التي حدثت على حياة حكيم في العمل والدراسة، ثم زواجه من ليلى وحياته في الأردن.

لجأ الكاتب إلى تكسير زمنه الروائي باسترجاع للذكريات التي عاشها في القدس قبل سفره إلى عمان، عندما أخذ يعد الحقائب للعودة، " تسكن ذكرياتي في كل ركن من أركانها... تشابكت المشاعر واتحدت يوم جنازة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الرمزية.. يومها شد الناس رحالهم إلى القدس من كل مدن وقرى ومخيمات فلسطين " [3] ليجسد الحنين للوطن، وأيام الطفولة والنضال وتمسكه بالقدس.

---

[1] الجندي، سمير: **خلود**، ص 28

[2] المصدر نفسه، ص 42

[3] المصدر نفسه، ص 76

تناولت الرواية فترات زمنية مختلفة من تاريخ المدينة وارتبطت بأحداث أثرت فيهـــا، حزيران من العام 1967 م، يرمز هذا الزمن لحلقة أخرى تضاف إلى سلسلة المعانـــاة لتبـــدأ مرحلة جديدة من تشرد الأبناء بعد الهجرة القسرية التي عانى منها الآباء العام 1948 م " ها هي قصتنا تتكرر يا بني، أخذت تعيد شريط ذكرياتها، رجعت إلى طفولتها عندما تركت بيتها مع من بقي على قيد الحياة من أبناء أسرتها في قرية زكريا " [1]، الزمن الذي عاشته الأم هـــو معادل موضوعي للزمن الذي يعيش فيه الراوي " حكيم " الذي هجر من بيته مـــع أســـرته ووصفه المعاناة الشديدة التي مروا بها، وقبل ذلك ألم والدته التي رحلت عن بيتها مع أسرتها من قرية زكريا بسبب المذابح التي تعرضوا لها العام 1948 م، فالزمن هنا يسير وفق حركة دائرية تتكرر، ليحمل الزمن دلالة حالة معاناة المدينة من الحروب التي لا تنتهي.

ليالي الشتاء البارد في القدس طويلة ومؤلمة، تلك الليالي التي قضوها بعد تهجيـــرهم من بيوتهم في حارة الشرف بالقدس، واقامتهم في اسطبل قذر يفتقر لأدنى مقومات الحياة، في دلالة على زمن قاس فيه ضياع الأمل والأمن، ليالي طويلة في القدس رمز للانتظار للعـــودة لدفء البيت والأسرة ؛ فأيام التهجير الأولى في القدس من العام 1967 م تمر حزينة مؤلمة.

زمن المقاومة والنضال في القدس ضد الاحتلال، وهو زمن فقدان الأحبة والأصدقاء، فقد كانت " الساعة التاسعة والربع يوم الثلاثاء الثامن عشر من أيار العام ستة وسبعين"[2]، زمن منقوش في الذاكرة بعد فقدان صديقه محمود الذي استشهد اثناء المواجهات مع قوات الاحتلال احتجاجا على استشهاد لينا النابلسي، حين انطلقت المظاهرة من الحرم الشريف مرورا بسوق القطانين وسوق خان الزيت داخل أسوار القدس.

و "الأيام السبعة " وتكرار هذا الزمن، برز من خلاله مفاصل مؤلمة في حياة الراوي انعكست على حياة المقدسيين ومعناتهم حيث مثلت حادثة فقدان أسرة حكيم لشقيقهم حليم أثناء خروجهم مع بداية الحرب ومرارة الفراق والانتظار والبحث عنه لمدة أسبوع عكســـت هـــذه

---

[1] الجندي، سمير: **خلود**، ص 23

[2] المصدر نفسه، ص 77

الواقعة معاناة الاسر المقدسية من فقدان الآباء والأزواج والأبناء، والسكناجي الذي عمل عنده ولم يدفع له الأجرة " سبعة أيام وأنا انتظر الشيطان القذر... سبعة أيام من القهر والغضب ولم يأتي أحد"[1].

أزمنة أخرى ظهرت في الرواية لتشكل محركاً لأحداثها ومسار حركـة الشخصـيات بداخلها، تشظى الزمن في هذه الرواية ما بين زمن الألم والضياع وصراع للتمسك بما تبقـى من حياة وذكريات جميلة عكست كلها واقع المدينة المؤلم.

أطل الزمن الروائي في رواية " عاشق على أسوار القدس " لعادل سالم مـن خـلال مرحلة ما بعد أوسلو، والتغيرات الكبيرة التي شهدتها القدس على وجه الخصوص فـي هـذه الفترة الزمنية، بداية الزمن الروائي كانت عبر فترات زمنية مختلفة، مع ولادة سرحان بطـل الرواية في القدس عام 1960 م أبان فترة الحكم الأردني، وانهاء المرحلـة الثانويـة العـام 1967، وسفره للدراسة في الولايات المتحدة عام 1980 م، ثم عودته إلى القدس قادمـا مـن الولايات المتحدة العام 2005م، وقع الكاتب أثناء تقسيمه للزمن في الرواية بين حياتـه فـي القدس وسفره للولايات المتحدة وقع في أخطاء واضحه فكيف يكون ولد عام 1960 وتخـرج عام 1967 أي أنه أنهى دراسته المدرسية وعمره سبع سنوات فقط.

بدأت الرواية بصراع داخلي عاشه سرحان بين الماضي والذكريات التي عاشها فـي القدس ورغبته في العودة للوطن، وبين المستقبل وأحلامه المادية التي عـاش لتحقيقهـا فـي الولايات المتحدة عندما سافر إليها بعد انهائه المدرسة ذكرياته في المسجد الأقصى قلب القدس كما وصفها، أجمل سني عمره التي عاشها في القدس.

شكل العام 1967 م في هذه الرواية زمننا مفصليا في حياة القدس بعد احتلال اليهـود للقسم الشرقي منها ليشير إلى دلالة الواقع المتغير فـي المدينـة مـن النـواحي السياسـية والاجتماعية وحتى التعليمية، وأظهر الزمن الحاضر هيمنته على الرواية ليرسم الواقع المؤلم

---

[1] الجندي، سمير: **خلود**، ص 92

للمدينة، مقابل القليل من الذكريات التي يتمسك بها، لتعطيه جرعة من الأمل للاستمرار في المقاومة للبقاء في المدينة التي أحبها وترك كل شيء من أجلها.

أما عودته عام 2005م للقدس، مَثّل هذا الزمن العودة لقدس أخرى غير القدس التي تركها قبل سفره وما شهدته القدس من تغيرات كبيرة خلال هذه الفترة، زمن سيطر فيه الآخر على كل ما في المدينة المقدسة، وكانت بداية النهاية له ليستشهد عاشقا على أسوارها.

ثنائية الزمن بين ما هو حاضر أليم مكتظ بالمتاعب والسعي لأثبات حق المقدسي في البقاء داخل مدينته أو يموت وهو يدافع عنها، مقابل ماض زاهر بالذكريات الجميلة وأيام الطفولة في القدس، فهو لم يصل يحقق الحاضر والبقاء داخل مدينته، ولم يحتفظ بذكريات الماضي الجميلة التي عاشها.

وفي رواية عارف الحسني "كافر سبت" والتي قال كاتبها في بداية الرواية عنها " أنها محاولة أدبية لسرد حكايات بسيطة ترتبط بأماكن وأزمنة مقدسية وفلسطينية"[1] والأزمنة المقدسية كما برزت في الرواية هي التي تهيمن على مجريات أحداث الرواية حين تتحدث عن أحداث وقعت في فترات زمانية مرت بها القدس، أما الفترة الزمنية التي تناولتها الرواية فهي فترة طويلة نسبياً، حيث بدأ الراوي نبيه باستذكار واسترجاع أحداث وقعت قبل العام 1908 م ليخبر عن حكاية أسرته وهي حكاية القدس ذاتها، حيث " تدور أحداث الرواية في أواسط الثمانينات، وحتى بداية الألفية الثانية، في مدينة القدس، في فترة الانتفاضة الفلسطينية الأولى، التي تلتها مرحلة إبرام اتفاق أوسلو للسلام، بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل ومن ثم فترة الانتفاضة الثانية، التي كان يسومها كم كبير من المفارقات. "[2]

بدأت الرواية بافتتاحية زمانية قائمة على الاسترجاع، والفعل الماضي " عاش " ثم الانطلاق إلى سرد الحاضر، وبعض التوقعات للمستقبل، هذا الترتيب الزمني التعاقبي في

[1] الحسيني، عارف: **كافر سبت**، ص 7

[2] المصدر نفسه ، ص 7

الانتقال من الماضي للحاضر ثم المستقبل، ليسرد من خلال هذا التعاقب الزمني تاريخ القدس، ودلالة التغيرات التي وقعت في القدس، فزمن الرواية هو زمن القدس وما وقع فيها من أحداث خلال فترة زمنية متعاقبة من تاريخ المدينة، وهي فترة الحكم العثماني للقدس، حيث شـــهدت تلك الفترة انتشار الرشاوي، والواسطة وحياة الترف، والرفاهية التي عاشها الولاة، والقـــواد على حساب أبناء الشعب الذين عاشوا حياة قاسية من الفقر والمجاعة،

ثم تعرضت الرواية لذكر فترات تاريخية من حياة مدينة القدس منذ عام 1908 حيث أُعلنَ في المؤتمر الصهيوني عن قيام وطن قومي لليهود في فلسطين، وانعكاس ذلـــك علـــى القدس، حيث شكل هذا التاريخ مفصلاً زمنياً في تاريخ المدينة، وجاء هذا التعاقـــب الزمنـــي عليها ليتحدث عن فترات زمنية مختلفة بداية من الحكم العثماني، ثم الانتداب البريطاني، ومع بداية الأطماع الصهيونية حتى وقوعها تحت الاحتلال.

هذه الخلفية الزمنية للرواية قدمت مفارقة لتعاقب الاحتلال على القدس من النكبة ثـــم النكسة وتأثير هذه الفترة على أبناء فلسطين عموماً وعلى أبناء مدينـــة القـــدس علـــى وجـــه الخصوص حيث هاجر العديد منهم إلى أوروبا ودول عربية أخرى، أعقب ذلك قرار تقســـيم القدس عام 1948 م، واحتلالها بالكامل عام 1967م.

عمد الكاتب إلى تحديد هذه الفترة الزمنية من تاريخ القدس وإبرازها ليتتبـــع جـــزءاً آخر من تاريخ المدينة بعد عام 1967 وانعكاس هذه الفترة الزمنية السياسية على حياة القدس وسكانها وما رافقتها من تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية متسارعة مرت بها القدس، لقد فرضت هذه الفترة الزمنية على القدس أوضاعا خاصة تأثر بها حتى التعلـــيم ومـــن اكمـــل دراسته لم يتحول إلا إلى يد عاملة رخيصة في اسرائيل.

الزمن في هذه الرواية يحمل دلالة التيه والضياع الذي يعيشه أبناء المدينة المقدســـة، فهناك الزمن الماضي الذي مثل العزة والراحة حين عاشت أسرة تاج الدين " برفاه ودلال حتى

جاءت بوادر الحرب العالمية الأولى "[1]، أما الحاضر الأليم الذي أصبح فيه صاحب الأرض مُستغلاً وعاملاً، والذي بدأ مع عودة تاج الدين وأسرته " يجرون أمجاد الماضي وذل الحاضر إلى القدس"[2].

قام الزمن في الرواية على أساس مجموعة من المفارقات بين الزمن الماضي في القدس والذي عاشه الجد صلاح الدين قبل سفره إلى أمريكا، والزمن الحاضر الذي عاد ليشهد كثيراً من تغيراته في القدس في شكل منزله والحياة الاجتماعية والتغيرات السياسية والقيود التي أصبحت تعيشها القدس " لم يعلم صلاح الدين أن الدنيا تغيرت... ولم يدرك أن الزمن قد عمل العجائب في البلد التي هاجرت أغلب عقولها..."[3]

أما رواية " برج القلق " للكاتبة ديمة جمعة السمان فقد ألقى الزمن بظلاله على حقبة تاريخية طويلة نسبيا مرت بها مدينة القدس، بدأ الزمن من فترة تاريخية منذ عهد صلاح الدين الأيوبي عندما قدم الشيخ علي الجد الأكبر لآل عبد الجبار إلى القدس مع جند صلاح الدين لمحاربة الصليبيين، واستشهد على أسوارها، برز عنصر الاسترجاع للزمن الماضي في الرواية ليبرز أصالة المدينة وتاريخها العربي والاسلامي، ثم تتابع الزمن، وانتقل من بداية الحكم العثماني ثم مرحلة الانتداب البريطاني حتى الاحتلال الصهيوني للقدس وفترة الانتفاضة، وما حدث في تلك الفترة من عمليات استشهادية نُفذت داخل القدس.

أطل الزمن السردي للرواية غير واضح ومجهول " في ليلة صيف، صلاة العشاء " لأن الزمن هو زمن حكاية كل مقدسي وفلسطيني، يحدث وسط أي أسرة مقدسية، ويعكس أصالة القدس وتاريخها.

ثم سار الزمن الروائي بشكل انسيابي، أيام عادية مرت بها أسرة عبد الجبار في سبيل العيش الكريم بعد أن أصاب عائلته الضيق بسبب ما قام به الأتراك في القدس، ففترة الحكم

---

[1] الحسيني، عارف: **كافر سبت**، ص 13

[2] المصدر نفسه، ص 13

[3] المصدر نفسه، ص 31

العثماني لفلسطين وما رافق هذه الفترة من معاناه وفقر شديد عانى منه أبناء القدس وفلسطين فبعد أن كانوا يحتلون أرفع المراكز والوظائف تركوها بعد أن عمل الأتراك على إسناد هــذه الوظائف الهامة لأبناء جلدتهم، حتى عندما عمل أبناء القدس في الزراعة والصناعة والتجارة اخذوا يسطون على أموالهم وأرزاقهم فأصبح أهل القدس وفلسطين في أسوء حال من العــوز والحاجة حتى زعمائهم من أبناء العائلات المقدسية.

أما فترة الحرب العالمية الأولى، فقد انعكس أثرها على المدينة من خلال التحاق أبناء عبد الجبار في التجنيد الإجباري في الحرب على يد الأتراك وهو وما عرف (بالسفر برلك)، ومع تزايد معاناة الناس، وبداية المقاومة عندما التحق علي أحد أبناء عبد الجبار في صفوف المقاومة، لمقاومة الأتراك مما مثل مرحلة زمنية أخرى مرت بها القدس في المقاومة ضد ظلم الأتراك الذين أرهقوا البلاد والعباد.

برز تيار الوعي من خلال الصراع الداخلي الذي عاش فيه عبد الجبار بــين واجبــه كزعيم لقومه وصدق انتمائه وشعوره بالمسؤولية من جانب وواجبه تجاه أسرته في فترة عمت فيها المجاعة والفقر وكادت تفتك بحياة الناس، صراع عبد الجبار واضطراب الــزمن الــذي يعيشه هو اضطراب زمن القدس، وما مرت به من أوضاع سياسية واقتصادية صعبة، بــرز صراع عبد الجبار عندما حلم بجده الأكبر علي كان يأتي في منامه ليعيش معه في يقظتــه " بينما غفت عين عبد الجبار بعد قلق وطول سهر... حلم حلماً عجيباً رأى فيه جده الشيخ علي رجلاً ضخماً ذا هيبة ووقار... نادى بصوت فيه رهبة ورجع صدى... كأنه قادم مــن عــالم مجهول عبد الجبار... عبد الجبار"[1]، حمل هذا الحلم إشارة إلى الزعماء العرب والمقدســيين ودورهم في الدفاع عن القدس وحمايتها.

حتى ليل القدس حمل لعبد الجبار الكثير من المتاعب مع انتشار الخرافــات، لــيعكس ذلك الواقع الاجتماعي السائد في المدينة، ثم تغلبه على هذه الخرافات وانهاء حالة الخوف من البقاء خارج السور ليلاً، ليل القدس هنا معادل موضوعي للمعتدي والخوف منه وتغلبهم على

[1] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج1، ص 95

هذا الليل هو انتصار على هذا العدو، كما أنه الليل ذاته الذي احترقت فيه نفيسة عندما حاولت اطفاء السراج عن قبر الشيخ علي، وذلك دلالة إلى كل معتد يحاول الاعتداء على المـوروث الديني والثقافي للقدس.

تتابع الأيام رتيبة غير محددة فهي أي يوم وأي ليلة لتصور حالة المقاومة المستمرة في القدس وكأنها حالة فلسطينية لم تنته حتى اليوم " مرت الأيام والشهور والسنون والصبر شريك الفلسطينيين "[1]، بدأت مع نهاية الحكم العثماني وبداية الانتداب البريطاني ومقاومة اليهود من جهة أخرى حيث بدأت قدرتهم في التعاظم داخل القدس خاصة داخل ما اسموه حارة اليهود، وفشل المقاومة في التغلب عليهم بسبب نقص العتاد والسلاح وما أعقب ذلك من سقوط المدينة.

أطل الزمن بعد ذلك بشكل تصاعدي وأحداث متتابعة، والزمن هنا يعكس واقع القدس، ويحمل دلالة الوضع المضرب الذي وصلت له المدينة، فمن بداية المقاومة ضد اليهود والانجليز، حتى احتلال اليهود لجزء من مدينة القدس عام 1948 م، ثم يوم الاثنين التاسع والعشرين من اكتوبر سنة 1956، وحرب عام 1967 م، وليلة السابع من حزيران حملت هذه الليلة دلالة البؤس والألم بسقوط القدس لما واكبته من أحداث، سار الزمن في الرواية بشكل دائري مغلق من الحياة والموت والزواج والاحتلال والمقاومة، وهذا الزمن هو زمن سير الحياة في القدس بهذه الرتابة التي لا تنتهي وما فيها من تكرار، وأن اقتحمتها بعض الأحداث المفصلية التاريخية التي شكلت علامة فارقة في مآل المدينة المقدسة.

وفي رواية أخرى لديمة السمان بعنوان "الضلع المفقود" بدأ فيها الزمن بالاسترجاع منذ آلاف السنين للحديث عن تاريخ حي الواد أحد الأحياء في مدينة القدس، " حي الواد منحدر قديم... شكلته منذ آلف السنين الطبيعة... عُرف قبل أن يعرف الزمن له تاريخا"[2] سار فيها الزمن بشكل متسلسل لتسرد الاحداث من خلاله، فقد وصف الزمن هنا مراحل زمنيه

[1] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج 2، ص 224

[2] السمان، ديمة جمعة: **الضلع المفقود**، ص 3

مختلفة مرت بها القدس منذ الحكم العثماني، وما حدث فيه من مجاعات وصـــراعات حتـــى الانتداب البريطاني وبداية الأطماع الصهيونية، وانطلاق المقاومة في أنحاء القدس كافةً .

وقعت أحداث الرواية زمن الحكم العثماني في القدس وما رافق ذلك من فقر ومجاعة شديدة وازدياد الأمر سوءاً مع بداية الحرب العالمية الأولى والتجنيد الاجباري، ليحمل إشـــارة للمعاناة الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها القدس.

تتابعت فصول السنة في الرواية لتدل على استمرارية الحياة، فالربيع فصل الخصـــب والعطاء تخرج الأرض خيراتها من غذاء ودواء ينتشر في الجبال القدس" في ربيع كل عـــام كان هذا الرجل يقفل حانوته مدة ثلاثة أشهر يرتحل منها الى جبال القدس ووديانها... يقضيها في تتبع الاعشاب وجمعها لدراسة تأثيرها على الأمراض"[1].

كذلك يحمل شتاء القدس مفارقة عجيبة، فمن جانب كان يحمل لأهله الخير والخصب والحنان حيث تجتمع الأسر في أيام البرد القارس في داخل بيوتهم الآمنة فقد كانت الحياه هانئة وكل شيء في متناول اليد " لا تفتح الحوانيت ولا يتعاطى فيها بيع ولا شراء في أيام البـــرد القارس... فقد كانت تلم الاسرة المدفأة ودفء الحنان الأسري يستمتعون به ضاربين أطماع الدنيا بعرض الحائط"[2].

أما على الجانب الآخر فقد حمل شتاء القدس المعاناة والألم والحزن لأهلـــه، عنـــدما شهدت هذه الليلة من كانون الأول اصابة عياش وهزيمة المقاومة في معركة خاسرة وقعـــت على جبل اسكوبس في مدينة القدس، وهدم منزل الأسرة لتتوفى العمة أمينة في يـــوم شـــتائي بارد فوق ركام منزلها منزل آل العطار على يد القوات البريطانية.

وفي ثنائية " وجه من زمن آخر " و" بنت الأصول " زمن الروايتان كان مـــع بدايـــة الحكم العثماني في مدينة القدس حتى الاستعمار البريطاني، الزمن فيها يتجه اتجاهـــاً واحـــدا

---

[1] السمان، ديمة جمعة : **الضلع المفقود**، ص 5

[2] المصدر نفسه، ص 7

ومحدداً نحو الأمام يحمل بين ثناياه دلالة التيه والضياع، حيث ساد الفقر والمجاعة، وانتشرت الخرافات والشعوذة، في ظل ظروف سياسية واقتصادية صعبة مرت بها القدس أبان الحكم العثماني، كان ليل القدس فيها معادلا للخوف والرعب وانتشار الخرافات.

أما في فترة الاستعمار البريطاني تحولت القدس للمقاومة بسبب ما قامت به القوات البريطانية من تنكيل ضد المقدسيين، وتحول ليل القدس الى مواجهة مع المستعمر، وتهريب السلاح الى رجال المقاومة في القدس، وحمل ذلك دلالة عمق المعاناة وشراسة المقاومة ضد المحتل، وتفاعل أبناء القدس معها.

زمن القدس في روايتي أسعد الأسعد " ليل البنفسج " و" عري الذاكرة "، جاء التركيز فيها على تاريخ الثالث عشر من أيار عام 1948 م، ليحمل هذا التاريخ بداية النزوح وحياة اللجوء على الضفة الأخرى من نهر الاردن لعائلة أبو زيد ولغيره من أبناء القدس وفلسطين، هذا التاريخ الذي يحمل عديد الذكريات حول حياتهم في القدس والقرى القريبة منها حين كانوا يقيمون فيها قبل رحيلهم عنها.

في رواية " ليل البنفسج" سار الزمن فيها وفق تسلسل متتابع وذلك أثناء عودة زيد عبر نهر الردن في طريقه إلى القدس، وإن كان احساسه بالزمن قد توقف عندما اوقفه الجنود على حاجز أثناء عودته للقدس، وكأن هذا الزمن شكّل حاجزاً يمنعه من الوصول للقدس، أراد ايقافه وابعاده.

شكل عامي 1948م وعام 1967م في رواية "عائد الى القدس" لعيسى بلاطة شكل مراحل زمنية في تاريخ القدس حملت دلالات مختلفة، حين شهدت ضياع المدينة، وضياع أبطال الرواية ونهاية أحلامهم، وفراق أحبتهم.

ظهر عنصر استرجاع الزمن واستذكاره في الرواية بشكل بارز لكونها اعتمدت على الذكريات التي عاشها أبطال الرواية في القدس قبل رحيلهم عنها، فحاضر الناس يبقى معلقا بماضيهم، هو الحنين الدائم للماضي، فمن خلال ذكريات وداد في القدس " كنت في السادسة

من عمري حين حلت بنا نكبة فلسطين سنة 1948"[1] حمل هذا الزمن إشارة لم تنعكس على طفولة وداد التي فقدت الشعور بالأمان وحسب وإنما على كل أبناء القدس وفلسطين أطفالا ونساء. الأزمنة وأيام التهجير لا تكون كما هي أزمنة حقيقية، وانما الشعور بها على أنها طويلة بانتظار العودة للديار، إنه الزمن الفلسطيني الذي ما أنفك يحمل بين طياته عديد الأحداث وكثير المعاناة.

فصل الربيع في القدس " كان يوما ربيعيا مشمسا " ، هذا اليوم بما فيه من جمال اتصل بالربيع ، وشمس حملت الدفء حمل هذا اليوم السكينة لسكان حي القطون ولكن ما لبث أن تبدل كل ذلك " حين بدأنا نسمع انفجاراتٍ تدوي، ترافقها طلقات نارية، وأخذت هذه الأصوات المخيفة تقترب منا"[2].

6.2.2 دلالة الزمن في رواية الكتاب غير المقدسيين

أطل الزمن في روايات الكتاب غير المقدسين ؛ لتلقي الضوء على فترات مختلفة من تاريخ المدينة، وما وقع فيها من أحداث تركت أثراً على حياة المدينة، ففي رواية " الجانب الآخر لأرض الميعاد " لأحمد حرب، ظهر الزمان فيها بشكل مغاير في تناوله لفترة زمنية طويلة نسبياً، حيث " إن المعمار الروائي للجانب الآخر تم تصميمه بحيث تناول الموضوع الوطني – السياسي في فترات زمنيه طويلة تبدأ من أواخر العشرينيات من هذا القرن وحتى أواخر الثمانينات"[3].

يُسلط الكاتب زمنه الروائي للحديث عن فترة الانتفاضة الأولى التي شهدتها المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، وعلى رأسها مدينة القدس التي كانت دوما قلب مركز الصراع الفلسطيني اليهودي حيث كانت شاهدة على صراعات واعتداءات لطالما عانت وتعاني منها، وانعكاس ذلك على واقع المدينة المقدسة.

---

[1] بلاطة، عيسى: **عائد إلى القدس**، ص 79

[2] المصدر نفسه، ص 83

[3] البيطاوي، يوسف ذياب: **الرواية الفلسطينية – في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967 – 1993**، ص 56

عمل الكاتب على تكسير زمنه الروائي عندما أدار حوارا مع أبـــي قــيس ليســترجع تاريخ مدينة القدس، وما مر عليها من أحداث منها مشاركة أبي القيس في معركة القسطل إلى جانب عبد القادر الحسيني العام 1948م ، حين كانت هذه الفترة شاهدة على حياة أبا قيس في القدس وعمله كمبيض في شوارع القدس " فتحت دكانا بالقرب من مدرسة الأيتام في القــدس كنت ألبس السروال وأحوم في شوارع القدس وأزقتها"[1]، زمن القدس هو زمن الحــرب، ودل على واقع المدينة قبل حرب 67، كما أشار إلى الوضع الاقتصادي والسياسي لمدينة القدس

رواية " المسكوبية " لأسامة العيسة ظهرت فيها ثنائية الزمن، بين زمن داخل السجن، وزمن آخر خارج أسواره "من الصعب تحديد الزمن أو معرفة الوقت. الزمن في السجن غير الأزمان في الخارج، وزمن الزنزانة غير زمن الشبح وهذا غير زمن التحقيق، وهــذا غيــر زمن شبح الكرسي، وهذا غير زمن تعذيب الخزانة... الزمن نسبي، فكيف عــرف آينشــتاين ذلك دون ان يسجن"[2] تداخل الزمن داخل السجن هو دلالة لحالة المعاناة والألــم هــو زمــن الصمود والتحدي الذي تعيشه القدس، مثلت هذه الثنائية حالة العذاب، والمعاناة التي يمر بها المعتقلون في هذا السجن فإحساسهم بالزمن غير عادي بطيء وطويل ومؤلم، زمن المسكوبية هو زمن القدس وما تعيشه من ألم ومعاناة في ظل الوضع القائم.

أما الزمن الحقيقي لهذه الرواية والذي عاشه الكاتب فهو شهري آذار ونيسان 1982م داخل سجن المسكوبية في القدس، حيث ذهبت الرواية إلى الحديث عن الأحــوال السياســية، والاقتصادية في القدس خلال تلك الفترة، بالرغم من قصر الفترة الزمنية التي أمضاها الكاتب في المسكوبية، غير أنها كانت محملة بقصص مختلفة ومتنوعة عن القدس وما كان يدور فيها.

وكسر الكاتب زمنه الروائي أكثر من مرة ليسترجع مع هؤلاء المعتقلين الفلســطينيين داخل هذا السجن روايات روت جانب من معاناة القدس، ولسرد جزء من تاريخ هذه المدينـــة

---

[1] حرب، أحمد: **الجانب الآخر لأرض الميعاد**، ص 37

[2] العيسة، أسامة: **المسكوبية**، ص 19

وبعض الأحداث التي مرت بها، وصور من المقاومة والثورة لأبنائها ضد الاحتلال، تاريخ هذا السجن وبناءه والذي هو جزء من تاريخ القدس.

وبرز الزمن الروائي مضطرب للدلالة على الحالة الفلسطينية خاصة داخل السجون، فالزمن غير واضح المعالم حيث تتشابه فيها أيام السجن والتعذيب، ومعاناة أبناء الحركة الأسيرة داخل المعتقلات ومنها سجن المسكوبية الذي يعد رمزا للمعاناة والتعذيب، وهو دلالة على الحالة المضطربة التي تعيشها القدس، وعدم الاستقرار السياسي الذي تواكبه المدينة.

ارتبطت الرواية بتواريخ حقيقية مرت بها القدس وتركت أثرا على هذه المدينة المقدسة وعلى أبنائها، منها على سبيل المثال 1857م بناء المسكوبية على يد الروس، والاحتلال البريطاني للقدس عام 1917، وحرب الأيام الستة، وحادثة إحراق المسجد الاقصى عام 1969، ثم العام 1982م حيث الاعتداء على الحرم القدسي، وكلها أزمنة مقدسية كشفت واقع المدينة وما مرت به من أحداث.

والفصول الأربعة وعلى رأسها الشتاء حيث الثلوج والأمطار، ثنائية ضدية بين ثلوج القدس التي تحمل البهاء والجمال على قبة الصخرة، إلى جانب ثلوج سوداء تسقط على سجن المسكوبية، لتمثل حالة العذاب والألم لهؤلاء المعتقلين " عندما يغطي ثلج القدس قبة الصخرة الذهبية. وقبتي كنيسة القيامة الزرقاوين تصبح القدس بالنسية لي أجمل مدن العالم، وأعرف الإجابة عن سؤال طالما حيرني: لماذا اختارها الله ليمنحها كل هذه القداسة؟ لكن الثلج في المسكوبية يتحول إلى جحيم. لون الثلج المسكوبية ، الذي لا أراه أسود، لا يمكنه أن يكون أبيض أبدا"[1].

أما الزمن في رواية "مقدسيه أنا " لعلاء مفيد مهنا، بدأت الرواية بالزمن عند منتصف الليل في مركز مدينة القدس، هنا زمن القدس منذ احتلال الجزء الشرقي لها عام 1967 م بعد سيطرة اليهود على القدس الغربية وذلك أثر تقسيم المدينة، عندما أطل الكاتب على زمن جديد

---

[1] العيسة، أسامة: **المسكوبية**، ص 71

للقدس بينما كان اليهود " يحتفلون بالذكرى الاربعين لاحتلال القدس الشرقية... انهم يسمون ذلك توحيد القدس، كأن القدس كانت كافرة قبلهم وها قد وحدوها"[1].

واستذكار الهزيمة واحتلال القدس، زمن شكل علامة فارقة في تاريخ المدينة تغيرات عديدة حدثت، حيث زمن بناء جدار الفصل العنصري الذي عزل المدينة عن باقي جسدها الفلسطيني، وزمن تسلسلت فيه أحداث الرواية بين ساعات ودقائق عاشها أبطال الرواية ليتحدثوا عن أزمنة مقدسية عاشوها أو استذكروها كما سمعوها.

بدأت رواية " قلادة فينوس " لأماني الجنيدي بافتتاحية زمانية عندما قالت ديما صديقة ريما: " ذات يوم، كنا صديقتين"[2]. الزمان هو يوم من الأيام وهو يوم غير محدد، والرواية تبدأ بالماضي لتدخلنا في عالم مجهول، فهو زمن غير محدد، هو زمن القدس وحكاية المدينة التي تقع في أي زمن، وفي كل مكان في القدس، ثم اختزلت الرواية الزمن، وقفزت بالزمن الروائي إلى ما " بعد خمسة وعشرين عاما من الفراق بيني وبينها، عادت إلي من جديد " [3] لتختزل بذلك سنوات من عمر مدينة القدس وللانتقال لتصوير واقعها الحالي، المدينة التي تركتها منذ الطفولة، لتعقد من خلال هذه المفارقة الزمنية واقع المدينة كما عاش في ذاكرتها وبين ما طرأ عليها من تغيرات، حين تكالب عليها الأعداء، وأعملوا في تغيير ملامحها.

واعتمدت الرواية على الأسطورة، والأسطورة هنا هي معادلٌ دلاليٌ للواقع الفلسطيني ونضاله المستمر والدؤوب والمتعالي على رغبات الأفراد الذاتية، هو تعبير عن مواجهة حالة العجز الذي وجدته ديما في عجزها عن موجهة الوضع القائم في القدس بعد أن فقدت صديقتها ريما خليل ومعها القدس، وما وصلت إليه المدينة من تغيير، وكشفت عن بعض المفاصل الزمنية الحقيقية لتاريخ القدس منها تدمير حارة المغاربة في القدس على رؤوس ساكنيها،

[1] مهنا، علاء مفيد: **مقدسية أنا**، ص 8

[2] الجنيدي، أماني: **قلادة فينوس**، ص 5

[3] المصدر نفسه ، ص 5

وحادثة حرق المسجد الاقصى المبارك التي وقعت العام 1969 م على يد المتطرف اليهودي مايكل روهان، واستشهاد أحد أبناء القدس (محمد الكرد) عند باب خان الزيت.

تكرر في الرواية ذكر شهر كانون شهر من شهور الشتاء البارد في القدس هو شهر الخصب والمطر ولكنه جاء في الرواية على خلاف ذلك، شتاء القدس الحزين الذي حمل الألم والمعاناة " ذات كانون رحلت من الطور"[1] كانون هو فصل الذكريات الأليمة التي عاشتها في القدس، ذكريات الرحيل عن بيت دافئ ومكان آمن عاشت فيه، وهي ترفضه لما يحمله من معاناة وألم " كانون عاد، وعلي أن أقتله " [2]

استرجاع الزمن السابق والاستذكار لأحداث وأشخاص حملوا ذكرياتهم عن القدس ليشكل هذا الزمن جزء من الذاكرة المقدسية " هي لا تنسى نحيب أم أمين حينما هدم بيتها فوق رأس أطفالها في حارة المغاربة، ورائحة الدخان الكثيف يوم حريق الأقصى. دماء محمد الكرد حينما سالت على الأرض بعد أن (طخوه) بباب خان الزيت"[3].

اعتمد الزمن الروائي في رواية " قصة حب مقدسية " ليوسف العيلة على الزمن الماضي، واسترجاع التاريخ، والأحداث السياسية التي مرت بها القدس وتأثرت بها، من خلال سرد أحداث وقصص من التاريخ العربي القديم لأن رغبة الراوي كانت في العودة للماضي للتركيز على فترات زمنية ترتبط بأحداث لها أهميتها وأثرها في تاريخ فلسطين وبيت المقدس، وليحمل الزمن دلالة الاسقاط السياسي على رفض الواقع القائم وأن ما حدث بالأمس في القدس من اعتداء عليها بالحرق للأماكن المقدسة هو معادلا لما يحدث للقدس من ضياع للمدينة بل أشد إيلاما، والزمن الحاضر هو تكرار للماضي وما حدث فيه فما يقوم به الراوي حسن المغربي وأحمد الصفافي من مغامرات عاطفية في الحاضر هو تكرار لما حدث في القدس من ضياع للمدينة.

---

[1] الجنيدي، أماني: **قلادة فينوس**، ص 6

[2] المصدر نفسه، ص 9

[3] المصدر نفسه، ص 77

والزمن يسير بشكل دائري لينتقل بنا من الحاضر للماضي ثم يعود للحاضر ليعكس واقعه المؤلم على المدينة المقدسة. وكانت حرب حزيران مفصلاً زمنياً آخر لسقوط المدينة ليجسد هذا التاريخ حالة ضياع للمدينة ونقداً موجهاً لمن تخلى عنها"، هل تعرف لماذا انهزمت مدينتنا المقدسة في حرب حزيران النكسة؟ لأنها لم تكن مثالا للجمال في نفوسنا، كانت مركزاً للتسوق والابتذال. لم نعتبرها درة أوطاننا وناموس كرامتنا، ولم نعتقد أنها تحفة روحية يجب الحفاظ عليها بالمهج" [1].

الاسترجاع والذكريات سيطرت على الزمن في رواية " مرافئ الوهم " لليلى الأطرش، زمن مقدسي فيه الحب والذكريات الجميلة عاشتها بطلة الرواية شادن الراوي قبل خمسة وعشرين عاما في القدس قبل رحيلها عنها وتنقلها في بلاد عربية وأوروبية، الاسترجاع فيه دلالة على حالة الحنين الدائم لمدينتها بكل ماضيها وأيام الطفولة والشباب التي قضتها في القدس.

زمن يعيش فيه الماضي في الحاضر تستذكره شادن الراوي بتفاصيله، فلقاء يوم الأحد الساعة الثالثة في القدس هو أيام الذكريات والحب بين شادن وكفاح أبو غليون، فالقدس هي ممثل للحب الحقيقي الذي يعيش بداخلهم رغم البعد عن الوطن وتحقيق النجاح لكليهما ولكن القدس تعيش في القلوب لا تنسى.

زمن القدس في رواية ليانة بدر " نجوم أريحا "،هو زمن الطفولة والذكريات التي عايشتها في القدس عندما كانت تذهب لطبيب الأسنان برفقة والدها من أريحا إلى القدس، فعلاقتها بالقدس تبدأ من" هناك قرب الباب الأخير في سور القدس طبيب أسنان أرمني، أذهب إليه مع أبي وأنا أوشك على الطيران.."[2]

فكسرت الكاتبة زمنها الروائي، واعتمدت على الاسترجاع لتذكر أيام في القدس عاشتها عند أقربائها لتلقي بظلالها على عادات وتقاليد المجتمع المقدسي وما يحدث فيه، وهي

---

[1] العيلة، يوسف: **قصة حب مقدسية** ، ص 25

[2] بدر، ليانة : **نجوم أريحا**، ص 13

تسترجع الزمن للحديث كذلك عن ذكرياتها في القدس أيام العطل الصيفية، أيام حملت في طياتها براءة الطفولة عايشتها تستذكر المكان من باب العامود وحي شعفاط، وأنواع الأطعمة من المطبق والتين الذي تحضره الفلاحات في الصباح الباكر حين تدب الحياة في القدس مع بزوغ الشمس، برز الزمان متوحدا مع المكان الذي أظهر طغيانه على المشهد لتعلق الراوية به.

أما يوم الجمعة فهو اليوم الذي استهلت به الرواية حيث بدأت بمقدمة زمنية تحدثت فيه عن نقطة الانطلاق في روايتها بعد أن رحلت إلى بيروت ثم مخيم اليرموك، فقد ارتبطت الراوية بالقدس من خلال يوم الجمعة " أعرف! اليوم يوم الجمعة، ولن أستطيع الذهاب إلى بيت عمتي في القدس القديمة"[1] فيوم الجمعة مرتبط بالصلاة في الأقصى، هذا اليوم بقداسته الخاصة، وزادت هيبته وقداسته لوجوده في القدس، يوم الجمعة، وأيام "الاستقبالات التي تقيمها عمتي مرة كل أسبوع"[2] أيام مقدسية قضتها في القدس وعاشت من خلالها ذكريات الطفولة التي قضتها هناك.

سيطر الزمن الماضي في رواية سحر خليفة " صورة وأيقونة وعهد قديم "، فانطلق من الزمن الماضي إلى الحاضر والمستقبل، الماضي هو الذكريات التي عاشها برفقة مريم في القدس، هو زمن القدس التي أقامها فيها قبل رحيله عنها، وقبل ضياعها، وهو زمن مفتوح على الماضي " ثم جاء اليوم، يوم التقينا " [3] " خلال أيام، عادت المياه إلى مجاريها " [4]، وحكاية يمكن أن تقع في أي زمن، سار زمن الحكاية بشكل متسلسل ؛ ليسرد الزمن حكاية ضياع القدس وتخلي الأبناء عنها.

أما حاضر القدس في الرواية، فهو الحاضر الذي رحل فيه أبناء القدس عنها وتركوها للعمل، والكسب المادي في مختلف أنحاء العالم، ولم يعد يعلق سوى الذكريات الأليمة التي

[1] بدر، ليانة: **نجوم أريحا**، ص 21

[2] المصدر نفسه، ص 22

[3] خليفة، سحر: **صورة وأيقونة وعهد قديم**، ص 18

[4] المصدر نفسه، ص 83

تركوها خلفهم قبل الرحيل، وتقيم الكاتبة الزمن على ثنائية الماضي والحاضر " القدس الآن قذرة جداً، مهملة مهجورة كوجه عجوز،، بعكس ما كانت في الماضي أيام الصبا وشباب القلب"[1] والمستقبل ضبابي الرؤية غير واضح المعالم، هو مستقبل المدينة التي تعيش على ذكريات الماضي، وحاضر مؤلم، فهو " زمن الرواية المسكون بالفساد، وحدوده اتفاق أوسلو ومطلع القرن العشرين والغطرسة الصهيونية والهوان العربي.. يخلق الزمن المريض منارات كاذبة وأنبياء كاذبين، مبتعدا عن زمن المعجزات الحقيقية " [2]

والزمن في روايتها "الميراث" بدأ من الماضي البعيد حيث الوالد حمدان الذي رحل إلى أمريكا للعمل فيها، وعاد مريضاً تزوج من فتنة المقدسية، ويوم الجمعة في القدس له طابع خاص، حيث يعكس قداسة خاصة حيث يكون " بعد العصر وقت الديوان، وجدنا الغرفة محشوة بالأقارب وبعض الزوار"[3].

والزمن الذي أمضته زينة في القدس هو زمن محدود عايشت في تلك الفترة أماكن وأحداث برفقة فتنة، عكس هذا الزمن واقع القدس، زمن ضبابي الرؤية والامح، وه دلالة الواقع الذي تعيشه القدس، وليل القدس الذي حمل الأسرار والصراعات، سار الزمن بشكل رتيب وأيام متلاحقة، حتى يوم الحفلة التي أقامها مازن، فالزمن أخذ يسير بشكل بطئ، حتى أشار الزمن إلى بعد الوصول إلى القدس المحاطة بالحواجز.

7.2.2 مقارنة تحليلية بين حضور القدس المكاني والزماني في الرواية الفلسطينية

اختلف حضور القدس المكاني والزماني في رواية الكتاب المقدسيين ممن عاشوا داخل القدس، أو كتاب مقدسيين عاشوا في المنفى بعيدا عنها، وبين غير المقدسيين ممن هم خارج القدس أقاموا في مدن فلسطينية أخرى، وتنوع تناول القدس في روايات هؤلاء الكتاب تبعا لبعدهم أو قربهم من المدينة، فمن عاش داخلها تحدث عن تفاصيل المكان والزمان فيها،

---

[1] خليفة، سحر: **صورة وأيقونة وعهد قديم**، ص 100

[2] المصدر نفسه، ص 7

[3] خليفة، سحر: **الميراث**، ص 79

أما غيرهم من أبناء المدن الفلسطينية الأخرى فقد كانت معرفتهم بالمكان وحديثهم عن الزمان والمكان أقل عمقا.

1.7.2.2 القدس في روايات الكتاب المقدسيين

اختلفت صورة القدس في روايات الكتاب المقدسيين، فهؤلاء الكتاب هم أبناء المدينـــة عايشوا زمانها ومكانها بكل تفاصيله ودقائقه، وسردوا حكاية مدينتهم بكل مكوناتها المكانية من شوارع وأزقة وتكايا وزوايا وعقبات وأسواق وبيوت وساحات ومحلات ومدارس وأضرحة، وأماكن مقدسة من المساجد والكنائس، وعديد الطوائف بثقافتها وأبنيتها ومراكزهـــا الثقافيـــة والدينية، وذلك عبر مراحل زمنية ومفاصل تاريخية في حياة المدينة المقدسة.

في روايات ديمة جمعة السمان وهي ابنة مدينة القدس، قامت ببناء معمارها الروائـــي على حكايات قديمة حول القدس كما سمعتها من أمها، وجدتها وكما رواها المقربـــون منهـــا وجميعهم من القدس عاشوا فيها وعاصروا فترات زمنية من تاريخ المدينة، وجاء الحديث عن أماكن مقدسية بوصف محدد ودقيق للمكان وهي حال من يعيش فيه العارف بتفاصيله ليس فقط المكانية وإنما الزمانية أيضا.

برز ذلك في رواياتها برج اللقلق في الجزء الأول والثاني عندما تحدثت عن المكـــان ووصفته بشكل دقيق على لسان الشخصيات التي عايشتها، ومثلت الأماكن داخل أسوار البلدة القديمة والتي تحدثت عنها خلال فترات زمنية مختلفة طويلة نسبيا من أواخر الحكم العثمـــاني وحتى الانتفاضة الفلسطينية الثانية ، وكانت الكاتبة شاهدا على جزء من تلـــك الفتـــرة التـــي تحدثت عنها.

أما رواية " الضلع المفقود " فقد عادت الكاتبة لتعيد عبق التاريخ عبر حي الوادي أحد أحياء المدينة المقدسة، حيث عكس الزمان تفاصيل المكان وأحداث وقعت فيه خـــلال فتـــرة الحكم العثماني، ووصُف المكان بتفاصيل كثيرة عندما أظهر واقع الحياة الاجتماعية والسياسية والصراعات القائمة داخل المجتمع المقدسي.

ثنائيتها " وجه من زمن آخر" و" بنت الأصول " ظهرت القدس من خلال شخصية ماري أو مريم والتي تحدثت عن المكان الأكثر جمالاً وأصالة كما وصفته مريم والكاتبة من خلفها، وربطت الكاتبة بين سقوط القدس وضياعها وسقوط الأندلس وخسارة العرب لهما، والمكان داخل القدس محمل بعبق التاريخ العربي الأصيل وقُدم المكان بوصف يحمل دلالة شخص عارف لها مطلع على تفاصيله ليس المكانية فقط وإنما الحديث عن مفاصل زمنية حملت دلالات خاصة حول واقع المدينة.

عزام أبو السعود وهو كاتب مقدسي، سلط الضوء في روايتيه " صبري " و"حمام العين" على فترة زمنية لم يكن هو معايشاً لها من عام 1914 م وحتى العام 1937 م، منها فترة الحكم العثماني وظروف الفقر والمجاعة التي مرت بها القدس وسائر المدن الفلسطينية وصولا إلى المواجهات مع الإنجليز حتى ثورة 1936 م، كما رصد مفاصل زمنية هامة من تاريخ القدس، كانت دقة الوصف في تقديم الأماكن التي دارت حولها أحداث الروايتين ما يدل على معرفته واطلاعه على المكان وتفاصيله، وإن كان حضور القدس المكاني أكثر كثافة في الرواية الأولى، بينما شهدنا في الرواية الثانية حضوراً لأماكن أخرى منها سهل مرج ابن عامر ويافا وأحراش يعبد، وصف القدس في روايتيه وسبر أغوار المجتمع المقدسي وحياته بدقة لا يمكن أن تتأتى إلا من شخص مطلع على تفاصيل المجتمع المقدسي وحيثياته، وهذا ما أخبر به الكاتب في كونه استقى مصدر معلوماته من والديه من خلال معايشتهم للمكان والزمان والأحداث داخل القدس، فوصف البيوت المقدسية والأزقة والمدارس التي تحرك فيها شخوص الرواية داخل القدس، والأماكن المقدسة منها التكايا والزوايا والمسجد الأقصى وباحاته وحتى الحمامات حيث برز دال المكان بداية من عنوان الرواية حمام العين.

أما عيسى بُلاطة وهو من القدس عاش فيها وغادرها في العام 1967 م، وهو مقيم في كندا حيث يعمل استاذاً جامعيا في تدريس الأدب العربي، ظهرت القدس في روايته " عائد إلى القدس "، وقد اعتمد وصفه للمكان داخل القدس في الرواية على ذكريات الطفولة والصبا التي عاشها قبل مغادرته لها ، وهي ذكريات بعيدة لا تحمل الكثير بين طياتها حول وصف المكان

ما خلا ذكريات الطفولة التي عاشها ومشاعر الحب والأمل والألم والحنين الدائم، لأن " القدس فيها تحضر من خلال الذاكرة وما يحضر من خلال الذاكرة يكون ظلالا، ويكون أشباحا فقط، وستحضر بعض حارات المدينة وحياة بعض أبطال الرواية فيها، لكن القدس لن تكون محور الرواية الرئيس، علما بأن دال القدس حاضر في العنوان"[1] فكان وصف المكان فيهـا خيـالاً اعتمد على الذاكرة التي لم تمكنه من متابعة تغيرات المكان خلال فترات زمنية لاحقه ورغـم أنه ابن القدس ولكن ابتعاده عنها لم يمكنه من تقديم صورة للقدس إلا بصورة ضبابية خاليـة من تفاصيل المكان والتغيرات التي حدثت فيه.

رواية " عاشق على أسوار القدس " لعادل سالم وهو أديب مقدسي ولد وعـاش فـي القدس تنقل بين القدس وأمريكا ليستقر في أمريكا بعد ذلك. كان حضور القـدس فـي هـذه الرواية بارزا، فالحديث عن أمريكا والحياة فيها لم يأخذ صفحات كثيرة من الروايـة، وجـاء حديثة عن الأماكن في القدس ضمن واقع عايشه الكاتب أثناء وجوده في القدس لفترات طويلة نسبيا مما جعل معرفته بالمكان وتطورات الأوضاع السياسية والاجتماعية في القدس أكثر مما تحدث عنه عيسى بُلاطة في روايته " عائد إلى القدس " الذي اعتمد على الذاكرة البعيدة فـي حديثه عن الأماكن في القدس.

في رواية " كافر سبت " لعارف الحسيني وهو كاتب مقدسي جاء فيها التركيز علـى تفاصيل الحياة الاجتماعية في القدس، والتغيرات التي حدثت للمكان فيها خلال فترات زمنيـة طويلة نسبياً تناولتها الرواية، وقدم المكان، والأحداث التي وقعت فيه بدقـة فـي الوصـف، وتفاصيل في الحديث عن ثنائية الأنا والآخر، والصراع الدائر، في سبيل امتلاك المكان.

أما القدس في رواية " خلود " فقد " جسد من خلالهـا علاقـات إنسـانية، وهمومـاً شخصية، وواقعاً تعيشه مدينة القدس حيث تتصارع حولها الأحلام والأماني، ونزعات الخيـر والشر، وبقاء الحياة والوجود بين الأنا والآخر."[2]، تحدث الكاتب عن القدس التي عاش فيهـا

---

[1] الاسطة، عادل: **رواية القدس ثانية**. صحيفة الأيام. القدس. 1556 / 10 آب 2010 م.

[2] الجندي، سمير: **خلود**، ص 6

زماناً ومكاناً، أبرز من خلالها أزمنة مقدسية كان هو شاهداً عليها خلال حرب عام 67، وذكر تفاصيل حياة اللجوء داخل القدس، كما تحدث عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وحتى التعليمية التي مرت بها المدينة خلال تلك الفترة، وأبرز تفاصيل الأماكن التي عايشها بين حاراتها وأزقتها وأسواقها ومدراسها عبر مدة زمنية من تاريخ المدينة.

2.7.2.2 القدس في روايات الكتاب غير المقدسيين

تجلت القدس في روايات سحر خليفة على تفاوت في الظهور ففي روايتها "صورة وأيقونة وعهد قديم"، عمدت على إبراز صورة القدس مجسدتا ذلك بشخصية مريم رمز القدس، ومن خلال زيارة مريم للقدس برفقة ابراهيم قدمت الكاتبة وصفا عاما للمكان خاليا من ذكر تفاصيله داخل البلدة القديمة، فمريم ومن ورائها الكاتبة لم تعايش المكان بتفاصيله، لأنها قدمت من قرية قريبة من القدس، فكان ظهور المكان بصورة خلت من العمق ودقة التفاصيل.

أما روايتها "الميراث " أبرزت المكان والزمان في حديثها عن القدس بصورة ضبابية غير مقترنة بتفاصيل، فعندما قامت زينب حمدان أو زينة القادمة من أمريكا من أجل الميراث المفقود بزيارة القدس برفقة " فتنه" زوجة أبيها تحدثت عن وادي الجوز والمصرارة وسكانه، ووصفت القدس من شرفة منزل فتنه في المصرارة" من شرفتها الشرقية نطل على الأودية والزيتون... ومن شرفتها الغربية والمطبخ نرى الأقصى بقبته اللامعة ومآذنه وسور القدس ومبانيها، ومن سطح منزلها العالي رأيت الكنائس والجرسيات ومقابر متعددة الأديان وأشجار غامقة الألوان... وهناك في البعد حيث الشفق وغيوم الغرب رأيت مباني مرتفعة وأخرى خفيضة وسواراً عجيباً من الأبنية كالمستشفى أو سجن عظيم قالت لي عنه استيطان"[1] هكذا هي القدس في الرواية وصف من بعيد للمكان دون معايشة حقيقية للمكان، فالكاتبة تصف القدس كما لو أنها صورة فتغرافية تشاهدها ولم تعايشها على حقيقتها ولم تَخبر بتفاصيلها.

أما حضور القدس الزماني والمكاني في رواية "المسكوبية " برز من خلال عنوان الرواية، فالكاتب تحدث عن القدس عبر سجن المسكوبية وما كان يدور داخله على لسان

[1] خليفة، سحر: **الميراث**، بيروت: دار الآداب، 1997 م، ص 78

الشخصيات التي قابلها داخل السجن وما أخبرت به، ويرسم صورة القدس الحزينة من خلال شهادات لسجناء جنائيين وأمنيين، ويرصد جانبا من واقع القدس الاجتماعي والديني.

كما أن الزمن الذي تحدث عنه هو زمن محدد عدة أيام قضاها في الاعتقال داخل سجن المسكوبية من 29 آذار 1982 م حتى تاريخ خروجه 14 نيسان 1982م، فمعرفته بالقدس وبعض التفاصيل الاجتماعية والسياسية مما أخبره به السجناء حول المدينة كانت أكبر من حديثة حول تفاصيل المكان سوى ما أخبر به عن تاريخ سجن المسكوبية وهي معرفة استقاها من قراءاته أو ما سمعه من أخبار حول هذا السجن، والعيسة من مخيم الدهيشة في بيت لحم، ولذلك ظهرت صورة القدس محدودة خالية من التفاصيل سوى من عواطف سيطرت على الكاتب تجاه القدس، ومن خلال معاناة أبناء الحركة الأسيرة داخل سجن المسكوبية.

أطل الزمان والمكان في رواية " مقدسية أنا " لعلاء مفيد مهنا الذي تحدث فيها كاتبها عن القدس وهو من قرية البعينة في الجليل وليس ابن المدينة، فقد ناقش قضايا متداولة حول المدينة ولم يخصصها بوصف أو ذكر مفصل للزمان والمكان، حين تحدث عن جدار الفصل العنصري الذي أقامه الصهاينة ، وتأثيره على ساكني القدس من جانب وسكان باقي المناطق الفلسطينية من جانب آخر، كما أبرز ما تعرض له المكان من تغيير في بنائها المعماري ومحاولة التزيف التي قام بها اليهود لتغير معالم المكان، أما الزمن الذي قضاه الكاتب للدراسة في الجامعة العبرية في القدس، ثم عمله في معهد الشرق في حي الشيخ جراح، بالرغم من دراسته ، وعمله في القدس فلم يمكنه ذلك من معرفة المدينة، وإن تحدث عن فترة زمنة كان معاصرا لها ولكن أحاطته للزمن والمكان المقدسي غير شاملة المعرفة بالمدينة.

اعتمدت أماني الجنيدي وهي كاتبة من الخليل، اعتمدت في روايتها "قلادة فينوس" على الأسطورة للحديث عن واقع المدينة المقدسة، وتحدثت عن المكان من خلال رحلة بحث ريما عن صديقتها ديمة عبر مكتب الهندسة والبيت الذي عاشت فيه والحواجز التي تحيط بالقدس والأماكن التي ترددت عليها، وهي أماكن غير واضحة المعالم، وورد ذكر تفاصيل

المكان بصورة خيالات غير واضحة، كما تحدثت عن فترة زمنية حديثة عايشتها الكاتبة بعد أوسلو ولكنها لم تقدم تفاصيل زمنية تتعلق بالقدس.

يوسف العيلة في روايته " قصة حب مقدسية " بنى معماره الروائي في حديثه عن القدس على السرد التاريخي للأحداث المؤلمة التي وقعت في القدس منذ حادثة حرق منبر صلاح الدين على يد المتطرف اليهودي مايكل روهان عام 1967 م، وتحدث عن مدينة ضائعة منذ هذا الحادث حتى اتفاق أوسلو وما مرت به من تدهور لأحوالها ومن هزيمة إلى أخرى، تحدث العيلة عن فترة زمنية كان شاهدا عليها من تاريخ القدس، ولكن الوصف الزماني والمكاني للقدس لم يكن وصفا دقيقا ومفصلا، حيث استخدم القصص التاريخية للوصول إلى سيرة المدينة، ولم يَخبر المدينة بتفاصيلها.

3.2 الدوال الشخصية في المشهد الروائي

1.3.2 مفهوم الشخصية الروائية

الشخصية عنصر فعال وهام في العمل الروائي، وهي محركة الأحداث، وموجهة لعناصر الرواية، كما تساهم في إضفاء إبداع خاص على الرواية إذا ما تمكن الروائي من عرض شخصياته بشكل فعال ومؤثر، وقبل الخوض في الشخصية وصورها ودلالاتها المختلفة في الروايات التي برزت فيها القدس لا بد من تحديد مفهومها اللغوي والاصطلاحي.

مفهوم الشخصية لغة

ورد مفهوم الشخصية في المعاجم القديمة من شَخَص، يَشخُصُ، شُخوصاً " والشخص هو سواد الناس إذا سما لك من بُعد، ومنه شخصَ من بلدٍ إلى بلد، وشَخُصَ مما يدل على ارتفاع في الشيء"[1]، "وشُخص الرجل بالضم، فهو شَخْوصٌ أي جسيمٌ، وشَخُصَ أي ارتفع، والكثير من شخوص"[2]

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، مج 1، بيروت: دار الجيل، ص 237

[2] الجوهري، اسماعيل بن حماد: **تاج اللغة وصحاح العربية**، ط 4، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، بيروت: دار العلم للملايين، 1990 م، مج 5، ص 451

وبذلك برز المفهوم اللغوي لكلمة الشخصية ليشير إلى كل فرد أو إنسان يحمل صفات بارزة وخصائص محددة، وهو كائن حي يشكل كياناً بارزاً يتفاعل مع غيره من العناصر والشخوص والأحداث المحيطة به.

مفهوم الشخصية اصطلاحا

أما الشخصية بمفهومها الاصطلاحي فهي " نتاج البيئة، مكانا وزمانا، وثقافة، كما أنها مجموع تفاعل عوامل الواقع المعيش، مع التركيبة الداخلية للإنسان الفرد ومكونات واقعه النفسي"[1]. كما تعرف الشخصية أيضا بأنها " كائن موهوب بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية" [2].

وعند تحديد الشخصية وتناول الحديث عنها وتقديم وصف لها داخل العمل الروائي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار مظهرها العام وطبيعة قدراتها ودوافعها، وردود أفعالها العاطفية، وكذلك طبيعة الخبرات التي سبق أن مرت بها، ومجموعة القيم والاتجاهات التي توجه سلوكها، لأن مفهوم الشخصية اصطلاح عام وشامل لجوانب مختلفة يعكسها النص الروائي[3].

فالشخصية بذلك تتشكل من عدد من المكونات الجسدية والعاطفية والنفسية، وتحمل ميولاً فكريةً وآراءً وقيماً مختلفة، واتجاهات سلوكية، وهناك ما يصدر عنها من أفعال وردات فعل، وتفاعلها مع المجتمع والبيئة، وهي تحمل مجموع الخبرات التي عايشتها ومرت بها، وأصبحت بالنسبة لها مرجعيات ثقافية واجتماعية أثرت في سلوكها وعلاقاتها الخارجية من حيث تأثيرها وتأثرها بمن يحيط بها من جهة، وما تعايشه من صراعات داخلية (تيار الوعي) وما تمر به من أزمات من جهة أخرى.

---

[1] عباس، د. نصر محمد: ***الشخصية بين الواقع والدلالة في الرواية الفلسطينية – رواية "ما تبقى لكم " لغسان كنفاني نموذجا*** –،ملحق، **مجلة كلية الآداب**، جامعة بنها، 2004، ص 39

[2] بريس، جيرالد: **المصطلح السردي – معجم المصطلحات** – ت . عابد خزندار، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003م، ص 42 .

[3] ينظر، عدس، عبد الرحمن وآخرون، **مدخل إلى علم النفس**، ط2، نيويورك: جون وايلي وأولاده،1986. ص271.

2.3.2 الشخصية في الخطاب الروائي

يعود الاهتمام بالشخصية في العمل الروائي إلى الدور الذي تلعبه في سرد الأحداث، وتحريك عناصر البناء الفني في الرواية، وفي قدرتها على التأثير في المتلقي، من حيث قربها من الواقع المعاش، وتفاعلها مع قضايا المجتمع.

ويلتزم المؤلف عند تجسيده للشخصيات أن تلامس هذه الشخصـيات حيـاة النـاس، وتعالج قضاياهم الاجتماعية والانسانية لتصل للآخرين وتتفاعل معهم، فيتوصل الأديب لتحقيق هدفه المنشود، وتصوراته التي يقدمها من خلال إبراز شخصيات يعرضها الكاتـب لإيصـال فكرته وموضوعه، وتعطي للعمل الروائي خصائصه وتميزه.

وعليه فإن " الشخصية الروائية تستمد أفكارها واتجاهاتها وتقاليدها وصفاتها الجسمية من الواقع الذي تعيش فيه، وتكون عادة ذات طابع مميز عن الأنماط البشرية التقليديـة التـي نراها في حياتنا اليومية، وهي ذات ثراء دلالي، وغنية في جوانبهـا النفسـية والاجتماعيـة والجسمية، وتمثل نماذج متفردة يضمها الواقع الانساني، وهي أيضاً تحفل بالعمل والحركة"[1].

وتلعب الشخصية دورا محوريا وبارزاً داخل المنظومة الروائية، فلا يمكن أن يكتمل هذا العمل إلا من خلال وجود أنماط متنوعة من الشخصيات والأدوار التي تقوم بها داخل هذه المنظومة الأدبية، وهي تحمل في مضمونها شخصيات متناقضة، منها ما يحمل جانب الخيـر وما يلحق هذه الشخصية من أتباع يبرزون من خلال شخصيات أخرى، ومنها مـن يحمـل جانب الشر ولها أعوانها من شخصيات أخرى كذلك.

وهذه الشخصية لا يكون لها معنى في هذه المنظومة إلا إذا كانت لها وظيفة تمارسها في علاقتها مع الشخصيات الأخرى من جانب، وتفاعله مع باقي عناصر العمل الروائي مـن جانب آخر، وتحكمها في سير الأحداث وتشعباتها المختلفة.

[1] عثمان، عبد الفتاح: **بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية**، القاهرة: مكتبة الشباب، 1982 م، ص 108

وقد أصبح للشخصية في الرواية أهمية واضحة حتى أن " الحكم على أي عمل روائي إنما يكون في قدرة الكاتب الروائي على خلق نماذج لشخصيات روائية تترك أثرها وتأثيرهـا في القارئ"[1] ؛ لأن هذه الشخصيات هي التي تحمل الرؤى والأفكار التي يريد الكاتب الخوض فيها، كما أنها محركة لكافة عناصر العمل الأدبي.

وتختلف الشخصية من حيث تفاعلها مع الحدث، وتختلف أشكال هـذه الشخصـيات وصورها ، فعلى المستوى البنائي هناك الشخصيات الرئيسة والشخصية الثانوية، أمـا علـى المستوى النمائي فهناك الشخصية النامية المتطورة والمتغيرة والمعقدة أحيانـا، والشخصـية الثابتة وتكون بسيطة وواضحة، وكلها تساهم مع الشخصيات الأخرى في دعم العمل الروائي.

والأديب عندما يخلق شخصياته يلفها بصفات إنسانية بحيث تتفاعـل مـع المتلقـي، وتعكس جوانب من حياته، وهي تتمتع بميزات منها كونها فريدة في بعض صفاتها، وإن كانت من جانب أخر شخصية عادية موجودة في حياة الناس الواقعية، منهـا شخصـية الأسـير أو الشهيد أو الأم والجد والأبناء والأحفاد وغيرها من الشخصيات.

ظهرت نماذج متعددة للشخصيات في الرواية حيث كان " ظهـور النمـوذج مـرتبط بتشابه الظروف التي تحيط بالشخصيات وتختلف هذه الظروف منها السياسـية والاجتماعيـة والدينية وإن كان ذلك لم يمنع من أن يكون لكل شخصية خصوصيتها التـي تميزهـا عـن الشخصيات الأخرى ضمن إطار النموذج الواحد"[2].

والنموذج الروائي الذي يضعه الأديب للشخصية يأتي على بعدين " أولهما هو البعـد النفسي للشخصية، وهذا جانب لا يمكن انعكاسه على مرآة البحث إلا بعين قاص أو روائـي محنك وخبير ودارس لمكنونات النفس البشرية، وقادر على النفاذ وسبر الأغوار بكثيـر مـن الدقة والموضوعية، وإن كان هذا يدفعه في كثير من الأحيان إلى التخيل ومحاولـة إضـافة جوانب أخرى تساعد على رسم أبعاد الشخصية بشكل عام دون المساس بالجوهر والتكـوين

[1] عباس، نصر محمد: **الشخصية بين الواقع والدلالة في الرواية الفلسطينية**، ص 41

[2] حطيني، يوسف: **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، ص 25

الأصلي له، أما البعد الثاني الظاهر والسلوك والصورة الخارجية لتلك الشخصية، مما يسهل معه دفع الكاتب بشكل مشجع وموفق لسبر أغوار نفس الشخصية"[1].

شكل معالجة البعد النفسي للشخصية أحد أهم اهتمامات الأدباء والنقاد، وذلك لرصد مشكلات اجتماعية وحياتية من خلال واقع هذه الشخصيات، واستخدام تقنيات فنية جديدة منها طريقة (تيار الوعي) للتعرف على عوالم النفس البشرية، لربط حياة الشخوص في الماضي بعوالم الحاضر والمستقبل، مما يساهم في الكشف عن خفايا هذه النفس ومعرفة طموحها وتطلعاتها[2].

كما يشكل البعد الثقافي أحد أبعاد الشخصية بما في مضمونها من خصائص وعادات ومفاهيم وأفكار وأنماط في السلوك والتي يتميز بها الفرد داخل مجتمعه، ثم هناك البعد الاجتماعي للشخصية ويضم مجموعة الخبرات المكتسبة التي يحملها الفرد داخل أسرته ومجتمعه. [3]

وتحمل الشخصية عند طرحها داخل العمل الروائي " وجهين: أحدهما دال والآخر مدلول، وتكون الشخصية بمثابة دال، وذلك عندما تتحد عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها. أما الشخصية كمدلول فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص أم بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها، وهكذا فان صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته ولم يعد هناك شيء يقال"[4].

3.3.2 الشخصية في الرواية الفلسطينية

برزت الشخصية في الرواية الفلسطينية، تحمل خصوصية عن غيرها من الأعمال الروائية؛ بسبب الظروف السياسية وانعكاسها على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية

---

[1] ابراهيم، نصر محمد: **الفن القصصي في فلسطين دراسة نقدية تحليلية** ، بيروت : دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، 1981 م، ص 384

[2] ينظر، عباس، نصر محمد: **الشخصية بين الواقع والدلالة في الرواية الفلسطينية**، ص 45

[3] ينظر، داود، عزيز حنا: **الشخصية بين السواء والمرض**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1959، ص 29

[4] علي، حنان: الشخصية الروائية، الحوار المتمدن، www.alhewar.com

التي تمر بها فلسطين خلال فترات زمنية مختلفة من تاريخ القضية الفلسطينية، وقلبها قضية القدس.

وقد لعبت الشخصيات في الرواية الفلسطينية على اختلافها وتناقضها دورا بارزا في تصوير جوانب الحياة الفلسطينية والنضال والصراع مع العدو، فقد " جاءت لتعطي لوحة دقيقة وصادقة وشاملة عن القضية الفلسطينية ذاتها، وطبيعة واقعها الآني، بل رسمت بعض تلك الشخوص ملامح المرحلة المستقبلية لتلك القضية، وأصبحت بهذا نماذج لشخصيات تحمل دلالات تتسع دائرتها لتشمل شرائح من الشعب برمته"[1].

وبما أن الأدب في كثير من حالاته هو تعبير عن الواقع، برزت الشخصية في الرواية الفلسطينية لتجسد الواقع المؤلم للقضية الفلسطينية وما يمر به الفلسطيني من حالة عجز نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تمر بها فلسطين بسبب ممارسات الاحتلال، فقد " خلقت هذه الحالة شخصيات أسطورية تصلح للصمود في وجه هذه الممارسات غير الانسانية، شخصيات قادرة على حمل أفكار الكاتب ومراياه النفسية"[2] وتبرز الشخصية الأسطورية من خلال " الموروث الثقافي الشعبي والديني"[3].

كما حملت الشخصية الروائية الفلسطينية سمات خاصة ميزت هذه الشخصيات في النص الإبداعي الفلسطيني عن باقي الشخصيات الروائية في النصوص الإبداعية العربية، فقد قدمت أبطالا واقعيين في حياتهم كما في علاقاتهم كما هي في واقع الحياة وانسجامها وتقاطعها، فالرواية الفلسطينية لا تقدم أبطالها في صورة كائنات مثالية وإنما تضعهم في نطاق لا تتجاوز فيه ما لهم من واقعية، واعتمادها على الذاكرة المتماسكة واعتبارها مفتاح الهوية، وانغماسها في معترك صراع حملت فيه أحلامها وأمانيها صراع لم تكن مهيأة له[4].

---

[1] عباس، نصر: **الشخصية بين الواقع والدلالة في الرواية الفلسطينية**، ص 50

[2] البوجي، محمد بكر: **توظيف الشخصية الأسطورية ودلالتها في الرواية الفلسطينية**، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، مج 16، ع 32، ص 249

[3] المرجع نفسه، ص 251

[4] ينظر، النجار، سليم: **قراءات في الرواية الفلسطينية الحديثة**، عمان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، 1998 م، ص 15 – ص 16

واختلفت طرق بناء الشخصية في الرواية الفلسطينية فقدمت الشخصية، أما بشكل مباشر من خلال استخدام التسمية، إذ قد يحمل اسم الشخصية في الرواية دلالة أولية، قد تشكل أهمية في التعرف على دلالات الرواية، فمن الروائيين من أعطى اسم الشخصية بعدا دلاليا لغويا أو تاريخيا، ومنهم من استخدمها بشكل اعتباطي، أو من خلال تقديم وصف جسدي للشخصية من خلال السرد المباشر أو الحوار، وما يحمله هذا الوصف للشخصية من دلالات مختلفة، أما الوصف النفسي فقد ساهم في بناء الشخصية في الرواية الفلسطينية وظهر في بعض الروايات وإن لم يكن بشكل عميق[1].

وقد عمد الكاتب الفلسطيني على تحميل الشخصية التي تحرك الأحداث دورا في إبراز واقع القضية ومعاناة الشعب الفلسطيني، حين "أخذت الأحداث الروائية والأشياء حجمها الطبيعي من حوله، فاستطاع القاص والروائي الفلسطيني من خلال شخوصه أن يعمق الرؤية الخاصة حول القضية والشعب، وأن يبين أعظم مآسي التاريخ بصورة شاملة"[2].

كما ظهر في الرواية الفلسطينية أشكال مختلفة من الشخصيات متشابهة في الظروف التي تحيط بها، صبت ضمن نماذج خاصة بها، فمنها نماذج سياسية كالمناضل الذي تتكرر صورته في الرواية الفلسطينية بسبب الواقع السياسي الذي تعيشه فلسطين ويتأثر به الأدب الفلسطيني بالطبع، وكذلك نموذج المثقف الثوري والمناضل، والنموذج الفلسطيني العاجز والمتواطئ الذي نأى بنفسه عن المجتمع والدور النضالي واتخذ من الأحداث موقفا سلبيا، أما نموذج العدو فقد ظهر بصورتين صورة العدو الانجليزي ، وما قام به من اضطهاد للشعب الفلسطيني بإعطاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وصورة العدو الصهيوني التي ظهرت في الرواية لتمثل الآخر بكل ساديته وتوحشه والمجازر التي قام بها باعتباره طرفا في هذا الصراع[3].

---

[1] ينظر، حطيني، يوسف: **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، ص 14 – ص 23

[2] ابراهيم، نصر محمد: **الفن القصصي في فلسطين دراسة نقدية تحليلية**، ص 38

[3] ينظر، حطيني، يوسف، **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، ص 25 – ص 35

4.3.2 الدوال الشخصية في روايات الكتاب المقدسيين

حملت الشخصيات في الروايات المقدسية، خصوصية عكست من خلالها واقع المدينة وحملت دلالات ومضامين وهموم الحياة التي تعيشها المدينة المقدسة بكل أبعادها السياسية، والتي انعكست على الواقع الاجتماعي والثقافي وأثر في جوانب الحياة الاقتصادية، وبرزت الشخصيات في روايات الكّتاب المقدسيين محملة بدلالات وأبعاد مختلفة ، ففي رواية " خلود " لسمير الجندي بدأت الرواية من عنوانها تحمل دلالة اسم إحدى شخصيات الرواية لأن " العنوان في النهاية يؤسس بانتاجيته الدلالية سياقا دلاليا يهيئ المتلقي لاستقبال العمل" ، فالشخصية عنوان الرواية هنا أبرز من خلالها الكاتب القدس التي أحبها وتعلق بها، فوصف جمالها ورقتها وأبرز انتماءه الدائم لها مهما ابتعد عنها عاد لها رغم الصعاب وقسوة الحياة فيها.

فتحدث عنوان الرواية عن شخصية خلود التي أحبها حكيم بطل الرواية عندما التقاها في فندق " الوردة الحمراء " وهي أول وآخر امرأة أحبها وتعلق بها، حملت هذه المرأة صورة القدس بكل جمالها وعذوبتها وتفاصيلها التي تعلق بها ورفض أي حب آخر غيرها " خلود الفلسطيني في عشقه لوطنه وتمسكه بحبات ترابة وتعلقه بقدسه الحبيب، فهي لا تريد احتلالا ولا زوجا بلا حب ومشاعر"[1].

أما الأم وهي " أم حكيم " هي رمز للمرأة الفلسطينية بكل ما تتمز به من حب وتضحية وعطاء، تعطي بلا مقابل وتضحي في سبيل الآخرين، هي كذلك رمز للأرض الفلسطينية الخيرة التي تقدم لأبنائها من الخيرات وهم العاجزون في الدفاع عنها " لم أبح بمشاعري لأحد غير أمي، هي تفهمني وتقدر ما أقول لم تلمني أبدا ولم تضجر من سماعي، كانت بئر أسراري... لم أنس قرارها المصيري بعدم ترك المدينة مع من تركوها في حزيران عام سبعة وستين وتسع مئة وألف للميلاد، حين أراد والدي النزوح إلى عمان قالت له: لن

[1] جابر، عبد المجيد: **جماليات المكان في رواية خلود**، ص 9

نترك هذه المدينة أنا وأبنائي، هنا ولدنا وهنا نموت..." [1]، هي الفلسطينية تمسكت بالأرض مع أبنائها ورفضت مغادرتها أو التخلي عنها لأي مكان آخر.

حكيم هو الراوي الذي عبر عن كل مكنونات النفس ووصف المشاعر والأحاسيس من خلال شخصية حكيم، عكس مشاعر فلسطيني مقدسي وحمل آراءه المختلفة حول الوطن والقدس وتمسكه بها وصور يوميات مقدسية عاشها داخل أسوار القدس وعلاقته بالآخرين بكل تناقضاتهم.

أبو زهير هو رمز للجيل من الفلسطينيين الشاهد على مرارة الهزيمة في القدس وقريته بيت صفافا الذي هُجر منها بعد النكبة وعاد إليها بعد النكسة ليعيش حياته بين حربين وألمين وهجرتين وهو حلقة في سلسلة الهزيمة التي مني بها الفلسطيني والمقدسي أبو زهير الذي " استطاع الاتصال بعائلته في بيت صفافا، فابتسم له الحظ لأول مرة... تعرف على أبناء أسرته الذين احتضنوه وقدموا له جزءاً من أرض والده التي غادرها في سنوات النكبة الأولى عام ثمانية وأربعين، كان أبو زهير أيامها في عز الشباب ولكن والده توفي بعد عام واحد من مغادرته القرية آنذاك " [2].

أما والد حكيم فيمثل صورة الأب الفلسطيني الذي حمل صورة الهزيمة والمعاناة رحل مع من رحل بُعيد النكسة ولكنه عاد " في حالة يرثى لها، رأيته هزيلاً، ملابسه رثة، وسخه، علامات العرق واضحة على قميصه، كانت حاله تعرب عما لقيه من معاناة فترة غيابه، أبي رجل في الخمسين من عمره... حاول النزوح إلى عمان ليكون مع جدتي وأعمامي.. لكنه الآن عاد إلينا هو وبصيرته التي يعتمد عليها... لقد عاد مع بعض الناس قبل أن يجتاز نهر الأردن..." [3] عمل بكرامة رغم اعاقته البصرية لتوفير قروش تستر أجساد أبنائه وتسد جوعهم هو نموذج جسد الحياة الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية في القدس بعد الحرب.

---

[1] الجندي، سمير: **خلود**، ص 14

[2] المصدر نفسه، ص 46 – ص 47

[3] المصدر نفسه، ص 32

صورة الفلسطيني الذي يستغل فلسطين وأبناء القدس من أجل تحقيق مصالحه ورغباته الخاصة، تمثل في والد زوج خلود الذي حاول الاعتداء عليها، وهو رمز " للدول العربية التي تحاول استغلال قضية فلسطين لصالحها حتى لو أدى ذلك إلى ضياعها وامتهان كرامتها"[1].

ظهر في الرواية مجموعة من الشخصيات الثانوية أخت خلود وأخوها وزوجها وأبناؤها، وخال حكيم وزوجته وابنه مصطفى، ولينا النابلسي، وطلاب المدرسة، الأصحاب والأهل الذين عاشوا مع الراوي وتنقلوا في أحياء القدس وأسواقها ومدارسها وداخل الملجأ الذي أقاموا فيه بسبب الحرب واحتلال اليهود للقدس.

في رواية " عاشق على أسوار القدس " لعادل سالم، حمل عنوان الرواية دلالة سياقية خاصة، فالعنوان منذ بدايته أشار إلى شخصيات الرواية الرئيسة، وهو العاشق وعلاقته بأسوار القدس إضافة إلى عدد من الشخصيات الأخرى في الرواية. أما شخصية العاشق فهي ممثلة بالمحامي سرحان الذي درس في الجامعات الأمريكية ويعمل محاميا فيها، يقرر العودة مع اسرته وهم زوجته إلهام، وأولاده حسن وعبير وبلال.

سرحان بطل الرواية رمز دلالي للمقدسي المغترب، الذي ذاق مرارة الغربة بعيداً عن الوطن، وفضل العودة إلى محبوبته القدس، كما رمزت شخصية سرحان إلى شريحة كبيرة من الشباب الفلسطيني المغترب ورغبت الكثير منهم في العودة للوطن، وهو رمز كذلك لجيل ما بعد الحرب، الذي دفعته ظروف الحرب التي مرت بها فلسطين وما تبعها من أحوال سياسية أبرزت واقعاً جديداً في مدينة القدس وما تبع ذلك من ظروف اقتصادية وحياتية صعبة، دفعتهم للرحيل خارج الوطن، سرحان الذي ضحى بكل شيء في سبيل العودة للقدس حتى استشهد عاشقا على أسوارها أثناء سعيه للبقاء فيها، وتشبثه بالعيش بين أسوارها رغم سياسة المحتل وتعسفه .

أما زوجته إلهام فهي رمز للمرأة المقدسية والفلسطينية التي تضحي في كل زمان ومكان، ضحت في سبيل أسرتها بسنوات في الغربة خارج القدس، ثم تحملت الصعوبات التي

[1] جابر، عبد المجيد: **جماليات المكان في رواية خلود**، ص 8

واجهت أسرتها من اعتقال وتشريد ومعاناة عاشها الزوج والأبناء بعد عودتها برفقتهم للقدس، ليبرز حال العديد من الأسر المقدسية وما تمر به من أوضاع صعبه بسبب سعيها للتمسك بحق الإقامة في القدس وحقهم في التعليم والعيش بسلام وتوفير سبل الحياة الآمنة لهم .

أولاد سرحان وإلهام عبير وبلال هم رمز لجيل الأطفال والشباب من أبناء القدس، يعيشون بأمل مفقود ومستقبل ضبابي الرؤيا، مطاردا داخل وطنه وبلا هوية وبلا شعور بالأمان داخل القدس حين تعرض بلال الصغير للضرب عندما " نظر إليه الجندي، وبحقد كامن في قلبه ضربه بحذائه بقوة فسقط على الأرض متدحرجاً... سقط بلال على الأرض يصرخ من الألم. تلقفه حسن صارخاً... "[1]، الاعتداء على الأطفال صورة لوحشية الآخر في تعامله مع المقدسيين، ثم أصبح هؤلاء الأطفال بغير معيل بعد استشهاد والدهم، شأنهم في ذلك شأن كثير من أطفال القدس وغيرها من المدن الفلسطينية ممن فقدوا آباءهم أو أمهاتهم في ظل هذه الظروف .

أما حسن الابن الأكبر لسرحان فهو رمز للطفولة الفلسطينية المنتهكة داخل القدس عندما اعتقل عند أحد الحواجز عندما كان برفقة أمه وأشقائه وعندما " وصل حسن إلى المسكوبية في سيارة الجيش التي نقلته إلى هناك بعد تعرضه لبعض اللكمات. كانوا يسألونه خلال الطريق:

– كم مرة ضربت الحجارة على الجيش.

– أنا لا أضرب الحجارة على الجيش.

.... كان حسن مقيد اليدين لا يستطيع عمل شيء سوى تحمل الصفعات، وماذا باستطاعته أن يفعل حتى لو فكوا قيوده."[2]

---

[1] سالم، عادل: **عاشق على أسوار القدس**، ص 187

[2] المصدر نفسه ، ص 164 – ص 165

ثم ألقي به داخل سجن المسكوبية الذي يفتقر لأدنى مقومات المعاملة الانسانية، وما تلاقيه هذه الفئة العمرية من الأطفال هناك من تنكيل وانتهاك لطفولتهم، ليس لسبب إلا لأنهم يعيشون فوق هذه المكان من الأرض المقدسة والتي هي في الأصل وطنهم.

أسوار القدس شخصت هنا على أنها معشوقة أو امرأة عشقها سرحان ومات من أجلها أحبها وتنازل عن كل شيء في سبيلها، وهذه المدينة المقدسة هي رمز للوجود العربي الإسلامي على هذه البقعة الطاهرة من أرض فلسطين، هي أيضاً رمز لعمق التاريخ الفلسطيني وتجذره على هذه الأرض، وحقه التاريخي والحضاري والديني، ورمز لتراثه الأصيل، هي المدينة الحلم ورمز للعشق الذي ضحى من أجله سرحان بكل شيء، ولم تكن المواجهة التي وقعت بين سرحان وجنود الاحتلال عند هذه الأسوار إلا دلالة واضحة ومباشرة على طبيعة العلاقة بين عشقه لهذه الأسوار والصراع الحتمي المستمر مع الآخر.

أما عزمي السجين الفلسطيني داخل سجن المسكوبية الذي قام بمساعدة حسن داخل السجن من اعتداء السجناء اليهود عليه، هو رمز للمقاومة الفلسطينية في القدس في مقاومة الاحتلال من جانب، والدفاع عن أبناء القدس، وما حمله من صفات الشجاعة والوطنية.

ثم هناك السجين العربي الذي كان يقيم مع حسن في سجن المسكوبية اتخذ موقفاً سلبياً، ولم يقدم له العون والمساعدة والحماية من السجناء اليهود الذين حاولوا الاعتداء عليه، رمز إلى العرب والمسلمين في تخليهم عن نصرة القضية وحماية القدس، وهم يرون الأطفال تنتهك براءتهم دون أن يهبوا لتقديم لمساعدة والدعم والحماية لهم " لم يتحرك أحد لمساعدته حتى العربي الذي يبدو أنه خاف منهم، كأنهم كلهم يتآمرون عليه"[1].

وعائلة سرحان زوجته وأبناؤه هم رمز للشعب الفلسطيني ومعاناة التهجير التي قسمت الشعب الفلسطيني إلى قسمين داخل الوطن وفي أصقاع الشتات، وهذا ما تجسد في أسرة سرحان عندما قررت المحكمة الاسرائيلية ترحيل سرحان وابنه حسن خلال شهر بعيداً عن القدس، واعطاء هوية مؤقته لزوجته ولابنته وابنه الصغير بلال.

[1] سالم، عادل: **عاشق على أسوار القدس**، ص 33

فالقضية التي حملها سرحان هي قضية شعب هُجِره من أرضه واجبر للرحيل عنهـــا، ثم رفض الاعتراف بحقه في العودة لوطنه فبقي نصفه داخل الوطن، ونصفه الآخر خارجـــه عاش مشتتاً في الآفاق، أما مدينة القدس فقد عاشت وضعاً استثنائياً عرضـــته هـــذه الروايـــة وغيرها وهي سحب الهويات من المقدسيين ورفض بقائهم في القدس، واستمرار الملاحقـــات والاعتقالات بحق من يقيم فيها من المقدسيين.

ظهر في الرواية شخصيات ثانوية أخرى، وهم سهام شقيقة إلهام وابنها ناصر وشقيقها أمين ووالدي إلهام، وكذلك والد سرحان، ووالدته وأشقاء سرحان وهم الدكتور بسام وشـــقيقته سلوى وأولادها وشقيقه الأكبر عدنان، والاستاذ نهاد أبو غربية، وطلاب المدرسة، وريما التي تعمل في مكتب الداخلية بالقدس وهي رمز لفلسطيني ظل عن طريق الصواب، ووجـــه مـــن وجوه العمالة لأحد أبناء القدس الذين يعملون في خدمة المصالح الاسرائيلية، وهناك كـــذلك أصدقاء سرحان منهم بهاء، ورجل الأعمال الفلسطيني حسام الريمـــاوي، ومســـؤولون فـــي السلطة، وعدنان سلمان المستثمر الفلسطيني، وهم رمز للسلطة وسياستها تجاه الوضع الراهن في المناطق الفلسطينية التي تسيطر عليها بعد اتفاق اوسلو، وموقفها من قضية القـــدس، أمـــا المحامي عزرا وهو صورة الآخر وما يحمله من رؤى وأفكار حول الحق الفلســـطيني فـــي القدس، القنصل الأمريكي في القدس الذي ينفذ السياسة الأمريكية وكل ما تمثله هذه السياســـة من دعم لليهود، كلها شخصيات ساهمت في تقديم أحداث الرواية.

كما رمزت هذه الشخصيات إلى شريحة من الشعب الفلسطيني داخل القدس، حملـــت الذكريات، وعكست الواقع الفلسطيني سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، حملت همومـــه وآلامـــه ومعاناته مع الاحتلال، برزت دلالتها لتعكس واقع الصراع الذي يحياه الفلسطيني.

في رواية " عائد إلى القدس " لعيسى بلاطه، ظهرت الشخصيات في هـــذه الروايـــة تحمل القدس من خلال الذكريات في الغربة ولأن " الاغتراب هـــو جـــوهر هـــذه الروايـــة والظاهرة الأكثر سيطرة وقيادة لتياراتها الفكرية والسلوكية "[1]، فقد انعكست صورة القدس عبر

[1] فرنجية، بسام خليل: **الاغتراب في الرواية الفلسطينية**، ص 27

ما علق من ذكريات عاشها أبطالها زمن الحرب وما تبعه من فقد للأهل والبيت وذكريات الطفولة الجميلة في حارات القدس.

الشخصيات الرئيسة هي الدكتور فؤاد سرحان أستاذ في أحدى الجامعات الأمريكية فلسطيني من القدس، ترك القدس بعد الحرب ودرس في بيروت ثم أمريكا هو رمز للشباب الفلسطيني المثقف المناضل الذي يعيش في الغربة، يدافع عن قضيته في الخارج ويتطلع للعودة للقدس، مفارقة عاشها في الغربة بعيدا عن القدس فكل نجاح حققه في الخارج كان مقابل هزيمة له في القدس احتلالها العام 1967 م تزامن مع يوم حصوله على الدكتوراه، ثم وفاة والده في القدس في نفس الفترة التي ترقى وأصبح أستاذا في جامعته، وأخيرا موت وداد الفتاة التي أحبها في القدس وتعلق بها في بيروت عندما كان يدرس معها هناك، هي رمز لوطنه الذي فقده ولم يتمكن من العودة له كما فقد وداداً التي تزوجت من آخر وكان في كل مرة مصاب بحالة من العجز في الدفاع عن حبه ووطنه ولم يحافظ على أي منهما، ولكن بالرغم من مآسي الوطن سيعود للقدس، سيعود لوطنه وللذكريات فيها، فالقدس اليوم لم يعد فيها إلا ذكريات الفقد والألم.

أما الشخصية الأخرى التي ألقت بظلالها على هذه الرواية فهي شخصية وداد هنداوي، فلسطينية مقدسية متزوجة من اللبناني أكرم هنداوي وهو الشاب الذي تعرفت عليه أثناء دراستها في بيروت، شاب مثابر نشيط أعجبت به وداد ولكنه انغمس في عمله، تخلى عنها ولم يستمر في تعاطفه معها، ثم انفصلت عنه وداد بعد ذلك، لها ابنة وحيدة هي لطيفة تعيش وتدرس في أمريكا.

أكرم هنداوي هو رمز للأنظمة العالمية المستبدة في تخليها عن قضية فلسطين والقدس في سبيل سعيه لتحقيق رغباته ومصالحه الشخصية، عندما ترك وداد بعد سنوات من ارتباطه بها قدم لها الأموال والبيوت ولكنه لم يتمسك بها، وهذا يرمز إلى الأنظمة التي قدمت الأموال والدعم المادي للشعب الفلسطيني ولكنها عجزت عن الدفاع عنها وحمايتها والسعي لتخليصها من معاناتها بسبب الاحتلال.

تسرد وداد ذكرياتها في القدس من بيت الطفولة في القطمون الذي تركته العام 1948 م، لتعيش بعد ذلك في البلدة القديمة في القدس، ورمزت إلى الأمل الذي تمسك بــه ســرحان كذكرى من وطنه، وداد هي رمز لفلسطين وللقضية الفلسطينية، وهي أيضــاً رمــز القــدس وقضيتها التي اغتيلت في الخارج في المحافل الدولية، بسبب تعامل العالم و الغرب واللذان لم يقدما الدعم للقضية الفلسطينية ، ولم يساندا نضال الشعب الفلسطيني .

عكست شخصية رجل الأعمال أيمن التابري رمزيتها هي أيضاً للأنظمة العربية في تخليها عن القضية الفلسطينية ورمزها القدس، وتركتها تُغتال في أروقة الأمــم المتحــدة دون دعم لها أو دفاع عنها، والاستفادة منها لتحقيق مصالحها، وتمثل ذلك من خلال ما حدث لوداد التي اغتيلت في أمريكا والتي كانت برفقة رجل الأعمال أيمن التابري وزوجته، بعدما أطلــق مجهول النار باتجاههم حيث " كان جليل أول من استقام واقفاً، ونظرت حولي وهو يتجه إلى وداد، وإذا هي ملقاةٌ على الأرض مضرجة بدمائها، فيجثو بجانبها ثم يرفع رأسها بين ذراعيه ويناديها بصوة متهدج:

وداد، وداد. آه، يا بدر، ياضيعانك يا بدر.

إنها لحقت بأخيها بدر. ماتت... بين يدي... مثله"[1]

تعدد الشخصيات وتنوع اتجاهاتها دلالة التنوع في القدس، واتحاد ابنائها في المقاومة ضد المحتل. فشخصيات حقيقية ورموز سياسية أخرى برزت خلفية لسرد أحــداث الروايــة فهناك ياسر عرفات، وأحمد الشقيري، وأنور نسيبة، ومحمد سعيد الجمل، وأســماء رؤســاء بلديات حلحول، ودورا، وقلقيلية، وغزة، وبيت ساحور والتي شجبت أحداث المسجد الأقصى، وذلك لإضفاء السمة أو الصفة الواقعية على أحداث الرواية.

أما في رواية " برج اللقلق" فقد كانت الشخصية الرئيسة في الرواية هي شخصية عبد الجبار وأسرته وأحفاده، وهم رمز للمجتمع المقدسي، على اختلاف أطيافــه وميولــه، رمــز

[1] بلاطة، عيسى : **عائد إلى القدس**، ص 148

للنضال والصمود في القدس في مواجهة الحوادث التي مرت بها المدينة، ولتكون شاهدة على أحداث وقعت في القدس خلال فترات زمنية مختلفة.

الحاج عبد الجبار هي الشخصية الرئيسة في الرواية وهو دلالة الجيل القديم الذي أخذ على عاتقه الدفاع عن عائلته الكبيرة التي كان يتزعمها، وهي من العائلات العريقة والقديمة التي سكنت القدس و" أن أصل عائلة عبد الجبار من الجزيرة العربية.. وبالتحديد من الحجاز.. وأن الأرومة الأصلية موجودة في المدينة المنورة.. وقد وفد الشيخ علي رضي الله عنه وأرضاه إلى الديار المقدسة مع جند صلاح الدين من أجل الدفاع عن مدينة القدس "[1]، عمل عبد الجبار بجد ونشاط في مهن تقليدية مختلفة عرفت بها القدس في ذلك الزمان منها العتالة، وجمع الحطب وبيع الخضار والفواكه، لتوفير الحياة الكريمة لأسرته الصغيرة، كما مثل رمزاً للمقاومة الفلسطينية في القدس ضد الأتراك الذين أذاقوا الناس مرارة الفقر والذل، وبرز رمزاً للقوة والشجاعة ومقاوما عنيداً عاش بين أودية القدس وصعد جبالها وأقام في كهوفها مناضلا ضد الاستعمار الانجليزي ثم احتلال اليهود، ومثل استشهاده رمزا لسقوط القدس وهزيمة للمقاومة.

الشيخ علي الجد الأكبر لعبد الجبار الذي جاء مجاهدا مع جيش صلاح الدين لتحرير القدس من الصليبيين والذي " نال الشهادة على سور القدس الشمالي أثناء هجمة صليبية شرسة.. وتم دفنه هناك قريباً من مكان استشهاده في هذه الحاكورة الت لا تبعد أكثر من مائة متر عن السور.."[2] واستشهد وهو يقاوم الصليبيين، حملت هذه الشخصية رمزية خاصة إلى دور المسلمين في حماية المدينة المقدسة والدفاع عنها، ومثل ضريحه رمزاً للقداسة التي كان يأتي إليها المقدسيون للتبرك والشفاعة والشفاء من الأمراض، فيما يصور حالة العجز والضعف التي وصل لها الناس في تلك الفترة بسبب الفقر والقحط الشديد في المدينة.

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج 1، ص 7

[2] المصدر نفسه ، ج 1، ص 7

أما زوجة عبد الجبار الحاجة نفيسة فهي رمز للأرض الفلسطينية المعطاءة، وهي رمز كذلك للأم الفلسطينية في كل زمان دافعت عن أسرتها وحمتها من وحش الفقر والجوع، دعمت زوجها أثناء المقاومة، وصبرت على استشهاد أبنائها، وكانت رمزا للمرأة المثقفة الواعية.

من الشخصيات الثانوية عطا وتوفيق من أبناء عبد الجبار اللذين استشهدا في معارك وقعت في القدس، وهم رمز الشباب الثائر المضحي للدفاع ضد المحتل. أم محمود أخ عبد الجيار الذي استشهد على يد القوات الانجليزية، وابنه عاصم، وعلي بن عبد الجبار وزوجته نعيمة وأبنائه عبد الجبار ونفيسة، وحسان النعمان، وأولاد عبد الجبار الحفيد وهم علي ونضال وجهاد وأمير، كل هذه الأجيال مثلت المقاومة الفلسطينية ضد المحتل في القدس، حيث قدر لهذا الشعب أن يكون مقاوما على مر أجياله المتعاقبة يستشهد الأبناء ويعتقل الآباء وتبقى الأمهات الفلسطينيات صابرات صامدات.

رمز ليث ابن نفيسة أحدى حفيدات عبد الجبار رمز للعمالة والخيانة عندما عمل مع السلطات الاسرائيلية في القدس، وحمل دلالة الابن الضال في عائلة عبد الجبار، ثم عاد لرشده وقام بعملية استشهادية في محاولة للتكفير عما قام به بحق أسرته وأبناء مدينته.

شخصيات أخرى ظهرت في الرواية منها الرجل العجوز في السوق، والعتالون، والعربجية مثلوا شريحة من المجتمع المقدسي في تلك الفترة، وهناك أصدقاء عبد الجبار الأوفياء أبو الطاهر، وأبو رعد وهم جزء من المجتمع المقدسي حملوا آراء مختلفة سياسية واجتماعية حيث كانت هذه الآراء معبرة عما كان في ذلك الزمن، وأبو زيد الغضبان.

وهناك الشيخ متولي المعروف بفك الأسحار، والرجل المقدسي الذي جاء يحمل طفله لعبد الجبار ظناً منه أن عبد الجبار يشفي من الأمراض، هو انعكاس لصورة العجز والتخلف في ظل انتشار الفقر والمجاعة، وتمسك الناس بالخرافات والخزعبلات.

الاستاذ حيدر هو رمز للمقدسي المثقف، ومثل التيار اليساري الذي وقف يقاوم في وجه الأتراك، ويهتم بتوعية الناس.

في روايتيها " وجه من زمن آخر " و" بنت الأصول "، دارت أحداث الرواية داخل أسرة آل رشيد التي أقامت في حي الواد في القدس، برزت في هذه الرواية عدد من الشخصيات التي دارت حولها أحداث الرواية، وحملت دلالات متعددة عكست واقع المدينة وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة.

أطلت الشخصية النسائية شخصية رئيسة في الرواية تمثلت في شخصية مريم بنت محمد الحسن الأحمدي ذات الأصول العربية الأندلسية، هي رمز لمريم الفلسطينية، أم مريم المجدلية، أو ماري السائحة الاسبانية التي جاءت تبحث عن جذورها العربية في قلب المدينة المقدسة، هي رمز لهزيمة العرب في الأندلس وطردهم منها وكأنها بذلك تشكل معادلا موضوعيا للمرأة العربية الفلسطينية في القدس وفلسطين وما لحقها من ظلم المستعمر من فقر وضيق، وعذابات فقد الأبناء والأزواج والبيت والوطن، ومريم هي أيضا رمز للمرأة المثقفة الواعية التي حاربت الدجل والشعوذة أيام الفقر، وكل أشكال الاستغلال، وحاربت المحتل الانجليزي بكل شجاعة داخل أحياء القدس.

الحاجة أمينة زوجة الحاج رشيد هي أيضا رمز للمرأة المقدسية التي أخذت على عاتقها حماية أسرتها والدفاع عنها، ولكنها شخصية مضطربة تعكس اضطراب الواقع الفلسطيني داخل المدينة المقدسة، تبعاً

كما رمز عزو ابن الحاج رشيد إلى صورة الفلسطيني المناضل الذي حافظ على أسرته، ودعم المقاومين في القدس ضد الانجليز حتى استشهد داخل السجن تحت التعذيب.

أما شخصية المبروكة والشيخ درويش وغيرهم ممن كانوا يمتهنون حرفة الشعوذة، والاحتيال على الناس لسلبهم أموالهم، عكست هذه الشخصيات وجهاً آخر للقدس ولحالة التخلف والاستغلال التي كانت تمر بها المدينة في ظل ظروف الفقر والمجاعة التي كانت تعيشها القدس فترة الحكم العثماني.

والحاج رشيد الذي حمل صفات الشجاعة والقوة ونصرة المستجير عندما قام بحماية مريم من اعتداء مصطفى، في مقابل ذلك هو رمز للقيادات العربية ورمز للإنسان المتخاذل الذي لم يشفع له نسبه في أن يكون انسان شريف طمعه بالذهب، أضاع حياته وتراث أجداده في سبيل أطماعه.

ورمز الدليل السياحي مصطفى الذي حاول الاعتداء على مريم حيث كانت المعركة " على أشدها فوق درجات عقبة السرايا.. وهم أن يحضنها ويقبلها.. حتى أنشبت أظفارها في وجهه تدميه.. وهي تصرخ بأعلى صوتها.. النجدة.. النجدة يا عرب "[1]، رمز مصطفى للاستغلال والمكر والخديعة، وصورة سلبية لأحد أبناء المدينة المقدسة، وذلك من خلال محاولته الاعتداء على عربية أندلسية وهي معادل موضوعي للقدس التي أساء إليها ولم يدافع عنها ولم يقم بحمايتها.

وهناك مجموعة من أصدقاء مصطفى وهن الغانيات حنان ورنيم ونوال وشهوان ونديم وكمال، كانوا يقيمون داخل القدس في بيت يحيون فيه ليالي السمر وما بها من فسق وانحراف، هم رمز إلى فئة ضالة من أبناء المدينة المقدسة، انحرفت عن الطرق وضلت السبيل، فئة قد تاهت عن واقعها وأصالتها فضاعت منا الأخلاق والمبادئ والوطن

شخصيات ثانوية وردت في الرواية منها عطا اللحام، وهو رمز لكل انسان وقع ضحية المستغلين من المشعوذين وغيرهم، استغلته المبروكة وسلبته ماله، ولبيبة وزوجها نجيب حسن مرزوق الذي عكس صورة سلبية، فقد مثل بتعاونه مع الانجليز رمز الخيانة لأبناء شعبه، والمختار رمز الجشع الذي كان مع عصابته يقوم بسرقة ممتلكات الناس في حي الوادي، عز الدين القسام، والحاج يوسف والحاج عبد المعطي، ومرجريت البريطانية، وأبو عامر، وجميلة ابنة الحاج حسن، والحاج أمين الحسيني، وقاضي القدس الشرعي، وأبو عيد الدلال، والاستاذ جمال الحسيني، وسلمان بائع التحف، كلها شخصيات حملت رموزاً ودلالات

[1] السمان، ديمة جمعة: **وجه من زمن آخر**، ص 70

لواقع مدينة القدس وتلون المجتمع، ورموزاً لطبيعة الحياة الاجتماعية فيه، وعكست صورة لأحداث وظروف سياسية واقتصادية مرت بها المدينة.

سلطت روايات عزام أبو السعود ذات البعد التاريخي الضوء على بعض الشخصيات، منها شخصيات مقدسية حقيقية، حيث حملت هذه الشخصيات دلالات أبرز واقع المدينة، ومن الشخصيات الرئيسة في روايتيه "حمام العين " و" صبري "، الدكتور فؤاد هو شخصية مقدسية مرموقة، تلقى تعليمه في باريس، ومارس مهنة الطب في القدس. وهو رمز للمقدسي المثقف الذي ظهر على وعي سياسي بما يحدث في القدس، وذو حس وطني، كان أحد الشخصيات الفاعلة في القدس، كشفت هذه الشخصية على جوانب من الحياة الاجتماعية والسياسية، وطبيعة العلاقات بين العائلات المرموقة على الزعامة في القدس، كما عكس واقع جيل من أبناء القدس في تلك الفترة، وأبرز وعيه السياسي المبكر لواقع قضيته عندما شارك في حروب الدولة التركية، ثم مقاومة الانتداب البريطاني على فلسطين.

أما شخصية صديقه عبد الغفار (أبو محمود)، وهو فلاح ذو مكانة من قرية خربة مبروك في سهل مرج ابن عامر، حملت هذه الشخصية دلالة على طبيعة العلاقة المتينة بين أبناء القدس وباقي مدن وقرى فلسطين، ودلت كذلك مدى عمق الوعي السياسي الذي يعيشه الفلسطيني إزاء قضيته والأطماع الصهيونية في أرض فلسطين وما كان يقوم به اليهود من محاولات لشراء الأراضي الفلسطينية في سهل مرج ابن عامر وغيرها من المناطق في فلسطين، فكل من الرجلين وجد لدعم الآخر ومؤازرته وقت الشدة، وهم أبناء وطن واحد.

أما الشخصيات النسائية في هذه الرواية فقد تمثلت في شخصية زليخة زوجة الدكتور فؤاد، رمزت لشخصية الأم الفلسطينية المقدسية المتمسكة بأسرتها وأبنائها رغم ما مرت به الأسرة من مراحل عصيبة، وهي الأم التقليدية التي لم تحصل على التعليم، لتبرز بذلك الواقع الاجتماعي والثقافي السائد في مدينة القدس كما غيرها من المدن الفلسطينية الأخرى والذي لم يسمح للمرأة بالخروج في طلب العلم سوى حفظ القرآن الكريم في الزوايا الدينية التي تقام في منطقة الحرم الشريف، وقلة في توفر المراكز التعليمية والمدارس خلال فترة الحكم العثماني.

وشخصية صبري الذي رمز للجيل الجديد الشاب من أبناء القدس، وهو رمز أيضاً للشباب المتعلم والارستقراطي داخل المجتمع المقدسي تلقى تعليمه في الخارج وعاد للقدس ليعمل محامياً في القدس، وظل صوتاً وطنياً مدافعاً عن قضيته.

ومن الشخصيات الثانوية الأخرى جيهان، وسعاد شقيقة صبري، وجارية منزل الدكتور فؤاد وممرض عيادة الدكتور فؤاد، وهنري الشاب الانجليزي الذي اعجب بجيهان وأراد الزواج منها، هو رمز للاستعمار الذي حاول التقرب للمقدسيين ولكنه قوبل بالرفض لكونه رديفاً للاستعمار، وهناك أبناء عبد الجبار وهم علي الذي مثل رمزا للمقاومة في فلسطين بانضمامه إلى عصبة القسام وأخوته محمود وزهرة، ومختار قرية خربة مبروك، سمسار الأرض اليهودي، الشيخ محمد الأشمر، وحراس الحرم القدسي، وبيت أخ الدكتور فؤاد ليلى ووالدتها، بالإضافة إلى الشخصيات الانجليزية التي تعرف عليها صبري في انجلترا، وأثرت في ثقافته بعد عودته إلى القدس.

جميع الشخصيات السابقة شكلت المحرك الذي سارت من خلالها الأحداث وهي تمثل واقع المجتمع المقدسي في ذلك الزمن، وعكست ما يحدث فيه، وتأثرها بالأحداث السياسية والاجتماعية التي مرت بها القدس.

وظهرت شخصيات حقيقية في نسيج الرواية، حيث أن الرواية تحمل بعدا تاريخيا، منها شخصيات مقدسية وعربية، لعبت دروا سياسياً وثقافياً بارزاً في تاريخ القدس وفلسطين، وحملت مصير أمة وآمال شعب تواق للحرية، ولتدل على مكانة القدس، وتتحدث عن واقعها السياسي والاجتماعي والاقتصادي في تلك الفترة من تاريخ المدينة، وهم علي النشاشيبي، والأمير شكيب أرسلان، وأحمد عارف الحسيني وابنه مصطفى، موسى كاظم، الجنرال اللنبي، والأمير فيصل، وخليل السكاكيني، وعوني عبد الهادي، وعزة دروز، قدري طوقان، د. خليل البديري، المندوب السامي واكهوب.

في رواية " كافر سبت " لعارف الحسيني، أطلت شخصيات حملت طابع تاريخي قديم لتدل على عراقة القدس وأصالتها العربية، وهم تاج الدين بن الشيخ موسى الكبير وزوجته

امتياز التركية، وأبنائهم صلاح الدين وتقي الدين، وتسع بنات، بدأت الرواية من وسط عائلة مقدسية أقامت في القدس خلال فترة الحكم العثماني على فلسطين، وشكلت هذه العائلة مرحلة من تاريخ القدس خلال فترة الحكم العثماني، ودلت دلالة رمزية على انتشار الرشوة والثراء على حساب فئة أخرى عانت الفقر والمجاعة وسط العائلات المقدسية، وبوفاة تاج الدين وزوجته كان ايذاننا بانتهاء الحكم العثماني في القدس، وبداية مرحلة جديدة من تاريخ المدينة.

تقي الدين وصلاح الدين هما دلالة بداية لمرحلة جديدة من تاريخ المدينة، فترة الانتداب البريطاني، حيث ترك كلاهما القدس وهاجر إلى أمريكا كما فعل صلاح الدين أو إلى بلاد عربية أخرى كما فعل أخوه تقي الدين، إنه رمز لمرحلة مبكرة من هجرة المقدسيين خارج الوطن بسبب الظروف السياسية والاقتصادية الصعبة التي مرت بها القدس، وعكس كلاهما صورة سلبية للمقدسي الذي لم يأخذ موقف المناضل أو حتى الصامد ازاء ما يحدث في القدس، فشخصية صلاح الدين هي شخصية مضطربة، رمز لشخصية جمعية، أو الحالة الفلسطينية بوجه عام، وهو ما ينعكس على واقع القضية الفلسطينية التي لم تتضح لدروبها مسالك واضحة بعد.

أما شخصية نبيه بن كمال الدين بن صلاح الدين وهو الشخصية الرئيسة التي تروي حكاية أسرته المقدسية، هي ترسم صورة لواقع القدس القديم والحالي، وما يطرحه من قضايا تتعلق بالهوية، وأحقية أبناء القدس بالإقامة والسكن داخل المدينة، والعنصرية التي يواجهها أبناء القدس في التعليم والرعاية الصحية، والعمل، والخدمات من كهرباء وماء، مما انعكس بشكل سلبي على حياة المجتمع المقدسي، وأوجد أنماطاً اجتماعية لم تعتد عليها المدينة المقدسة من قبل، إضافة إلى محاولة تغير واقع المدينة زماناً ومكاناً، وهو أيضا رمز للشباب المقدسي بكل معاناته " فالفلسطيني أينما وجد يحمل معه شحنة تاريخية متوارثة من الألم، ويزيد عليه في بعض الأحيان شعور القهر المزمن من الاحتلال، أو الحسرة من الأشقاء "[1].

[1] الحسيني، عارف: **كافر سبت**، ص 9

كما أبرزت الرواية شخصية الآخر فظهرت " شخصيات مختلفة، منها اليساري الصهيوني وغير الصهيوني، والمستوطن عن قصد، أو عن غير قصد، والمتدين والقادم الجديد، والذين لا يمكن تجاهل أو انكار وجودهم وتأثيرهم في حياتنا... بالرغم من انكارهم الدائم والأعمى، لوجودنا قبلهم وبينهم"[1]، وشملت موظف مكتب وزارة الداخلية، عيدان ورفيتال، وايلان بابيه، واليهودي العراقي الذي عمل عنده نبيه، وكلها شخصيات وإن أظهرت بعض التعاطف ولكنها أخفت نوايا خبيثة تجاه الفلسطيني.

شخصيات ثانوية أخرى أشارت إلى واقع المجتمع المقدسي، وما يحدث فيه، وهم رأفت ونعمة، وسناء، ومحمد، وبشير محجوب، وجبر، ويوسف الجعمان، وأصدقاء نبيه في المدرسة والعمل.

5.3.2 الدوال الشخصية في روايات الكتاب غير المقدسيين

برزت الشخصيات في رواية الكُتّاب ممن يقيمون خارج القدس في مدن فلسطينية أُخرى أو يعيشون في المنفى خارج الوطن، بشكل مغاير عما تناولها الكُتّاب يقيمون داخل المدينة، حيث عالجت هذه الروايات الشخصيات بصورة مختلفة من خلال شخصيات لم تعايش واقع المدينة ولم تقم فيه فظهرت معرفتها بالمدينة بشكل سطحي مما قرأت أو سمعت عنها وحملت هذه الشخصيات دلالات مختلفة، حاول كُتّابها عبر هذه الشخصيات إبراز صورة المدينة.

في رواية " زمن الخيول البيضاء " لإبراهيم نصر الله، وهي ملحمة تؤرخ لتاريخ فلسطين خلال تلك الفترة، أطلت فيها شخصيات سيطرت على أحداث الرواية من خلال سرد لتاريخ الهادية وهي رمز لفلسطين، ورمز كذلك للقدس قلبها النابض.

أبو سليم أحد كبار تجار القدس، هو رمز للقدس بقوتها وصلابتها، بضخامة تجارته وتنوعها، وهو كذلك رمز لعلاقة القدس الطيبة مع باقي مدن فلسطين وقراها ، حيث مثل الجانب الاقتصادي في تبادل السلع مع الفلاحين في كافة القرى الفلسطينية.

---

[1] الحسيني، عارف: **كافر سبت**، ص 8

أما شخصية سعيد صالح وهو رمز للمقاومة الفلسطينية داخل القدس أيـام الانتـداب البريطاني، وما قام به من عمليات ردا على جرائم الجيش البريطاني وما نفذه من اعـدامات ضد الفلسطينيين.

وهناك شخصية نمر الطيري الذي أعدم بيد الضابط الانجليزي بيترسون بدم بارد دون أن يكون له أي علاقة بالعملية التي قتل فيها جندي بريطاني، هي دلالة واضحة على وحشية المحتل وهمجيته، أما المهرة وهي معادل لابنة أبي سالم المقدسية، لما تميز به الفتـاة مـن الأصالة والعراقة، وهي رمز للمرأة الفلسطينية بحبها وتضحياتها، وهي كذلك رمز للقدس التي أضاعها الفلسطينيون كما فعل خالد في تخليه عنها، بالرغم من حبه الشديد لها، الفلسـطينيون أحبوا القدس لكنهم لم يستطيعوا الحفاظ عليها.

خالد ابن أبي محمود رمز الفلسطيني الذي عشق القدس وأحبها، عندما أصـر علـى الزواج من المقدسية ابنة أبو سليم، حين وصفها بقوله: " أنها أحلى من الشمس والقمر"[1]، أحبها وتزوجها ولكنه فقدها أكثر من مرة، ثم أضاعها للأبد.

كما ظهرت شخصيات أخرى منها: أبو محمود ومنيرة زوجة أبو محمـود وأبنـاؤه محمد ومصطفى وسالم، والعزيزة وزوجها الذي رمز للعمالة والخيانة عندما وشـى بـأخوة العزيزة للإنجليز حيث تم إعدامهم في اليوم التالي في القدس، وعفاف وحسـين، وأم الفـار، ساهمت هذه الشخصيات في توجه سير أحداث الرواية، وعكست واقع الحياة في مدن فلسطينية أخرى.

في رواية "مقدسية أنا" لعلاء مهنا، سلطت الرواية الضوء على شخصـيات عكسـت واقع "حياة شريحة طلابية فلسطينية في القدس من حاملي الهوية الاسرائيلية، والمعاناة التـي يواجهونها إزاء الهوية، ومعنى النضال وأساليبه"[2].

---

[1] نصر الله، إبراهيم: **زمن الخيول البيضاء**، ص 17

[2] مهنا، علاء مفيد: **مقدسية أنا**، ص 1

فهناك شخصية عائشة وهي فتاة مقدسية تدرس في مؤسسة أكاديمية اسرائيلية وهـــي الجامعة العبرية، تعيش خلف جدار الفصل العنصري في القدس، أحبهـــا شـــاب درزي هـــو إبراهيم البيادر، عائشة هي رمز للقدس التي أحبها إبراهيم وتمسك بها وربط بين ابتعاده عن عائشة وبين نهاية علاقته بالقدس المدينة المقدسة التي أحبها " لا بد أني سأرحل عنهـــا حـــين أرحل عن القدس وبسببها لن أعود"[1]، هي رمز لجيل جديد من أبناء القدس بيد يقاوم المحتـــل ويصر على حقه التاريخي فوق هذه الأرض المقدسة مهما كانت الصعاب، واليد الأخرى تقاوم الفكر التقليدي تجاه بعض ممارسات المجتمع وموقفهم من العادات والتقاليـــد ومـــوقفهم مـــن الديانات الأخرى،، وهي رمز للفتاة المقدسية المثقفة، كما حملـــت شخصـــية عائشـــة نظـــرة الفلسطيني للآخر في حوارها مع إبراهيم " لن أرمي أحد بالبحر، كل ما أريده هو أن يكفـــوا قتلهم عنا، ألا يستوطنوا أرضنا أكثر، ألا يحتلوا النفوس ويرهبوا الناس بمدافعهم وجـــدارهم فيعودوا إلى حدود العام 67 لنحيا بسلام، ولكن هيهات يا قدسي هيهـــات، ســـتبقين مظلومـــة وسيبقى شارع رقم 6 بلا هيبة ولا احترام فماذا عن التلة الفرنسية وقمة الذئب ؟ " [2]

إبراهيم البيادر شاب درزي مثقف أحب القدس درس وعمل فيها، حاول الكاتب عبـــر هذه الشخصية تغير الصورة النمطية حول الشباب الدرزي الذي يخدم في الجيش الاســـرائيلي ويشارك في قمع الفلسطيني، فهو من رفض الخدمة الإجبارية في الجيش، كما طرحت هـــذه الشخصية عدداً من القضايا التي تتعلق بالمجتمع الدرزي وعلاقته بالدولة " لا علاقة لـــدروز الجولان بالموضوع، هم أصلا رفضوا الجنسية... سنتجه باسم الأكثرية إلى القيادة الروحيـــة للطائفة طالبين منهم الفتوى بإلغاء التجنيد الاجباري... فهو يسيء لتاريخهم " [3]

أما شخصية سعاد والدة عائشة مثلت شخصية الأم الفلسطينية في التحمـــل والصـــبر عملت بكد متحدية ظروف اعتقال زوجها المتكرر واهتمت بتربية ابنتها الوحيدة رغم اصابتها بالمرض وضعف قلبها، ثم صدمتها الكبيرة باستشهاد زوجها شأنها في ذلك شأن كثيـــر مـــن

[1] مهنا، علاء مفيد: **مقدسية أنا**، ص 43

[2] المصدر نفسه، ص 207

[3] المصدر نفسه، ص 232

الفلسطينيات، فهي رمز للأرض الفلسطينية الصابرة المعطاء، من سجن زوجها ثم استشـــهاده عند حواجز الموت الاسرائيلي، وبقيت صامدة تقاوم الجدار والاحتلال والمجتمع مـــع ابنتهـــا داخل قريتها التي عزلها الاحتلال عن القدس.

وشخصية زين الدين والد عائشة هذه الشخصية معادل للمقاومـــة الفلســـطينية داخـــل القدس، أمضى سني شبابه في التنظيمات التي قاومت الاحتلال حيث اعتقل أكثر من مرة، ثم تحول إلى رمز للفلسطيني الذي تحول من العمل الثوري إلى حمل فكـــرة الســـلام ووفكـــرة المجتمع التقليدي، حين قالت الأم لابنتها " قال لي مرارا أنه يربيك مغيرا شـــكل المقاومـــة"[1]، حتى استشهد عند حاجز البلدة كسائر من سبقه من الفلسطينيين عندما أطلق عليه الجنود النار فأصابوه في ظهره.

بروفيسور ج. ق أستاذ التاريخ بالجامعة العبرية، هو تجسيد لصورة الآخر الايجابيـــة تجاه الحق الفلسطيني في القدس وفلسطين ونقد لاذع للسياسة الاسرائيلية ضد الفلسطينيين فهو " توصل حتى إلى رفض الصهيونية وتشبيهها بسيئة الذكر سيدة المحارق، وهو يقول علنا أن أولاد مستوطني الخليل أشبه بشبيبة هتلر (لعنه الله هو الآخر)... وقـــد اقتـــرح مـــرة علـــى الفلسطينيين أن يجعلوا من الجامعة العبرية سجنا بعد العودة إلى حدود العام 67"[2].

برزت شخصيات أخرى في الرواية منها: أسرة أبو جابر وابنه جابر وزوجته، والعم جبران، ثم هناك شخصية أحلام، وداني وسامر وصافي وهم شريحة من الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في الجامعة وعكس كل منهم واقع مجتمعه وما يحدث فيه، وهناك أيضاً خالها مسعود الشدياق وابنته فلسطين، وحامد، وزين العابدين، أما بائع العسل، والطفل بائع الكعك، السائحة الأجنبية وهم شخصيات التي قابلته عائشة على درجات باب العامود وعكس تنوعهـــا تنوع القدس ونقل صورة لما تعايشه المدينة، مثلت هذه الشخصيات محرك للعمل الروائـــي،

[1] مهنا، علاء مفيد: **مقدسية أنا**، ص 68

[2] المصدر نفسه، ص 210

وانعكاس لواقع المجتمع وما يحدث فيه من تفاعلات فكرية واعتقادية وسياسية واقتصادية أبرزتها هذه الشخصيات وألقت بظلالها على واقع مدينة القدس.

في رواية " قلادة فينوس " اتخذ عنوان الرواية دلالة إشارية، تدور في فلكها الأزمنة والأمكنة والشخوص والأحداث جميعها، واستخدمت فينوس وما تمثله شخصياتها من رموز أسطورية خاصة، حين عكست شخصيات تميزت بصفات أسطورية، فمن بداية عنوان الرواية ظهرت شخصية " فينوس " الأسطورية، والتي هي رمز لمفتاح الحياة، وهي رمز للحب والجمال، عكست صفاتها الأسطورية على شخصيات الرواية الرئيسة.

ريما وديما الشخصيتان الرئيستان في الرواية، وهما فتاتان من القدس، تعكسان صورة للمرأة المقدسية المثقفة والتي هي على درجة من الوعي، ريما مهندسة وفنانة ترسم اللوحات، عاشت حياتها بعيد عن أسرتها بسبب رفض زوجة أبيها لها، تزوجت ولكن زوجها تركها، ثم توفيت في ظروف غامضة بعد حياة حافلة بالأحداث، وريما هنا هي انعكاس لصورة القدس وما تعانيه من تمزق بعد أن تكالب عليها الأعداء وحتى الأصدقاء فهي اليوم ضحية ممزقة تعاني وتنزف وتتألم دونما معين يقف إلى جانبها ويساعدها، " كنت أنا والقدس في كل لوحة أرسمها"[1]، ولم يعملوا من أجل حمايتها والدفاع عنها، تعرضت للمعاناة والقهر والقتل حتى سقطت.

في سياق آخر ظهرت الشخصية الرئيسة الأخرى وهي ديما والتي تعمل محامية في رام الله، عاشت في القدس ثم تزوجت وعاشت خارج القدس مما أفقدها حقها في الاقامة بسبب سحب هوية القدس منها، فلم تعد إليها إلا عند سماعها خبر وفاة صديقتها ريما، ديما هي رمز لصورة الفلسطيني العائد إليها متحديا الصعوبات والخوف، ليبحث عن قدسه وما فعله المحتل بها، وليقف مفندا المزاعم الكاذبة التي يروجها الآخر، عادت لتبحث عن طيف صديقتها " بعد خمسة وعشرين عاما من الفراق بيني وبينها، عادت إلي من جديد "[2]، هذه هي القدس التي

[1] الجنيدي، أماني : **قلادة فينوس**، ص 89

[2] المصدر نفسه، ص 5

حضرت من خلال شخصية ريما وأبرزتها ديما بقولها: " عادت صوتاً. حضر صوتها بكل نوتاته الحزينة . أحفظه عن ظهر قلب، نغمه هادئ، ممزوج ببحة جريحة. يستقر في السمع، لا يرحل. كان صوتاً أسمعه بوضوح، في كل لحظة. كان وكأنه الآن، يقهر، يسيطر على بقيتي. ليس حلماً... أطل من الشباك تتحسس عيني المكان، أفتش عنها في الأشجار، بين الغيوم، عند القمر، قرب الشمس، في ثكنات الغيب، بين خيوط الأشعة الآتية من القبة الذهبية، لا أجدها. " [1]

شخصيات ثانوية وردت في الرواية منها أم أمين، والدة ديما، جدة ريما، الخياطة الأرمنية، زملاء ريما في العمل، وجابر، الخياط المغربي، أم عامر، راجي، وكميل، وكلهم عكسوا الواقع المؤلم الذي عاشته ريم بينهم في القدس، هم رمز للمجتمع في القدس بما حمل بعضهم من نفاق ورياء، للتصور الكاتبة أنهم لا يستحقون القدس، وهم رمز لشباب ضاع أغرقه الاحتلال في الرذيلة في إشارة إلى سياسية الآخر تجاه المقدسي وأحلامه وآماله.

زوجة والد ريما وابنتها هما في الأصل يهوديتان عاشتا في حارة اليهود في دمشق ثم قدمت الأم مع والدها إلى القدس، أبرزت من خلالهم الكاتبة نظرة الآخر، فعندما " كانت حاملاً بابنتها. عادت إلى حارة اليهود غاضبة تصب كرهها على كل عربي، ولدت ابنتها وأرضعتها عبارة: أبوك طلقني بسبب ديني، انهم يرفضوننا، صارت تكرر: أنا وابنتي ننتمي إلى أرض الميعاد. هناك أستطيع أن أدوسهم، أنا أكره كل عربي مسلم"[2]، هذه المرأة هي صورة للآخر داخل المجتمع المقدسي وما يحمله من فكر تجاه المقدسي والفلسطيني، وصورة أخرى من صور الصراع داخل القدس.

أما ليلى الأطرش فقد قدمت في روايتها " مرافئ الوهم " صورة القدس من خلال شخصيات نسائية عكست هذه الصورة، الكاتبة من خلال هذه الرواية أبرزت " (أدب

---

[1] الجنيدي، أماني : **قلادة فينوس**، ص 5

[2] المصدر نفسه، ص 94

المواجهة) مواجهة العادات والتقاليد والأعراف، والمعتقد الديني، والفكر السياسي المتسلط "[1]، وكانت الشخصية الرئيسة متمثلة في شخصية شادن الراوي، والتي ظهرت في الرواية صحفية وإعلامية فلسطينية تقيم في القدس، تنقلت في عملها في مراكز وصحف مقدسية عديدة، شخصية متمردة، أحبت المقدسي كفاح أبو غليون، هي رمز للقدس بكل تمردها وتنوعها وانفتاحها، أحبت بإخلاص ، وقفت أمام العادات والتقاليد في طريق اكتمال هذا الحب، عاش هذا الحب الذي ارتبط بالقدس داخلها أينما رحلت.

محمود أبو طير محامٍ مقدسي أحب شادن الراوي، وارتبط بها، عكس هو الآخر صورة المقدسي المثقف وصاحب التجربة والثقافة الواسعة . أما شخصية كفاح أبو غليون وهو مسيحي، كان يعمل سكرتيراً لتحرير إحدى المجلات المقدسية، أحب شادن الراوي وأراد الزواج منها، ولكن الفرق بينها في المعتقد الديني حال دون ذلك، هو يمثل بالنسبة لشادن معادلا للقدس وحبها الكبير الذي لا تنساه أينما ذهبت.

وهناك أسماء لشخصيات مقدسية أخرى، منها والدة شادن وشقيقتها، وأشقاؤها أسيل ومؤنس، وهشام الديراني، وعاصم والي، وشخصيات أخرى كانت شاهدة على حب كبير للقدس وتعلقها بمن أحبت، وعكست واقع القدس وما يحدث في عالم الثقافة والصحافة.

شخصية القائد عبد القادر الحسيني برز في رواية " الجذور " لحليمة جوهر، وهو من الشخصيات القيادية التي ظهرت في القدس حين تحدثت عنه الكاتبة ووصفته في الرواية بالتواضع عندما " ساعد القائد ورفاقه في هذه الأعمال البسيطة حين نزلوا إلى الأرض المزروعة حول قناة المجاري، وساعدوا في إزالة الأعشاب وسقاية المزروعات، وسرحوا مع الرعاة إلى المراعي البعيدة "[2].

---

[1] خواجة، علي: **في استنطاق عنوان مرافئ الوهم انموذجا** ، **مؤتمر الأدب النسوي في فلسطين**، بيت لحم: مركز الأبحاث جامعة بيت لحم، 2010 م، ص 97

[2] جوهر، حليمة: **الجذور**، ص 47

وبرزت كذلك شخصية البطل مرجان الذي كان يقيم في أحد التجمعات البدوية حول القدس، هو رمز للمناضل الثائر الذي استشهد في جبل المكبر دفاعا عن القدس والمقدسات فيها ودال على توحد أبناء القدس في دفاعهم عنها.

أضافة إلى شخصيات أخرى تناولتها الرواية منها شخصية حمدان أبو مرجان، وهو بدوي يمثل الأصالة التي يحملها داخل المجتمع البدوي، حيث قام بتوصيل السلاح للثوار في القدس، ودخل في مواجهة مع الانجليز مما أدى إلى استشهاده، وكان استشهاد بطل الرواية مما أحدث خللاً في بنيتها الأدبية، حيث يسبب ذلك ارباكاً للقارئ في الاستمرار بمتابعة الرواية بشخصيات أو بطل آخر.

رواية " المسكوبية " لأسامة العيسة، ظهر فيها عدد كبير من الشخصيات مثلت شريحة من المجتمع المقدسي داخل سجن المسكوبية شخصيات حملت دلالة تاريخ النضال الفلسطيني، وشخصيات أخرى عكست الحاضر الثوري، شخصيات حملت دلالة النضال والصراع المستمر والمتواصل من جيل الى آخر.

الشخصية الرئيسة في الرواية هي شخصية الراوي الذي سرد أحداث الرواية كما عاشها، رمز للحركة الأسيرة في سجون الاحتلال، ليمثل واقع السجناء الفلسطينيين الذين يقبعون خلف قضبان السجن، رمز للذاكرة الفلسطينية عبر تاريخها النضالي، وما تلاقيه من ألوان التعذيب والمعاناة المختلفة داخل السجون من أساليب التعذيب الجسدي والنفسي، كما عكست هذه الشخصية صورة للسجناء المقدسيين بشكل خاص لتصور من خلالهم التاريخ النضالي في مدينة القدس، وما تتعرض له من انتهاكات مستمرة.

من الشخصيات الثانوية والتي ظهرت في الرواية ومن الذين تعرضوا للسجن والتعذيب داخل السجون ومنها سجن المسكوبية، وهم أحمد سعادات، ونجاتي صدقي ، وأكرم زعيتر، ، وجبرا نقولا، وخليل بيدس، أظهرت هذه الشخصيات الأهمية الثقافية والفكرية للقدس في قلب العالم العربي كون هذه الشخصيات منها ما هو من بلاد عربية أخرى منهم

محمود الأطرش ، واستهداف المدينة المقدسة كمكان وبشر من قبل آلات الاحتلال التي كانت تتعاقب على المدينة.

كما مثل تنوع هذه الشخصيات في السجن أو خارجه ممن شاركوا في المقاومة، دلالة التوحد بين أطياف المجتمع المقدسي على اختلافهم الديني والثقافي والطائفي على قضية واحده وشعب واحد، ودلالة على فشل المحتل في محاولة الايقاع بأبناء القدس، فحتى أبنـــاء الليـــل تحولوا إلى النضال كما فعل محمد الجابري عندما قتل جنديا كان يقوم بمضايقة سكان القدس، كما كان هناك النور منهم آمون النوري، والأحباش، والمسيحي وهم جـــورج أبـــو شـــماس وريتشارد زنانيري، واليوناني أنطون، وسكان البراري وهم البدو الذين كانوا يقيمون حـــول القدس.

أبو نهاد يهودي شرقي كان يقوم بالتحقيق وتعذيب المعتقلين داخل سجن المســـكوبية، أبو فهد الضابط اليهودي العراقي، كانت أسماءهم هذه بالطبع غير حقيقية تستخدم في التحقيق، وهم رمز للغطرسة والعنف الصهيوني ضد المقدسيين داخل سجن المسكوبية، ممثلين اشـــارة واضحة على ما تحمله نفسية الآخر من حقد وصراع مرير مع الأنا.

وهاري غولدمان اليهودي المتطرف الذي فتح النار على المصليين داخـــل المســـجد الأقصى العام 1982 ، واستشهد عقب ذلك الحاج محمد صالح اليمان، والشاب جهـــاد بـــدر، ادخل سجن المسكوبية بعد ما قام به في الحرم القدسي، هو رمز للتطرف والعنصرية اليهودية التي تمارس على الأرض الفلسطينية بشتى الوسائل.

أتت الرواية على ذكر بعض رموز الحركة الأسيرة الذين استشهدوا تحـــت التعـــذيب داخل سجن المسكوبية، أبو جلدة والعرميط ألقاب لشهيدين حملا رمزا للمقاومة الفلسطينية ضد الانتداب البريطاني، فالقدس على مر التاريخ مثلت رمزا للمقاومة ضد المحتل، قاسم أبو عكر وصالح أبو لبن وآمون النوري جميعهم من القدس واستشهدوا تحت التعذيب داخل المسكوبية، مثلوا جيلا جديدا من المقاومة.

أبو العلم اسم مستعار كالعديد من شخصيات هذه الرواية هو رمز للمقاومة في القدس ضد الاحتلال الإسرائيلي للمدينة، شارك في حزيران 1948 م في المعارك التي وقعت في القدس، بدا كذاكرة تروي قصص المقاومة في القدس وما حدث للمدينة بعد احتلال اليهود لها من تهجير لسكانها، وهدم حارات بأكملها مثل حارة المغاربة، وحارة الشرف التي أصبحت تسمى حارة اليهود.

أما أبو عوض من العشائر البدوية، التي تقطن برية القدس " قدر له أن يكون شاهدا على ملحمة العصف بالمكان الفلسطيني، واستحداث قوة جغرافية جديدة بقوة الحديد والنار"[1].

يوسف العيلة في روايته " قصة حب مقدسية " قدم مزيجا من الشخصيات الواقعية والتاريخية للوصول إلى المدينة عبر هذه الشخصيات، برزت شخصية أحمد المقدسي وأسرته وحسن الصفافي وهما من الشخصيات التي روت تاريخ المدينة في هذه الرواية وما وقع فيها من أحداث.

كما برزت شخصيات نسائية في الرواية حيث رمزت لأحداث سياسية عكست واقع القدس السياسي، فميسون الضامن المسلمة التي أحبها المقدسي وأراد الارتباط بها، هي رمز للقدس التي أحبها وتمسك بها، وهناك شخصية جوانا ربنسون الانجليزية وهي رمز للاستعمار الانجليزي للقدس وفلسطين، تقاطعت هذه الشخصية مع شخصية راخيلا مزراحي وهي رمز لليهودي المحتل بكل أطماعة ونواياه التي لم يلتفت لها أحد مع بداية أطماع اليهود في فلسطين حيث أن " حكايتي مع جارتنا راخيلا مزراحي فكانت مختلفة، لم تكن تثير اهتمامي الشديد حتى عام 1967 حين خسرنا حرب حزيران... كانت تبدو لي فتاة مهذبة... وكأنه ليست من قبيلة غزت القدس"[2].

وأطلت شخصية جورجيت خوري الفتاة الشامية التي ألتقى بها أحمد المقدسي وأحبها، جورجيت هي رمز للأنظمة العربية وعلاقتها بالقدس لأن " دمشق هي المدينة الأثيرة إلى قلب

[1] العيسة، أسامة: **المسكوبية**، ص 125

[2] العيلة، يوسف: **قصة حب مقدسية**، ص 132

صلاح الدين الذي مر بها ورحبت به أثناء نقله المنبر من حلب إلى دمشق... هي اليوم عاصمة القائد صلاح البيطار الذي وعدنا بتحرير فلسطين من الغاصبين والإنسان العربي من قيود الاستبداد والتبعية للآخرين"[1].

[1] العيلة، يوسف: **قصة حب مقدسية**، ص 49

الفصل الثالث

الآفاقُ الرمزيةُ للدوالّ اللغويـة

الفصل الثالث

الآفاق الرمزية للدوال اللغوية

توطئة

تطور مفهوم الرمز عبر التاريخ، فمن مجرد إشارات متفق عليها تستخدم للتخاطب بين الأفراد، إلى دورها في مجال الأدب وتحولها من اللغة العادية الشائعة بين الناس إلى لغة لها مدلولاتها الخاصة، فحمل اللفظ القليل عبر هذه الرموز معاني كثيرة تحمل دلالات مختلفة يحددها ويكشفها السياق الأدبي الذي ترد فيه، ويساهم في نقل المتلقي إلى عوالم أوسع وأشمل وبالتالي تفتح فضاءً فسيحاً للعمل الروائي بكافة عناصره منها الزمانية والمكانية، وتحديد مفهوم الرمز يحمل مفاهيم متعددة ومختلفة ؛ ويعود السبب في ذلك أن الرموز غير محددة لكثرتها واختلاف تفسيرها واستخداماتها وتغير مدلولاتها من فترة زمنية إلى أخرى وفي أعمال أدبية متنوعة . [1]

تحدث القدماء من علماء البلاغة عن الرمز وعدّوه نوعاً خاصاً من الكناية " فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزا، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية"[2]، ثم برز الرمز اتجاه في الأدب بعد ظهور المذهب الرمزي في الغرب، وبدأ الكتّاب ابرازه في أعمالهم الأدبية " كونه أدباً جديداً يتسم بالغموض وخفاء الدلالة، وهو ما يتفق مع رغبات الطلائع المثقفة، التي من أجلها اتخذت من الرمزية منفذا للتعبير عن الواقع المهزوم، بأسلوب الإيحاء والإشارة وعبر وسائل أسلوبية غير مباشرة. " [3]

استخدم الرمز في المعالجة الأدبية لما يمتلكه من قمة الإيحاء، لتوضيح فكرة أو موقف وللمساهمة في تفسير المعنى العام خاصة في الرواية التي تعتمد الرمزية الخالصة، وحملت

---

[1] ينظر، أحمد، محمد فتوح: **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**، ط 2، القاهرة: دار المعارف، 1978 م

[2] القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع**، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003 م، ص 23.

[3] خلف، جلال عبد الله: ***الرمز في الشعر العربي***، **مجلة ديالي**، جامعة ديالي، ع 52، 2011، ص 123

الرمزية في الرواية أهميتها لما في دلالاتها من قدرة على توصيل الأفكار وتوضيح المعـــاني والمواقف المختلفة التي لا يعبر عنها بشكل مباشر[1].

كما برز " استعمال الرمز في مورد التعبير غير المباشر عن الأشياء، أو التعبير عن شيء بشيء آخر يدل عليه، والتعبير بالرمز هي وسيلة لحمل الرؤى والأفكار، والتعبير عـــن الوجدان الداخلي الذي يعيشه الشاعر تجاه موضوعه، فهو أداة تصوير كاشـــفة عـــن طبيعـــة التصور، ومعادل خارجي لما انطوى في داخله من أحاسيس"[2].

والايحاء بالرمز يقدم صورة عميقة ومؤثرة لما يريد أن يقوله الكاتب، قد لا يحققهـــا الافصاح عنها بشكل مباشر، " فالرمز هو المرحلة الأخيرة للصورة، ووظيفة الرمز أن يحيلنا باستمرار إلى ما يرمز إليه"[3]، أي أن الرمز يجب أن يخدم العمل الأدبي، ويساهم في تعزيـــز جماليته وإيصال الفكرة بشكل غير مباشر.

فالمستوى الرمزي يقدم "الدال " من خلال مدلول أدبي جديد يعود على المعنـــى ومـــا يحمله هذا المعنى من ألوان وظلال مختلفة، هي خلاصة فكرية، ووسيلة فنية يتم من خلالهـــا التعبير عن الفكرة التي يريد إيصالها، وهي وعاء يحمل ما يريد الكاتب إيصاله للمتلقي بشكل غير مباشر، كما يساهم الرمز في تقديم معان مختلفة للكلمة، وتقديم أبعـــاد وألـــوان متعـــددة الدرجات، لإيصال فكرة أو الوصول لهدف بصور غير تقليدية، فالأم رمز للـــوطن والشـــيخ رمز للدين، والزيتون رمز للسلام وهكذا.

والرمز في الرواية " يعد شكلا من أشكال التعبير المجازي، والبنية اللغويـــة الفوقيـــة مجرد غطاء فني للبنية التحتية التي تحتاج إلى قراءة وفهم عميقين"[4]. وعليه " فالرمز شـــبيه

---

[1] ينظر، أبو أصبع، صالح: ***رمزية الدلالة في رواية القضية الفلسطينية***، **شؤون فلسطينية**،ع: 40، 1981 م، ص 15

[2] حنطور، أحمد محمد: ***التعبير بالرمز في الشعر العربي المعاصر***، **مجلة بيادر**، ع 18، 1996 م، ص 77

[3] طرابيشي، جورج: **رمزية المرأة في الرواية العربية ودراسات أخرى**، بيـــروت: دار الطليعـــة للطباعـــة والنشـــر، 1981م، ص 98

[4] حطيني ، يوسف، **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، ص 208.

بالاستعارة المكثفة والمتواصلة"[1] التي تعكس جوانب جمالية للنص يسعى فيها المتلقي لكشف هذه الجوانب، مما يخلق متعة خاصة في القراءة.

ويحمل الرمز شكلا من أشكال الصورة الفنية حين تكون " المرحلة النهائية للصورة هي التي توحي بالشيء الذي ترمز إليه، وهذا الإيحاء لا يتأتى بواسطة تشابه في المظاهر المحسوسة بين الصورة المجردة والشيء، بل بواسطة علاقات بينهما مثل الانسجام والتناسب"[2].

ولا بد أن يكون هناك اقتران وتقارب وإيحاء بين الرمز والمرموز له لتوضيح المعنى حيث " أنك ستعرف الكلمة عن طريق ما يصاحبها "[3]. لأن وجود علاقة بين الرمز والمرموز له يكشف عن الفكرة ويساهم في إيصال الصورة التي يسعى الكاتب للوصول إليها، كما أن القرائن التي تربط بينهما تساهم في عملية الإفصاح، فالسياق الذي يرد فيه الرمز يحدد خصائصه ودلالاته المختلفة كما يبين علاقته برمة العمل الأدبي، والفكرة التي يسعى الأديب لإيصالها للمتلقي.

1.3 الرمز في الخطاب الروائي

قبل الخوض في البحث عن توظيف الرمز في الرواية الفلسطينية وخاصة التي تناولت صورة القدس بين طياتها، لا بد من تحديد مفهوم الرمز كما ورد في اللغة، ثم توضيح مفهومه اصطلاحا.

مفهوم الرمز لغة

جاء في محكم التنزيل، في قصة زكريا عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[4] ؛ فالرمز هنا هو" الصوت الخفي الذي لا يكاد

---

[1] ترو، عبد الوهاب، **رمزية التحولات البنيوية والدلالية في الخطاب الاسطوري**، ص 9

[2] كرم، أنطوان غطاس: **الرمزية والأدب العربي الحديث**، بيروت: دار الكشاف، 1949 م، ص 9.

[3] بالمر، روبرت فرانك: **علم الدلالة**، ص 87.

[4] سورة آل عمران، الآية 41.

يفهم"[1]، ومفهوم الرمز عند العرب هو " تصويب خفي باللسان كالهمس، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة بالشفتين والفم، ومنه رَمَزَ يَرمُزً رَمزاً، ورَمَزتهُ المرأةُ بعينها تَرَمُزُ رَمزاً غمزته، وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين"[2].

فالرمز بذلك طريقة من طرق الدلالة، ويكون إما باللفظ أو بالإشارة بأحد الأعضاء باليد أو العين أو الشفتين للوصول إلى الايضاح والإفصاح والبيان، والرمز عند العرب بهذا المعنى هو الإيماء والإشارة التي تنوب عن الكلام.

ويجدر التنويه إلى الفرق بين الرمز والإشارة، فالإشارة تتعلق بالعالم المحسوس المادي، ونشير بها إلى شيء على نحو ثابت ومحدد، أما الرمز فهو جزء من عالم المعاني، ويوحي بأكثر من شيء، حيث يحمل الرمز الواحد معاني مختلفة، والرمز متغير ومتنوع.[3]

وتساهم الإشارة في توضيح الدلالة والإشارة بالمعنى العام " كل شكل أو ظاهرة، تمثل ما هو غيرها أو تشير إليه" [4]، فما يدل عليه بالإشارة يكون أبسط وأوضح، أما ما تدل عليه برمز فيكون أكثر تعقيداً على الفهم لأنه يحمل معاني ودلالاتٍ متشعبة.

مفهوم الرمز اصطلاحا

تحدث القدماء عن مفهوم الرمز وكان أرسطو أول من تناول مفهوم الرمز الفني، وقد اتضح من قوله أن " الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة "[5] فالرمز وسيلة للتعبير عن ما يدور في النفس بشكل غير مباشر.

---

[1] الثعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد: **فقه اللغة وسر العربية**، ت. سليمان سليم البواب، دمشق: دار الحكمة للطباعة والنشر، 1984 م، ص 228

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، مج 5، ص 356، الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج 2، ص 183.

[3] ينظر، حمدان، أمية : **الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني**، بيروت: دار الرشيد للنشر، 1981 م، ص32

[4] العيد، يمنى: **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، ص 324

[5] هلال، محمد غنيمي، **النقد الأدبي الحديث**، القاهرة: دار النهضة، 1979 م، ص 39.

وفي التراث العربي القديم جاء الرمز بمفهومه الإشاري فهو لا يعني في " الأدب العربي القديم الإيحاء النفسي الرحب غير المقيد أو المحدد بل تعني الإشارة، أو التعبير غير المباشر"[1] عن فكرة أو موضع يتم التلميح إليه من غير التصريح عنه.

وما انفك الرمز عند العرب لغوياً إشارياً حتى جاء علماء قدموا له أبعاداً أخرى فأوضحوا مفهومه الاصطلاحي فذكروا أن الرمز " أصله الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم، وإنما يستعمل المتكلم الرمز في كلامه خفية عن كافة الناس والإفصاح به إلى بعضهم، فيجعل للكلمة أو الحرف اسما من أسماء الطير أو الوحش أو حرفاً من حروف المعجم، ويطلع على ذلك الموضوع من يريد إفهامه، فيكون ذلك قولاً مفهوماً بينهما، مرموزا عن غيرهما"[2]، وقد "يكون اللفظ القليل مشتملا على معانٍ كثيرة بإيماء إليها، أو لمحة تدل عليها، وهي لمحة دالة"[3].

فالرمز هو الذي يوحي لنا بما وراء المعنى الظاهر أو ما هو وراء النص، لأن " الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا وراء النص، والرمز هو قبل كل شيء معنى خفي، إنه البوق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالما لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعتم، واندفاع صوب الجوهر"[4].

وقد يبرز الرمز كذلك من خلال الربط بين المعنى الظاهر وما خلفه من ظلال لهذا المعنى فيكون الرمز الذي هو " الدلالات على ما وراء المعنى الظاهري مع اعتبار أن المعنى الظاهري مقصود أيضا"[5].

---

[1] أحمد، محمد فتوح: **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**، ط 2، القاهرة: دار المعارف، 1978 م، ص 8.

[2] بن جعفر، قدامة: **نقد النثر**، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1979 م، ص 61 – ص 62.

[3] بن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**، تحقيق وترجمة: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 155.

[4] أدونيس، علي أحمد سعيد: **زمن الشعر**، بيروت: دار العودة، 1996 م، ص 160.

[5] عباس، احسان: **فن الشعر**، بيروت: دار صادر، 1996 م، ص 200.

واللفظ هو أساس الرمز فهو الذي يحمل المدلولات ورموزها المختلفة لأن " الكلمات رموز لمعاني الأشياء، أي رموز لمفهوم الأشياء الحسية أولاً، ثم التجريدية المتعلقة بمرتبة أعلى من مرتبة الحس "[1].

إن انتقال الرمز من معناه الحسي العادي إلى معانٍ أدبية أعمق هو الذي يكسبه أبعاد ودلالات جمالية تثري العمل الأدبي، وتمنح النص آفاق أوسع للتعبير عما لا يريد الافصاح عنه بشكل مباشر، وما يريد إيصاله من أفكار بعيداّ عن المباشرة التي قد تفقد النص جماليته.

قد يلجأ بعض الأدباء إلى تفسير رموزه على هامش الرواية أو العمل الأدبي، مما يفسد ذلك على القارئ متعة البحث والاكتشاف، وحرمانه من القراءة الواعية واكتشافه للنص الأدبي وامكاناته الابداعية مما يحرم المتلقي من الاستمتاع في اكتشاف جماليات النص ؛ والسبب في ذلك أن طبيعة الرمز قائمة على الإيحاء والتكثيف، والابتعاد عن المباشرة، واختزال الألفاظ، وتكثيف الدلالة، بحيث يدعوه إلى الانخراط في لعبة الكشف عن الدلالات وما تحمله هذه الدلالات، وكل ذلك يحتاج إلى قراءة واعية وعميقة للكشف عن مدلولاته[2].

ويلجأ الأديب إلى الرمز عندما لا يريد أن يعبر عن ما في وجدانه بشكل مباشر، فيقدم ما يريد قوله بصورة إيحاءات، تثير في نفس المتلقي البحث والدراسة لمعرفة المقصود من وراء هذا الرموز، ليكتشف أبعاداً ومفاهيم جديدة للنص الأدبي.

لأن التعبير بالرمز يساهم في حمل الرؤى والأفكار التي يريد الكاتب إيصالها إلى المتلقي، وابراز التعبير عن الوجدان الداخلي الذي يعيشه الأديب داخل موضوعه، فالأديب الذي يلجأ للرمز " ما زال لم يتخلص بعد من أنظمة القهر والاستبداد والعنف العسكري،

[1] كلاب، محمد مصطفى: **الرمز ودلالاته في الشعر العربي الفلسطيني الحديث**، رسالة دكتوراه غير منشورة، ليبيا: جامعة الفاتح، 2002 م، ص 13.

[2] المصدر نفسه، ص 10.

وانعدام حقوق الإنسان، فلا بد من اللجوء إلى استعمال الرموز والأقنعة والعودة إلى التـــراث والموروث الشعبي أو الاتجاه للتاريخ ذريعة للتعريض والنقد. " [1]

يتميز الرمز بسمات وخصائص وأشكال وصور تميزه داخل العمل الأدبي، إذا عرفها الأديب وأجاد استخدامها تمكن من إيصال أفكاره المختلفة منها السياسية أو الاجتماعية والدينية والتاريخية بشكل سليم إلى المتلقي والتأثير فيه، أما إذا اتجه الأديب إلى المغالاة في الرمـــوز وغموضها أدى ذلك إلى ضياع الهدف وعدم وضوح الرؤية وفقد الرمز قيمته الأدبية.

وتختلف سمات الرمز وخصائصه حيث يعد الإيحاء أحد أهم سماته، لأن الرمز هـــو في أصله الإيحاء بالأفكار والرؤى التي يريد الأديب التعبير عنها والابتعاد من خلال الرمـــز عن المباشرة في التعبير والتي تفقد العمل الأدبي جماليته وقدرته على التعبيـــر لأن " آليـــات الإيحاء ليست مجرد مدركات حسية، بل هي إيحاءات دلالية وجمالية، ترتبط بالحالة الفرديـــة أكثر من ارتباطها بالحالة الجماعية "[2].

ومن أهم ما يميز الرمز هو الغموض، حيث إن الرمز يحمل شـــيء مـــن الغمـــوض الموحي الذي يجب أن يكون مدروسا بطريقة فنية ليتمكن هذا الرمز في ظل هذا الغموض من تحقيق هدفه، والوصول إلى المتلقي ولكن لا بد من تجنب المغالاة في الغموض إلـــى درجـــة الانغلاق والابهام ليصبح العمل الأدبي بذلك عبارة عن نصوص غارقة في الغموض ويصبح الرمز بذلك هدفا وليس وسيلة لإيصال فكرة، ويتم الوصول للدلالة التي يحملها الرمـــز مـــن خلال اعتماده على اندماج الصورة والفكرة وإلغاء المسافة بينهم، فالفكرة هي انعكاس مباشـــر للصورة التي يريد الأديب الافصاح عنها، ومن خلال هذا الدمج ينتج عن ذلك تعددية الدلالة[3].

---

[1] حمداوي، جميل: الرواية السياسية والتخيل السياسي، www.diwanalarb.com، 2007 م.

[2] كلاب، محمد مصطفى: **الرمز ودلالته في الشعر العربي الفلسطيني**، ص 34.

[3] ينظر، ترو، عبد الوهاب: **رمزية التحولات البنيوية والدلالية في الخطاب الأسطوري**، ص 97.

2.3 صور الرمز ومصادره في الأدب

تعددت مصادر التراث الإنساني الذي يستقى منه الأدباء رموزهم التي يتم توظيفها من خلال أعمالهم الأدبية، والرموز لها مجالات واسعة ومتشعبة يستقي منها الأديب ما يريد ويطوع هذه الرموز بما يتناسب مع أفكاره وما يريد ايصاله للمتلقي للإكساب النص آفاق دلالية جديدة بصورة غير مباشرة.

اختلفت أشكال الرموز ومصادرها في الأدب، فيطل الموروث الثقافي والتراث العربي والاسلامي الذي يشكل المنبع الذي يستقي منه الأدباء مادتهم الأدبية، حيث تؤخذ رموز العمل الأدبي مما هو متعارف عليه ومتداول لدى المتلقي فيمكن أن تكون هذه الرموز من التراث " باعتبار هذا الرمز منجم طاقات ايحائية لا ينفذ له عطاء، فعناصر هذا التراث ومعطياته لها من القدرة على الايحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفذ، وعلى التأثير في نفوس الجماهير ووجداناتهم ما ليس لأية معطيات أخرى...، حيث تعيش هذه المعطيات في وجدانات الناس وأعماقهم تحف بها هالة من القداسة والإكبار، لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي... وهو يمثل أكثر الوسائل فعالية وقدرة على التأثير والنفاذ" [1].

ويعد التراث الشعبي أحد أهم مصادر الرمز التي يتناولها الأدباء، لكونها الأقرب إلى الناس وأكثرها التصاقا بحياتهم اليومية وترسخا في ذاكرتهم الجمعية، فمنها الحكايات والأغاني الشعبية والحكم والأمثال والعادات والتقاليد، والتي تمثل خلاصة التجربة الإنسانية.

كما يلجأ الأدباء لاستقاء رموزهم " من الواقع المعيش، حين تتبع الأحداث والأشخاص والظواهر الطبيعية التي حملت رصيداً كبيراً من الدلالات، وتركت أثراً كبيراً في العقول والنفوس، ليجعل منها معادلاً موحياً بما يموج في داخله من رؤى وأحاسيس" [2]. لتعكس الواقع والأحداث السياسية والاجتماعية التي يمر بها الوطن، ودلالة على واقع مؤلم أو أمل يعيشه بشكل يومي.

---

[1] **زايد ، علي عشيري: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، القاهرة : دار العلوم، 1972 م، ص 128 .**

[2] حنطور، أحمد محمد: **التعبير بالرمز في الشعر العربي المعاصر**، ص 97.

كما شكلت الطبيعة مصدراً أخر للرمز، والطبيعة بعناصرها المختلفة منها الأشـــجار والماء والجبال والأودية، والأرض والتراب والصخور وغيرها يسترفد منها الكاتب ما يتوافق مع رؤيته وفكره، حيث يحدد دلالاتها السياق الذي ترد فيه، وقد أحيا الأدبـــاء هـــذه الرمـــوز الطبيعية وأخرجوها من دلالاتها الجامدة إلى آفاق أوسع وأكثر تعبير وحركة.

وهناك عالم آخر للرمز أخذ منه الأديب في كتاباته وهو الحكايات والأساطير القديمة فقد " كانت الأساطير مصدر إلهام الفنان والشاعر وكم بين أيدينا من الأعمال الفنية والشعرية ما هو صياغة جديدة لأسطورة من الأساطير القديمة" [1]، فهو أما أن يأخذ الفكرة أو جزءاً منها ويسقطها على عمله الأدبي لإيصال ما يريد من أفكار.

وعليه مثلت الأسطورة مصدراً آخر للرمز " فالأسطورة نفسها زمرة مـــن الرمـــوز تكمن فيها دلالات معينة"[2]، وتوظيف الأسطورة في الأدب يسهم في إعطاء النص أبعاد دلاليه جديدة تثري العمل الأدبي، لقربها من حياة الناس وترسخها في ذاكرة الشعوب، وهي جزء من فكرهم وموروثهم الثقافي.

ويجسد الكاتب الأسطورة في أعماله الأدبية من خلال " اتخاذ الأسطورة قالباً رمزيـــاً يمكن فيه رد الشخصيات والأحداث والمواقف الوهمية إلى شخصـــيات وأحـــداث ومواقـــف عصرية، أو إهمال شخصياتها وأحداثها والاكتفاء بدلالة الموقف الأساسي فيه بغيـــة الايحـــاء بمواقف أخرى مماثلة" [3].

كما تعد الرموز الدينية الاسلامية والمسيحية وحتى اليهودية مصدراً للـــروائيين فـــي كتاباتهم، منها الآيات القرآنية التي تحمل قداسة خاصة لها تأثير مباشر وقوي على المتلقـــي، والأحاديث النبوية وما تحمله من عبر ودروس والتي لها تأثيرها كذلك من مصادر الرمز، أما القصص الدينية وقصص الأنبياء والتي تحمل بين طياتها دلالات ورموزاً متعددة، ومـــا روي

---

[1] اسماعيل ، عز الدين: **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، بيروت: دار العودة، 1972 م، ص 222.

[2] زكي، أحمد كمال: ***التفسير الأسطوري للشعر الحديث*، مجلة فصول**، مج 1، ع 4، 1981 م، ص 92.

[3] أحمد، محمد فتوح: **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**، ط 2، القاهرة: دار المعارف، 1978 م، ص 29.

من أحداث وخاصة منها ما هو بارز ومتداول، فقد حملت هي كذلك أبعاد موحية استقى الأدباء منها مادتهم الأدبية.

أما الرموز التاريخية القديمة والحديثة فشكلت جزءاً هاماً في الأعمال الروائية، وما اشتمل عليه التاريخ من أحداث وشخصيات وخاصة منها المشهورة والمعروفة بين الناس وحكايات تناقلتها الألسن بالسرد والإخبار، فالأديب " يرى في الحقيقة التاريخية شيئا أشبه بالهيكل العظمي فيكسوها بخياله الفني لحما، وينفخ فيها من روحه الإبداعية، فاذا الحدث التاريخي قد استوى كائناً حياً، جاءنا عبر العصور، ليس على صورته التاريخية الدقيقة، ولكن في الإطار العام للحقيقة التاريخية، فإذا التاريخ بشخوصه وأحداثه قد صار يعايشنا في حاضرنا"[1]، وعليه – والحالة هذه– مثلت المصادر التاريخية مرجعا هاما للعديد من الروايات والكتابات الأدبية.

ولعبت المصادر والثقافة الغربية دورا في إبراز رموز أخرى، أطلت في أعمال روائية مختلفة، منها التأثر بأعمال شكسبير الأدبية، مثل شخصية اليهودي الشيلوكي في " تاجر البندقية"، وشخصيات وروايات بارزة في التاريخ والأدب الأوروبي.

كما أن الأحداث الواقعية والظروف السياسية والاجتماعية وما يتعلق بخصوصية القضية الفلسطينية، والقصص المأخوذة من الحياة ومعاناة الفلسطيني وتجربة الاعتقال والاستشهاد وهدم البيوت وتهجير الفلسطيني من أرض الآباء والأجداد وما يطرأ من تغيرات في مسار القضية الفلسطينية بشكل مستمر انعكس على الأدب وشكل جزءا آخر من الرمز في الأدب، منها أماكن وأزمان وألفاظ جديدة حملت معاني متعددة وواسعة.

3.3 الرمزية في الرواية الفلسطينية

ظهر عديد الاتجاهات الأدبية في الرواية الفلسطينية منها ظهور الرومانسية حين " عاشت الرواية الرومانسية الفلسطينية مرحلة تطور ملموس بعد نكبة 1948 م، حيث واجه

[1] قاسم ، قاسم عبده: ***الشعر والتاريخ***، **مجلة فصول**، مج 3، ع 2، 1983 م، ص 236.

الانسان الفلسطيني مصيرا شائكا، وبدا تحركه الحياتي الصعب، في متاهات التشرد والضياع مما، خلق مادة روائية رومانسية أثرت في دنيا الإبداع الروائي"[1].

ثم أطلت الواقعية كاتجاه في الرواية إلى جانب الرومانسية، في تصوير واقع الإنسان الفلسطيني ومعاناته لتكون الأقرب إلى القارئ، ومع تصاعد المعاناة الفلسطينية داخل الــوطن من تضيق الاحتلال وقمع للفلسطيني، وخارجه من ألم التشرد، بدأت الروايات تحمل اتجاهــا رمزيا لطرح قضايا تحمل مضامين سياسية واجتماعية وثورية بأسلوب مختلف، بالرغم مــن أن الرمزية عرفت قبل نكبة العام 1948 م، منها رواية " مذكرات دجاجة " لإسحاق موســى الحسيني، إلا أن الاتجاه الرمزي في الرواية الفلسطينية لم يعرف فناً أدبياً مستقلاً بنفسه، حيث أن ظهور الرمز في الرواية الفلسطينية جاء مرتبطاً بظروف خاصة إما سياسية، أو دينية، أو اجتماعية، والسبب في ذلك يعود إلى أن مناقشة بعض القضايا الحساسة في هذه الروايات قــد يعرض أصحابها إلى الاضطهاد والأذى [2].

ثم برز في الأدب الفلسطيني ما يعرف " بالواقعية الرمزية، واعتمدت الواقعية الجديدة في طرائق معالجتها في مجال القصة والرواية كليهما على أساليب متعددة للقص، مــن ذلــك أسلوب المعالجة الرمزية، إذ شكل الرمز وسيله فنية لطرح قضايا المجتمع والانسان، وإن بدا هذا الرمز في أغلب الأحيان أقرب إلى الفهم والاستيعاب وإدراك مدلولاته وايحاءاته "[3].

لذا عرفت الرواية الفلسطينية الأسلوب الرمزي، وكتب به عدد من الكُتــاب، ولكنهــا ليست بالرمزية الغامضة وغير الواضحة، لأن الأدب الفلسطيني يحمل في مضمونه رســالة مقاومة وطنية وعرض قضية سياسية يسعى لإيصالها للقارئ.

وبذلك أبرز الأدب الفلسطيني شكلين للرواية الرمزية:

---

[1] عباس، نصر محمد: **الرمزية في الرواية الفلسطينية، دراسة نقدية لرواية الوقائع الغريبة في اختفاء ســعيد أبــي النحس المتشائل** ، ص 108

[2] ينظر، أبو مطر، أحمد: **الرواية في الأدب الفلسطيني (1950 – 1975)**، ص 297 – ص 298

[3] عباس، نصر محمد: **الرمزية في الرواية الفلسطينية، دراسة نقدية لرواية الوقائع الغريبة في اختفاء ســعيد أبــي النحس المتشائل**، ص 117

وهي رواية الرمزية الخالصة وهذا النوع من الروايات لم يكن شائعاً عند الــروائيين، ولعل ذلك مرده إلى أن الروائيين وهم يتناولون جوانب القضية الفلسطينية بوصفها مضـــامين لرواياتهم كانوا يضعون في حسبانهم أن رواية القضية الفلسطينية هي رواية مناضلة... يجب أن تؤدي دورها الجماهيري، وهذا النوع من الروايات يسيطر فيه الرمز على جوانــب بنــاء الرواية كافة ، ويتم التوصل لدلالات الرمز من خلال تفاصيل الرواية وهناك رواية رمزيــة الدلالة وهي تتمثل في استخدام الرمز في جزئيات من الرواية، حيث يوضح الرمــز بعــض المواقف والآراء، من خلال دلالات رمزية تفسرها الرواية [1].

والاستعانة بالرمز " وسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها الكاتب تخلصا مــن المباشــرة التي تؤدي إلى تسطيح الفن"[2]، حيث يساهم الرمز بذلك في تجدد الايحاء وتوسيع أفاق الدلالة وما تحمله من ظلال وأبعاد، وتحويل لغة الأدب إلى لغة خاصة تختلف عما يتحدث به الناس.

وبالرغم مما يساهم فيه الرمز من إضافة جماليات للنص الأدبي وفي ابراز جوانــب ابداعية مبتكرة في الرواية، إذا ما وظف بشكل يخدم البناء النصي، وابتعاد عن الإيغال فــي الرموز المبهمة التي تحول النص إلى ألغاز يصعب فهمها وبالتالي يفقد النص كثيراً من قيمته الأدبية وقدرته على ايصال الفكرة.

وقد كان لجوء الأديب الفلسطيني إلى الرمز بالإضافة إلى الأسباب السياسية والرقابة العسكرية، وخاصة لكونه يعالج قضايا سياسية في الدعوة لمقاومة المحتــل، والكشــف عــن أعماله القمعية التعسفية ضد الفلسطيني فوق أرضه، كان هناك أسباب فنية وأدبية أخرى تتعلق بكون الرمز يعبر عن معاني كثيرة وعميقة بأسلوب موجز، يحمل المتلقي على الانتقال إلــى آفاق واسعة وبعيدة.

---

[1] ينظر، أبو أصبع، صالح: **فلسطين في الرواية العربية**، بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلســطينية، 1975 م، ص 127 – ص 165.

[2] خليل، ابراهيم: **في القصة والرواية الفلسطينية**، عمان: دار ابن رشد للنشر والتوزيع، 1984 م، ص 67.

والرموز وما تحمله من دلالات في الرواية الفلسطينية تدور حول مواضيع محددة كونها تعالج مواضيع متقاربة متمثلة في الصراع مع الصهيونية، وقضية تحرير الأرض من المحتل، والمعاناة اليومية التي يمر بها الفلسطيني من الاعتقال، والنفي خارج الوطن، وتدمير البيوت، وموقف العرب والعالم من القضية الفلسطينية، كلها أمور تأثر بها الكاتب فحولها إلى رموز لها دلالات داخل أعماله الروائية.

كما شكل الاعتداء على المقدسات الدينية وعلى رأسها القدس الشريف وما تتعرض له من تدنيس وانتهاكات مستمرة، وموقف الفلسطيني من الدفاع عن الإرث الديني والثقافي والحضاري في المدينة المقدسة، كلها شكلت رموزاً ودلالاتٍ متعددةَ الأبعادِ عند الكتاب المقدسيين وغير المقدسيين داخل الوطن أو في المنفى.

وبرز الرمز في الرواية الفلسطينية ليظهر معاني جديدة وخاصة، ودلالات مختلفة تكونت بفعل انعكاس حالة الضياع والتشتت النفسي التي يعيشها الفلسطيني بسبب مأساوية الوضع القائم، وقتامة الرؤية، وعدم وضوح الهدف، وضياع طرق الوصول إليه، وتبعا لتفرد القضية الفلسطينية بظروفها السياسية ومفرداتها الخاصة من الاستعمار والاحتلال والثورة والمقاومة والنضال والاستشهاد والسلام والأم والزيتون والمخيم وحتى التراب والصخور والأرض.

فالرمز إذا ما تم توظيفه بشكل فعال فهو خادم للقضية التي يطرحها الكاتب ويمكنه من ايصال الفكرة للمتلقي وبذلك يحقق الأدب غايته، فرواية القضية الفلسطينية هي رواية مناضلة مشبعة بدلالات خاصة، كما تعكس رموزها السياسية والثقافية والاجتماعية والتاريخية معاني تجسد الوضع الراهن الذي يعيش الفلسطيني داخله ويصف معاناته، ويقدم معاني متعددة داخل اطار الرمز الواحد، تقع كلها ضمن اطار المفاهيم النضالية للقضية الفلسطينية وتشعباتها الفكرية المختلفة.

4.3 رمزية الدوال الدينية

اختلفت الرموز الدينية في الروايات التي تناولتها الدراسة، ولكن ما سيتم التركيز عليه منها ما يتعلق بصورة القدس الدينية بأقصاها وقيامتها ومساجدها ومآذنها وكنائسها والمواسم الدينية والطرق الصوفية، وما عايشه هذا المكان المقدس من معراج النبي الكريم ورحلة نبي الله عيسى عليه السلام عبر حاراتها وأزقتها، وحياة رموز دينية عاشت فيها أو مرت منها، وهي يوما كانت قبلة المسلمين الأولى ورمزاً للتعايش الديني.

في روايات ديمة السمان أطلت رموز دينية بين سطور رواياتها، ففي ثنائيتها " وجه من زمن آخر " و" بنت الأصول "، جسدت سيرة السيد المسيح ومعراج النبي الكريم رمزا لقداسة المدينة عند مختلف الديانات حين وصفت الطريق بقولها " هذه طريق الآلام التي مشاها السيد المسيح عليه السلام... حتى أذهب إلى الصخرة المشرفة... من هنا صعد نبي المسلمين محمد– صلى الله عليه وسلم – إلى السماء "[1]، فطريق الآلام التي سار عليها السيد المسيح هي رمز لآلام المدينة ومعاناة أهلها ورحلة عذاب أخرى يعايشها الفلسطيني فوق هذه البقعة المقدسة، أما معراج النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماوات رمز آخر لقداسة المدينة وتكريم الخالق لها، ورمز كذلك للتعدد الديني فيها.

أما موسم النبي موسى، وهو جزء من التراث الديني والشعبي لمدينة القدس، يحتفل به الفلسطينيون منذ ما يقارب تسعة القرون، والذي يُعد مع مواسم دينية أخرى ذو أهمية دينية واقتصادية لمدينة القدس، ففي هذه الأيام تكون القدس قبلة لكافة وفود المناطق الفلسطينية، تصل إلى القدس قبل أيام من بدء الموسم، وتتجمع في البلدة القديمة، وتخرج منها في احتفالات رسمية كبيرة ترفع فيها البيارق منذ أيام صلاح الدين، وتسير عبر طريق القدس أريحا التاريخي، هذا الموسم هو رمز لحدث ديني هام وهو دلالة عل عروبة المكان وأصالته الدينية عبر التاريخ كان ينادى به عند باب المسجد الأقصى المبارك " يا أهل مدينة القدس الكرام.. الجمعة القادمة موسم النبي موسى – عليه السلام – الحاضر يعلم الغائب.. وكل عام.. وأنتم

[1] السمان، ديمة جمعة: **وجه من زمن آخر**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011 م، ص 23.

بخير.. وعلى الجميع أن يكونوا مستعدين لهذا الموسم.. والترحيب بضيوف مدينة القدس الكرام..." [1].

كما ظهر في روايات ديمة السمان رموز دينية مستوحاة من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، لتحمل دلالات رمزية في اطار توظيف الكاتبة للموروث الديني ولتعكس صورة القدس الدينية والتاريخية، وما يحدث فيها عبر فترات زمنية مختلفة.

ففي رواية برج اللقلق بجزأيها الأول والثاني، حمل قول أحدهم " فالدعاء لا يرفع الظلم عن المظلومين.. "وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ".. صدق الله العظيم"[2]، وهي مأخوذة من قوله تعالى ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[3]، استخدم هذا التوظيف القرآني ليعكس صورة رمزية لتدهور للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وصورت الكاتبة الوضع القائم في القدس خلال فترة الحكم العثماني، وحالة العجز التي مرت بها المدينة المقدسة، واشارة رمزية في الدعوة لاستنهاض الهمم من أجل تحرير القدس والمقدسات، والعمل الجاد والصادق والبعد عن الاتكالية والاكتفاء بالدعاء فقط.

كما وردت رموز دينية أخرى منها المائدة التي أنزلها الله تعالى على قوم موسى عندما تاهوا في الصحراء جنوب فلسطين بعد خروجهم من مصر، جاء ذلك على لسان عبد الجبار عندما قال لنفيسة " أطير خلفه إلى السماء.. فيطمئن قلبي حين أرى أن هذه المائدة تهبط علينا من السماء"[4]، وهذه الاشارة هي بمثابة رمز آخر على سوء الأحوال الاقتصادية وشدة الفقر الذي مرت به المدينة زمن الحكم العثماني وسخرية من الوضع القائم على عدم امكانية وجود من يقدم العون حتى في أبسط الحقوق في توفير الغذاء، في أي بيت مقدسي في

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **وجه من زمن آخر**، ص 151

[2] السمان، ديمه جمعة: **برج اللقلق** ج 1، ص 161

[3] سورة التوبة، الآية 9

[4] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج 1، ص 142

ذلك الزمن، أما رمزية المائدة فهي إشارة إلى بني اسرائيل وجبروتهم وكفرهم وطغيانهم على أنبياء الله، وهم رمز كذلك للمحتل الصهيوني الذي مهد الاستعمار البريطاني لقدومه.

كما كان هناك إشارة إلى الظروف الاجتماعية التي عاشتها القدس خلال تلك الفترة، من انتشار الخرافات وهي الحالة التي تكررت في رواياتها، عندما قال أبو الطاهر حول علاقة عبد الجبار بالجن عندما قام يحرص المحطبة خارج أسوار القدس: " دعونا من المزاح.. سمعت الكثير حول هذا الموضوع.. ولكن كيف؟؟ الجان من نار ونحن من طين؟"[1].

وردت هذا الدلالة الدينية في قوله تعالى ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾[2]، "فهي تعبر عن الحالة النفسية التي آلت إليها أوضاع الناس في ذلك الزمن، وبأن الكثيرين كانوا يحيون الظواهر الغريبة، التي لا يجدون تفسيرا لها إلا عند الجان، والغريب أنهم كانوا يفسرون قدرات الرجال الشجعان بأنهم من أبناء الجن"[3]، هي رمز أيضا لحالة العجز والخوف من المجهول وعدم قدرة الناس على مواجهة العدو وتقوقعهم داخل ذواتهم، وتفسير كل ظواهر عجزهم لأسباب خرافية للهروب من مواجهة الواقع، وعدم رغبتهم في التغيير.

وفي قصة سيدنا يوسف التي جاءت تحمل دلالة رمزية لأحوال القدس، والصراع القائم بين العائلات المقدسية من أجل الزعامة والسيادة على المدينة المقدسة وأحيائها، ورد ذلك على لسان عنبرة زوجة سليم العطار " فوالله لولا ارادة الله أدركتك لكنت الآن تقبع في غياهب الجب كما فعل أولاد يعقوب بأخيهم يوسف"[4]، أنه رمز للصراع بين الأشقاء داخل مدينة واحدة بسبب الجهل، ودعوة للوحدة الوطنية للتغلب على الانقسام الداخلي.

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج 1، ص 44

[2] سورة الرحمن، الآية 14-15

[3] الجندي، سمير: **الرواية الفلسطينية والتراث – روايات ديمة السمان انموذجا**، القدس: دار الجندي للنشر والتوزيع، 2011 م، ص 88

[4] السمان، ديمة جمعة: **الضلع المفقود**، ص 31

والحديث عن الصراع الدائر في المجتمع المقدسي، ظهر من خلال مقولة عياش لأبناء عائلته:

"كنتم كثرة فأصبحتم قلة بعد أن حصدت الحرب رجالكم..

كنتم أغنياء فأصبحتم فقراء بعد أن أخذت الحرب أموالكم..

كنتم كبارا فأصبحتم صغارا نتيجة سوء أعمالكم.." [1].

ورد هذا المعنى في سياق الآية ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ [2]، حملت مقولة عياش رمزية دينية أشارت إلى عواقب الصراع المقدسي، ورمزية إلى التحذير من الصراع الداخلي، كما عكست واقع ما آل إليه حال الناس بسبب هذه الصراعات من قتل وسفك للدماء.

لقد رمزت حادثة معراج النبي الكريم من فوق الصخرة المشرفة إلى السماوات العلا، رمزت إلى عظمة وقداسة القدس التي هي قبلة المسلمين الأولى، ومهد الديانات السماوية، فللقدس عظمة ورمزية دينية وقداسة خاصة تميزها عن كافة مدن الأرض هي مدينة الديانات السماوية.

كما ورد ذكر لبعض القصص القرآنية منها قصة أبرهة الأشرم الذي حاول هدم الكعبة عام الفيل، حيث استخدمت هذه القصة كرمز لاعتداء المستعمرين على القدس، وأن الله تعالى سيحمي بيت المقدس كما حمى الكعبة من قبل، ولكن الكاتبة هنا وظفت القصة توظيفا سلبيا في وجه المتواكلين في الدفاع عن القدس ينتظرون أن تسقط عليهم حجارة من سجين لتدفع الغاصبين عنها.

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **الضلع المفقود**، ص 128

[2] سورة التوبة، الآية 25.

فعبر " طريق الآلام التي مشاها المسيح عليه السلام.. معذبا مهانا من بنـــي قومـــه.. ومن هنا صعد نبي المسلمين محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى السماء"[1] للقدس هنا عظمـــة ورمزية دينية خاصة هي مدينة الديانات السماوية، حملت بذلك رمزية وقداسة خاصة.

تكررت الإشارة لذكر المواسم الدينية التي كانت تقام في القدس منهـــا موســـم النبـــي موسى الذي ورد في أكثر من " يا أهل مدينة القدس الكرام.. الجمعة القادمـــة موســـم النبـــي موسى – عليه السلام – الحاضر يعلم الغائب.. وكل عام.. وأنتم بخير.. وعلـــى الجميـــع أن يكونوا مستعدين لهذا الموسم.. للترحيب بضيوف مدينة القدس الكرام"[2]، رمز ذلـــك للمكانـــة الدينية للقدس، ويوم من أيام المدينة يحمل قيمة دينية خاصة حيث يتشارك المقدســـيون فـــي إحيائه والترحيب بضيوف المدينة المقدسة وهو جزء من التراث الديني والسياسي والحربـــي للمدينة، في عرض لقوة القدس وما حولها وهيبتهم وهو " من المواسم التي اســـتحدثت زمـــن صلاح الدين الأيوبي لأهل القدس وأعمالها الذي جمع له قرى بني مالك وجبل القدس والوادي وعززهم بجبل الخليل ونابلس الذين يردون متعاقبين إلى القدس مع أسلحتهم ومؤنهم وذخائرهم استعدادا للطوارئ "[3].

في روايتي عزام أبو السعود " صبري " وحمام العين "، مثل المسجد الأقصى رمـــزا دينيا للعرب والمسلمين على مر التاريخ، تشد له الرحال، ومن لم يستطيع الوصول إليه ليرسل زيتا لينير به قناديله كما جاء في الحديث النبوي الشريف " أرض المحشر والمنشـــر، ائتـــوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره، قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليـــه؟ قال: فتهدي له زيتا يسرج فيه "[4]، في اشارة واضحة إلى عظمة هذه البقعة المقدســـة، فـــأبو محمود قرر الذهاب بعد عودته من الحرب " للصلاة في المسجد الأقصى، وقضاء نذر وعد به

[1] السمان، ديمة جمعة: **وجه من زمن أخر**، ص 23

[2] المصدر نفسه، ص 151

[3] العارف، عارف: **المفصل في تاريخ القدس**، ج 1، القدس، مطبعة المعارف، 1961 م، ص 176 – ص 177

[4] ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد: **المسند في الحديث الشريف**، مج 10، تحقيق أحمد شـــاكر وحمـــزه الـــزين، القاهرة: دار الحديث، 1995 م، ص 615

وهو أن يقدم بعض الزيت لتوضع في قناديل المسجد الأقصى من جهة، ويوزع ألف رغيف خبز في القدس لعودته سالما من الحرب"[1]، وهو أول مكان ذهب له أبو محمود بعد وصوله للقدس عندما أخبر الممرضة " أنه سيدخل ليتوضأ وسيذهب ليصلي العصر في الأقصى، ثم يعود للدكتور فؤاد بعد ذلك"[2].

وعاد موسم النبي موسى ليظهر في روايات عزام أبو السعود رمزا دينيا وحدث ديني يحمل دلالة التحدي والصمود في وجه المستعمر، عندما " بدأ موسم النبي موسى هذا العام بعد أيام من تعيين السير (ستورز) حاكما عسكريا للقدس، كان صبري يذهب لاستقبال الوفود المشاركة بالموسم وأعلامهم (البيارق) مثل غيره من أبناء القدس"[3]، وهو الهدف الذي أقيمت من أجله هذه المواسم منذ أيام صلاح الدين، ليصادف أعياد الفصح وقدوم الأوروبيين لزيارة القدس وخوف من الصليبيين والطامعين في القدس.

وقد كان مناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، وأيام الجمع في الحرم القدسي الشريف مناسبات دينية خاصة، حيث يتجمع الناس بأعداد كبيرة من مناطق مختلفة بمثابة مؤتمر يعقد لاستنهاض الهمم من أجل الدفاع عن القدس وحمايتها من الأطماع الصهيونية والاستعمارية مع بداية تصاعد المواجهات وما أعقبتها من ثورة البراق.

أما الآية القرآنية التي رددها أحدهم من سورة الزلزلة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾[4]، فقد وجه الرمز الديني في الآية ليشير إلى بداية أحداث ثورة عام 1929 م وبروز المطامع الصهيونية وكانه زلزال ضرب المدينة المقدسة وقد هرع فيه أهل القدس لساحات المسجد الأقصى لحمايته وتفقده عقب هذا الزلزال.

---

[1] أبو السعود: عزام توفيق، **صبري**، ص 27

[2] أبو السعود: عزام توفيق، **حمام العين**، ص 23

[3] المصدر نفسه، ص 71

[4] سورة الزلزلة ، الآية 1 – 5

أبرزت رواية " كافر سبت " لعارف الحسيني رموز واشارات دينية وردت في العهد القديم، وما يتعلق منها بأرض الميعاد، في دلالة واضحة على أن تغيير أسماء المدن الفلسطينية يعود إلى تفكير عنصري ديني متطرف في احتلال أرض الغير عنوة، وما يدعونه بـأحقيتهم في أرض فلسطين (أرض الميعاد).

كما أطلت صور سلبية للآخر ظهرت من خلال بعض المعتقدات الدينية للتحايل من أجل تحقيق أهداف خاصة، منها ما يسمى " غوي شبات " أي كافر سبت فقد " كان جميع اليهود المتدينين يحافظون على شعائر يوم السبت، والتي تبدأ من يوم الجمعة حتى غياب يوم السبت، وطيلة هذه الساعات ممنوع عليه الإتيان بأي عمل، ومن المفروض عليهم الراحة التامة والعبادة، ومن ضمن الأشياء مثلا أنه لا يمكنهم قيادة السيارات... " [1] ومثلت هذه الوظيفة التي عرضها بنحاسي على بطل الرواية في رمزية تدل إلى زيف الآخر وعنصريته، وإلتفافه حتى على المعتقد الديني للوصول لهدفه.

حتى جاء عنوان الرواية " كافر سبت "، ليكشف حقيقة الآخر المزيفة وما يطلقونه على العرب من تسمية وهو " الأغيار " فعندما جاء أحد اليهود مع مطلع هذا القرن إلى فلسطين وأقام في بيت أحد العرب كتب " أنا اليوم في بيت أحد الأغيار الذين يسكنون أرضي منذ 2000 عام، وقد نام كل من في البيت وأنا الآن أتفقد أملاكي لأتأكد أنهم لم يعبثوا بما هو لي " [2]، فمن بداية معتقدهم الديني في تمسكهم به، والقائم على رفض وجود الآخر، ورفض أحقيته التاريخية بالمكان.

برزت الطائفية الدينية في رواية " مقدسية أنا "والعلاقة بين المجتمعات الدينية ونظرة كل منهما للآخر، وعرضت العلاقة بين المسلمين وأبناء الطائفة الدرزية، والتي كما يرى الكاتب أن جذور الفرقة بينهم يعمل الاحتلال على تغذيتها، وأنهم أبناء شعب واحد، وأن

---

[1] الحسيني، عارف: **كافر سبت**، ص 131

[2] المصدر نفسه، ص 136

الطائفية بينهم غذاها الاحتلال لخدمة أهدافه، وقد برز هذا الرؤية على لسان والـدة عائشة والتي رفضت علاقتها بزميلها إبراهيم البيادر لكونه من طائفة أخرى " قالت: ليس منا !!

- من أي طائف هو ؟ هيا تحدثي.

- درزي.

- صاحت بي درزي ؟ تفاجأ خالي جندي ؟ "[1]

فكان رد الكاتب على لسان عائشة "أنا لن أرضخ لمعتقداتكم وتقاليدكم التي لا أؤمـن بها، أنا لا ذنب لي إن كان درزيا أو بوذيا... يا لنا من مجتمـع طـائفي أنـا لـن أؤمـن بالطائفية"[2].

كما تعرضت الرواية للكشف عن بعض الجوانب الدينية لأبناء الطائفـة الدرزيـة، وتصحيح بعض الآراء السياسية حول رأيهم في التجنيد الاجباري وابرازهم جزء من الأمـة العربية والإسلامية.

عادت القدس لتكون مهد الديانات السماوية في رواية " قلادة فينوس "، فمحـل بيـع التحف المقسم الذي دخلته ديما هو رمز للتنوع الديني في القدس " في قسم تبـاع المصـاحف والمسابح.. وآخر تباع فيه الصلبان ومجسمات السيد المسيح، وتباع في المحل نفسه النجمـة السداسية والشمعدان.. خرجت مستاءة أنظر إلى المكان المسلوبة مكانته"[3]، هي مدينـة لكـل الأديان ولكن واقعها الجديد قد أفقدها الكثير من قداستها، مهد الديانات الثلاث وكنـه المكـان المقدس الذي لم يعد كذلك.

وبرزت القدس في رواية " المسكوبية " لتظهرها مركزا للديانات السماوية وما تبعهـا من طوائف اسلامية ومسيحية، لتحمل المدينة رمزية التعايش بين مختلف الطوائف والأديـان

---

[1] مهنا: علاء مفيد: **مقدسية أنا**، ص 157

[2] المصدر نفسه، ص 158

[3] الجندي، أماني: **قلادة فينوس**، ص 14

طوال عصور طويلة، برز هذا التنوع الديني من خلال مقابلة الراوي داخل سجن المسكوبية أبناء طوائف مسيحية منهم الارثوذكس والأحباش وكذلك قبائل النَور التي سكنت جوانب القدس وغيرهم.

كما مثل الحرم القدسي الشريف رمزا دينيا ذا خصوصية انعكس على حياة الناس السياسية والفكرية، هو رمز مقدس فهناك الأقصى وحائط البراق وسائر الأماكن المقدسة في القدس، هي رمز مواجهة من أصحاب الأرض ضد المعتدين وكل من يحاول المساس بها على مر تاريخ القضية الفلسطينية، وتاريخ الحركة الأسيرة أبرز في الرواية معتقلين وشهداء داخل المسكوبية استشهدوا دفاعا عن المقدسات في القدس.

أما رواية " صورة وأيقونة وعهد قديم " فأبرزت نماذج رمزية دينية من خلال شخصيتي مريم النصرانية وابراهيم المسلم وتفاصيل العلاقة بينهم، " ما يحيل على قصة دينية من قصص الأنبياء، حيث السيدة مريم وعيسى عليه السلام وإرادة الله التي لا ترد"[1].

وترمز هذه المدينة رغم قداستها إلى واقع آخر خالي من أي قدسية عندما فقدت مريم رمز القدس قداستها، فمريم اليوم ليست مريم العذراء أنها مريم أخرى مستباحه، والرموز الدينية في الرواية تفتح أبوابها على الحاضر بكل تداعياته وآلامه، وخيبات وطن تخلى عن أبنائه ورحلوا عن مدينتهم المقدسة، أما هروبا من واقع مؤلم بعد وقع المدينة تحت الاحتلال عقب حرب عام 1967 م، أو للبحث عن تحقق مكاسب مادية، وتركوا مدينتهم تمتهن قداستها، وأعاد الاحتلال العبث بقداستها، وكأنها لم تكن يوما المدينة التي أحبها وتعلق بها.

5.3 رمزية الدوال التاريخية

القدس مدينة تاريخية مهد حضارات وأمم مرت عليها عبر مراحل زمنية من العرب اليبوسيين وما أعقبها من شعوب، شكلها ذلك لوحة تاريخية متكاملة المعالم من الحضارات وفنونها المعمارية والفنية والإبداعية من جانب، وما خلفته من حروب وقتل ودمار من جانب

[1] خليفة، سحر: **صورة وأيقونة وعهد قديم**، ص 7

آخر، تناولت الرواية الفلسطينية الاشارات التاريخية في مدينة القدس ؛ لخصوصيتها الحضارية عبر تاريخ طويل، وما تحمله من دلالات رمزية بقي متراكما داخل الذاكرة الجمعية كشكل من أشكال التمسك بالأحقية في الأرض العربية الفلسطينية، والهوية الفلسطينية، اختلفت الرموز التاريخية وما تحمله من دلالات وخاصة ما يتعلق منها بالقدس، وإن كان هناك تشابه في بعض الرموز التاريخية في هذه الروايات إلا أن الدلالة التي تحملها مختلفة.

واستحضار الأحداث والحكايات التاريخية الملائمة للواقع الذي يعيشه الأديب من جهة والمتلقي من جهة أخرى، حيث أصبحت رواية التاريخ هنا ليس بهدف توثيق هذه الأحداث وسرد تاريخ القدس ، وإنما لإيصال صورة عن واقع المدينة وما آلت إليه، وحمل رمزية خاصة فيها دروس وعبر من التاريخ القديم، ولتعكس من خلالها للواقع الفلسطيني المتأزم سياسيا واجتماعيا.

تحاول الروايات التي ستُدرس استعراض قراءة تاريخ القدس، وتقديم اشرات أثرت في تاريخ المدينة، وما عايشته من أحداث كان التاريخ شاهدا فيها على حياة أمة ومصير شعب ناضل للحفاظ على هويته وحقوقه فوق أرضه، وبقي المكان والزمان دالاً على عظمة أجداد عاشوا فوقها ودافعوا عنها، ولأخذ العبر من التاريخ، والتمسك بما يبعثه من أمل وأصالة في ضوء واقع مؤلم، وضبابية في الرؤية السياسية.

ومن الروايات التي تناولت رموزاً تاريخية للقدس في مضامينها روايات ديمة السمان، من خلال مراحل تاريخية مختلفة شكلت جزءا من التاريخ الفلسطيني وتاريخ القدس، فقد تناولت "في رواياتها مرحلة زمنية طويلة نوعا ما، بدءا من مراحل ضعف الخلافة العثمانية، والسفر برلك، مرورا بالانتداب البريطاني على فلسطين وصولا للاحتلال الصهيوني، معرجة على نكباته المتتالية منذ العام ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف"[1]، حملت هذه الفترات بين

[1] الجندي، سمير: **الرواية الفلسطينية والتراث**، ص 153

طياتها رموزاً ودلالات تاريخية دلت على عراقة وأصالة وعروبة القدس، وأطماع الآخر فيها.

برزت شخصيات تاريخية في روايات ديمة السمان، منها شخصية أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب والقائد صلاح الدين الأيوبي هما رمزان تاريخيان، قاما بتحرير القدس من الصليبيين، هما رمزان تتطلع إليهما الأمة العربية، وترنو عيون المقدسيين إلى يوم تتحرر فيه القدس لعله يأتي يوماً يظهر فيه صلاح دين آخر ليحرر القدس، وترتبط القدس بهذه الرموز التاريخية عندما " وفد الشيخ علي رضي الله عنه وأرضاه إلى الديار المقدسة مع جند صلاح الدين من أجل الدفاع عن مدينة القدس"[1].

ثم كان للفتح الاسلامي للقدس على يد الخليفة عمر بن الخطاب دلالتها العميقة على أصالة المدينة وعروبتها، هو رمز لأجداد العرب القدماء الذين هزموا كل معتد عند " جبل المكبر الذي وقف عنده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.. فكبر.. حتى أخذ هذا الجبل اسم (جبل المكبر)، وكان في استقباله بطريرك إيليا صفرونيوس"[2]، الذي جاءها صاغرا مستسلما لسماحة الاسلام، والخلق العظيم الذي تحلى به عمر، وذكره التاريخ، فالقدس هي الإرث التاريخي الذي أعطى فيه أمير المؤمنين الأمان لأهلها من النصارى فيما عرف بالعهدة العمرية.

ورد ذكر صلاح الدين الأيوبي في روايات ديمة السمان كرمز تاريخي، صلاح الدين القائد الكبير الذي قهر الغزاة، وأحرز نصرا مؤزرا عليهم في معركة "حطين " الشهيرة عام (583) هجري، ثم دخل محررا للقدس من الصليبيين، بعد أن احتلوها ثمانين عاما، هو رمز لكل منقذ يعمل لتحرير القدس من المعتدين، وما أشبه اليوم بالأمس، فهي القدس المدينة الأسيرة التي تعاقب عليها الاحتلال خلال فترات زمنية مختلفة، تبحث بشوق عن صلاح دين

[1] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج 1، ص 7

[2] المصدر نفسه، ج 1، ص 6

آخر ليحررها، هو رمز لكل منقذ لهذه الأمة من مصابها، ومحرر للأرض المقدسة من أعدائها.

في رواية " بنت الأصول " وردت قصة سقوط الأندلس معادلا موضوعيا لسقوط القدس وضياعها من أيدي العرب، بما تحمله هذه المدينة من قداسة، جاء ذلك في قول مريم " الأندلس ستعود.. هذه مهمتي.. سأفرد صفحات التاريخ.. وأعيد رسم خطوطها.. فلا يضيع حق وراءه مطالب" [1].

ربطت الكاتبة أيضا في روايتها " وجه من زمن آخر "، بين تاريخ العرب في الأندلس وخروج المسلمين منها وبين ضياع المدينة المقدسة، فماري أو مريم بين فوج السياح الإسبان الذين وصلوا القدس رددت " ضمني يا أريج بلادي.. أنا حفيدة العرب أندلسية.. آه كم أنا في شوق لك يا أرض الأجداد.. قد أرسلتني الأندلس لك ذكرى وهدية. " [2] التخاذل في الدفاع عن القدس وإشارة أخرى إلى ضياع القدس واحتلالها، وكأن التاريخ يعيد نفسه ويسير عبر طرقات القدس القديمة ويدخل أبوابها ليحكي قصة الآباء والأجداد ويروي تاريخ مدينة سقطت لتكون معادلا لسقوط الأندلس وضياعها من يد العرب، وجه من زمن آخر وجه تاريخي دخل القدس ليعكس واقعها المؤلم.

في روايات عزام أبو السعود " صبري " و" حمام العين " ظهرت رموز تاريخية، فشخصية جمال باشا الملقب بالسفاح، مثلت رمزا لقسوة الحكم العثماني والتي انعكست على سكان فلسطين والقدس، من خلال إعدام عدد من أبنائها منهم الدكتور علي النشاشيبي وغيره من المقدسيين.

كما كانت " زيارة اللورد بلفور للقدس لحضور حفل افتتاح الجامعة العبرية، وكيف أن العرب عبروا عن استيائهم لحضور صاحب الوعد بإقامة دولة لليهود في فلسطين "[3]، هذه

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **بنت الأصول**، ص 264

[2] السمان، ديمة جمعة: **وجه من زمن آخر**، ص 7

[3] أبو السعود: عزام توفيق: **صبري**، ص 137

الزيارة التي شكلت جزءاً من تاريخ المدينة، ورمزت إلى اعتراف دولي بحق الوجود اليهودي في القدس، واعطائهم وعداً بوطن قومي في فلسطين، فيما عرف (بوعد بلفــور) المشــؤوم، والذي شكل علامة فارقة في حياة المدينة، وما قامت به الدول العظمى بحق شعب الفلسطيني وموقفها تجاه قضية القدس.

ورمز اليوم الذي دخل فيه الجنرال اللنبي إلى القدس من باب الخليل، ومعه الجنــود الانجليز والضباط، رمز ذلك إلى مرحلة جديدة من تاريخ القدس مع بداية الانتداب البريطاني على فلسطين، عندما " وصل اللنبي ممتطيا صهوة جواده إلى القدس. تحف به مجموعة كبيرة من الجنود الإنجليز وبعض الجنود الفرنسيين والطليان، ولكن علماً عربياً واحداً لم يرفرف في القدس، لذا وبشعور خفي دب فيه فجأة، جعله لا يصفق لموكب الجنرال وهو يمر أمامــه. "[1] هذا التاريخ الذي مكن اليهود لاحقا من السيطرة على كافة الأرض، وعلى رأســها مدينــة القدس.

كما كان تاريخ الصراع السياسي والديني على زعامة القدس، دلالاته علــى طبيعــة الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في القدس بين أبناء العائلات المقدسية ذات الغنى والجــاه حيث " كانت المنافسة على خلافة المفتي شديدة، فالمرشح الأقوى لهذه الوظيفة هــو الشــيخ حسام الدين جار الله.. ولكن آل الحسيني لم يرغبوا أن يخرج هذا المنصب من عائلتــه الــى عائلة أخرى"[2]. كما دل ذلك على الصدع الاجتماعي الذي كان سائدا في تلك الفترة بين بعض العائلات، والذي انعكس على المجتمع وسبب حدوث انقسام داخل المجتمــع المقدســي، لأن " القدس لا تزال تتصارع على الزعامة بين الحسينية والنشاشيبية، وأصبح المجتمع فيها منقسما بينهم "[3].

كما شكلت الأبنية التاريخية التي أقيمت في القدس، منها حمام العين الذي بناه الأميــر تنكيز ويعود للعصر المملوكي، وكذلك تكية خاصكي سلطان، والمسجد الأقصى، كلها رمــوز

[1] أبو السعود: عزام توفيق: **صبري**، ص 45

[2] المصدر نفسه ، ص 110

[3] أبو السعود، عزام توفيق: **حمام العين**، ص 125

تشير الى واقع القدس التاريخي الخاص، وطابعها العربي الاسلامي الذي يضرب جذوره في أعماق الزمن.

أما الأوضاع الاقتصادية التي مرت، جسدت تاريخ مؤلم في نفوس المقدسيين لا ينسى، حين " كانت مخصصات التكية لا تزال مصدر الغذاء الأهم للأسرة وغيرها من عائلات القدس بالرغم من أن توزيع الحساء أصبح كل ثلاثة أيام مرة... والمجاعة أصبحت عامة شاملة "[1]، في دلالة واضحة على تردي الأحوال الاجتماعية وانتشار المجاعة فترة الحكم العثماني في القدس، مما عكس صورة الواقع الموجود في فلسطين، فمعاناة الفلسطيني لم تنته منذ القدم.

كانت مذبحة دير ياسين وما زالت جزءاً من الذاكرة الفلسطينية ، دير ياسين التي تقع شمال القدس دال على وحشية المحتل ومجازر العصابات الصهيونية ضد أصحاب الأرض، ورمز لبداية سقوط القدس وفلسطين بيد المحتل، عندما قال علي: " فنحن لم ننسَ بعد مجزرة دير ياسين وما سفك بها من دم.. وما هتك فيه من عرض"[2].

كما كان انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، وانهيار الحكم العثماني جزء من تاريخ المدينة، وبداية الاستعمار الانجليزي للقدس، وما عكسه من رمزية على انتصار الصليبيين مرة أخرى بعد أن هزمهم عمر وصلاح الدين، فقال القائد البريطاني أللنبي " اليوم انتهت الحروب الصليبية "[3]، ليتحول هذا الاستعمار إلى كابوس ورمز لبداية استعمار آخر للمدينة.

تكرر الصراع الاجتماعي في روايات ديمة السمان كما في روايات مقدسية أخرى، بين عائلتي الحسيني والنشاشيبي هو صراع تاريخي على السلطة السياسية والدينية

---

[1] أبو السعود، عزام توفيق: **حمام العين**، ص 38

[2] السمان، ديمة جمعة، **برج اللقلق**، ج 2، ص 317

[3] المصدر نفسه، ج 1، ص 175

والاجتماعية، شكل هذا الصراع رمزا للانقسام والخلافات داخل المجتمع المقدس والذي ترك آثاره السلبية على المقدسيين.

كما كانت المعارك التي وقعت في حارة الشرف، وبرج اللقلق وغيرها من الأحياء في مدينة القدس ذات دلالة واضحة على دور أبناء القدس التاريخي واستبسالهم في الدفاع عن المدينة المقدسة، " بعد أن طالت يد علي ورجاله معظم حي (حارة اليهود).. ورفعوا عليها العلم الفلسطيني"[1]، وأرخت هذه المعارك لمرحلة من تاريخ المدينة والمقاومة التي كانت تتم فيها، واستهداف المقاومة لليهود وحارة اليهود بشكل خاص.

القدس في رواية " كافر سبت " مدينة تاريخية عريقة منذ العصور الاسلامية غدت بالإضافة الى أهميتها الدينية والسياسية والاقتصادية " عاصمة طبية من أيام البيمارستان الصلاحي الواقع في طريق الدباغة بجانب كنيسة القيامة والذي يعد من أوائل المستشفيات في العالم. وكانت القدس أيضا مركزا تعليميا في قلب الشرق القديم، بوجود عدة مدارس تاريخية فيها منها المدرسة التنكيزية " [2] وهذا العمائر والمباني دلالة على الأهمية التاريخية والاستراتيجية للقدس منذ القدم.

كانت القدس عبر تاريخها الطويل، رمزاً للمقاومة والفداء، ومثلت " معركة الخنادق في حي الشيخ جراح، عام النكسة، عندما استبسل جندي أردني واحد بعد أن أمروه بالانسحاب من الموقع، فعصى الأوامر، وبدأ النزال أمام كتيبة إسرائيلية، فأوقع في صفوفهم عشرات القتلى والجرحى، حتى تمكنوا منه، وأردوه قتيلا، اجتمع من الكتيبة فوق جثة الضابط الأردني، اصطفوا وأدوا التحية العسكرية له " [3] هذه المعركة التي وقعت في القدس حملت دلالة رمزية على عمق المقاومة التاريخية ضد اليهود في القدس وأهمية القدس ومكانتها والاستبسال في الدفاع عنها، وهذه المعركة " معركة الخنادق " وهي ما تعرف بمعركة " تل

[1] السمان، ديمة جمعة، **برج اللقلق**، ج 2، ص 255

[2] الحسيني، عارف: **كافر سبت**، ص 20

[3] المصدر نفسه، ص 50 – ص 51

الذخيرة " عام 1967 م والتي تعد من أعنف المعارك التي خاضها الجيش الاسـرائيلي مـع الجيش الأردني في مدينة القدس، حيث تمركز الجيش الأردني على سفوح تلال القدس في حي الشيخ جراح، فحفروا الخنادق وتمترسوا بها، وهي ما زالت موجودة حتى اليوم[1]، شاهدة على شراسة المقاومة في القدس في هذه الفترة من تاريخ المدينة.

عكست رواية " المسكوبية " جانباً آخر من تاريخ القدس، وأظهرت صفحة الغـلاف جانباً من هذا التاريخ متمثلا في هذا المبنى وقد أحاطت به الأسلاك الشائكة والذي يعد جزءاً من تاريخ المدينة، رمزاً لتاريخ من الاحتلالات المتعاقبة على هذه المدينة، بداية من الـروس الذين امتلكوا اثنين بالمائة من مساحة فلسطين التاريخية، وأنشأوا في القدس هذا المبنى كمجمع لمصالحهم، ثم تحويله إلى سجن شهد معاناة المقدسيين عبر مراحل من تاريخ المدينة.

حيث كان تشييد هذا المبنى " كمجتمع روسي شامل، ايذانا بتأسيس ما عرف بالقـدس الجديدة، ومع الانتداب البريطاني.. الذي حولها إلى سجن، اسـتقبل أفواجـا مـن المثقفـين والسياسيين... بعد العام 1948 م واصل الاحتلال الجديد استخدام المسكوبية كمركز أمنـي، وتحولت على يديه إلى سجن تمارس فيه أسوأ أنواع التعذيب " [2]

أما مدينة القدس وما تعرض له تاريخها من تدمير على يد العصـابات الصـهيونية، منها هدم حارة المغاربة عندما قام " ايتان بن أنيان " بتدمير المكان على ساكنيه من العـرب وقدم شهادته على عمق بشاعة ما قام به في تلك الفترة من تدمير لتـاريخ القـدس حيـث " أصبحت بعض أهم الآثار الأيوبية والمملوكية والتراث المغربي الأندلسي المميز ركامـاً " [3]، في ذلك اليوم السابع من حزيران " هدمت حارة المغارة، ولم يتحرك العـالم لمـا اعتبـره الفلسطينيون مجزرة أثرية ومعمارية وانسانية، في حين تعامل معه الاسرائيليون بصلف لـم

[1] ينظر، تل الذخيرة توثق بسالة الجيش الاردني دفاعا عن القدس ، موقع هنا القدس ، honaa lquds.ds
[2] العيسة، أسامة: **المسكوبية**، صورة الغلاف
[3] المصدر نفسه، ص 92

يخفوه"[1] في اشارة إلى تدمير تاريخ شعب ومدينة، وشهادة على تخلي العالم عــن مناصـــرة قضية القدس وفلسطين.

أما معركة المتحف التي وقعت في 6 حزيران، بالقرب من المتحف الفلسطيني الــذي يقع شمال أسوار البلدة القديمة، والتي يروي فيها الأحداث وما وقع في هذه المعركة وغيرهــا من المعارك هو أبو العلم والذي شارك فيها " مع قلة من رفاقه، حتى وصلوا منطقة المتحف: وقعت معارك دامية، في لحظة تاريخية فارقة ومؤلمة من تاريخ مدينتنا المنكوبة، بين قلة من المدافعين عنها والقوات الاسرائيلية المتقدمة. تركزت أشرس المعارك حول المتحف، بســبب موقعه الاستراتيجي"[2]، أحد نزلاء المسكوبية يروي تاريخ مدينة القدس النضالي وما قــام بــه مجموعة من أبناء القدس للدفاع عنها، واصرار العدو على القتال لأهمية المدينة التي لم تجــد إلا قلة تدافع عنها وتقوم بحمايتها في تلك الفترة الصعبة من تاريخ القدس.

حملت رواية " قلادة فينوس " كذلك جوانب من تاريخ القدس وقدمته بصورة رمزية، ففي قول أم أمين عندما قامت بتقطيع جسد ريما " بيد ترتجف، قطعت جــزءاً بســيطا مــن وركها، لم تصرخ، لم تتألم، الأموات لا يتألمون، شيئا فشيئا كان جسد ريما مغلفا في أكيــاس في ثلاجة جاهزة لوليمة آخر"[3]، رمز ذلك إلى واقع تقسيم القدس، وحالة الموت هــي رمــز لاحتلال المدينة وضياعها، حكاية تروي تاريخ مدينة مقسمة.

أما والد أم عامر اليهودي العراقي الذي " قدم مع زوجته وأولاده، سكن كيبوتس فــي يافا كان أبو عامر أجير خباز، فقيراً يعمل على إيصال الخبز للكيبوتس. أغرمت به، تركت أهلها وجاءت معه إلى هنا لا أحد يعرف كيف صار المخبز ملكا له "[4]، اقامة أبو عامر فــي القدس هي رمز لليهود الشرقيين الذين أقاموا في القدس قبل الحرب وتاريخ هؤلاء الذي ليس

---

[1] العيسة، أسامة، **المسكوبية**، ص 93

[2] المصدر نفسه، ص 91

[3] الجنيدي، أماني: **قلادة فينوس**، ص 46

[4] المصدر نفسه، ص 63

لهم علاقة بتاريخ المدينة التي قدموا إليها من أنحاء مختلفة من العالم، كما رمز امتلاك المخبز إلى احتلال القدس، وسلب حقوق أبنائه.

يوسف العيلة في رواية " قصة حب مقدسية " أعاد استحضار المدينة من خلال سـرد تاريخي يحاول من خلاله استحضار تاريخ القدس، واسقاط الماضي على الحاضر الفلسطيني من خلال قصة الملك العادل الأيوبي صلاح الدين والأميرة جوانا شقيقة ريكاردوس قلب الأسد " تقول الرواية أنه حين فقد شقيقها الأمل في استعادة القدس من المسلمين بقوة السلاح، عرض على صلاح الدين تزويج جوانا من الملك العادل بشرط أن يكونا حياديين في حكمهما للمدينة

- رفضت جوانا الفكرة قائلة: كيف تقبل أن تمسي أختك من سبايا ملك حرق صليبك واحتل مدينتك المقدسة ؟

طأطأ السكسوني رأسه أمامها – كما فعلت أنا أمام هيئة المنبر المحترق –"[1]

رمز هذه القصة التاريخية إلى هزيمة الصليبيين في القدس وحرق صلبانهم على يـد صلاح الدين وما قام به الصليبيون من أساليب مختلفة وغير مشروعة لإعادة سيطرتهم علـى المدينة، هذه الهزيمة هي معادل موضوعي لهزيمتنا اليوم في القدس وحرق روهـن لمنبـر صلاح الدين، لم تساوم جوانا على هزيمة شقيقها في القدس من ملك " أذاق الصـليبيين مـر الهزيمة " [2]

أما منبر صلاح الدين التاريخي الذي تمت صناعته في دمشق واحضر إلـى القـدس ليوضع في المسجد الأقصى، رمزاً لانتصار العرب وفتح القدس وطرد الصليبيين ليعود روهن إليه حين " أراد الغازي أن يثأر من نصرنا في حطين فحرق منبرنا " [3]

---

[1] العيلة، يوسف: **قصة حب مقدسية**، ص 8

[2] المصدر نفسه، ص 8

[3] المصدر نفسه، ص 8

6.3 رمزية الدوال السياسية

عاصرت القدس عديداً من الأحداث السياسية علـــى المســـتوى العـــالمي، والقـــومي والوطني، وتأثرت بهذه الأحداث بشكل مباشر وغير مباشر، فغاص الأدب فـــي نقـــد الـــذات بقسوة، وتأمل الواقع السياسي المرير، وما انبثق عنه من خيبة أمل الفلسطيني في سلب حقوقه الإنسانية وكرامته فوق أرضه، كما تعرضت لمراحل النضال الفلســـطيني، وعرضـــها فـــي المحافل الدولية، وصولا إلى اتفاق أوسلو وقدوم السلطة الفلسطينية وما أعقب ذلك من أحداث سياسية ترتبت على ذلك.

وقدمت الروايات الرموز السياسية كما هي في الواقع، لـــتعكس الوضـــع السياســـي الراهن، منها سياسة العالم تجاه القضية الفلسطينية من جانب، وسياسة الاحتلال القمعية مـــن جانب آخر كهدم للبيوت والاعتقالات التعسفية بحق المناضلين تحت أقصى ظروف الاعتقال والتعذيب سوءاً، وسياسات قمعية يتعرض لها المقدسي من سحب للهويات وفرض الضـــرائب العالية، وسياسة التضيق عليهم لإجبارهم على ترك المدينة المقدسة، كما جسد الموقف العربي من القضية الفلسطينية بعدا سياسيا آخر في العمل من أجل الدفاع عن الفلســـطيني وحقوقـــه المشروعة.

فحملت الخيول البيضاء في رواية " زمن الخيول البيضاء " لإبراهيم نصر الله، حملت رمزية سياسية فالخيول هي رمز للأصالة والقوة، وهي بالتالي رمز للقضية الفلسطينية قضية العرب، أنه زمن القضية والدفاع عنها، كما أن هذه الخيول البيضاء الأصيلة هي رمز للأرض العربية الفلسطينية التي ترفض كل غاصب فوق أرضها، وهي أيضا رمز للقدس بمقدســـاتها الدينية وتاريخها الأصيل والذي هو جزء من تاريخ فلسطين.

أما الحمام وهو رمز للسلام ولكن الحمام هنا " يطير محترقا، قاطعا مسافات لم نفكر يوما أن حماما بأجنحة مشتعلة يمكن أن يبلغ نهاياتها، وحينما راح يسقط في البساتين والكروم

والسهول المحيطة كانت نار جديدة تشتعل"[1]، رسم الكاتب لوحة فنية صور فيها وطناً يحترق، بكل ما فيه من جمال وقداسة، وقد تحول فيها الحمام من رمز للسلام الى آلة للحرب والدمار، ففقدت مدينة السلام أمانها وسلامها.

كما أبرزت ثورة البراق في القدس ضد سياسة الاستعمار البريطاني، المنحازة لليهود، وفي دلالة واضحة على المعاناة الفلسطينية من قتل لأبنائها، حيث كان إعدام ثلاثة شهداء منهم: عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي وهم ممن شارك في ثورة البراق، وكان إعدامهم حدثا مفصليا في تاريخ القدس والقضية الفلسطينية، ورمزاً للمقاومة الباسلة ضد المستعمر في القدس، وما أعقب ذلك من عمليات لقتل أفراد من البوليس الانجليزي، يؤكد على أن أبناء القدس وفلسطين لم يتراجعوا عن مقاومة مستعمر على مر التاريخ، سلطت الرواية الضوء على قضية العملاء والمتعاونين، لتمثل معادلا موضوعيا للصراع بين الأخوة داخل البيت الفلسطيني، ولتعكس واقعاً سياسياً داخل القدس كما سائر المدن الفلسطينية، وحالة من التخبط وعدم وضوح الرؤيا لأهداف العدو وغاياته، في إشارة إلى ما قام به عبد المجيد زوج العزيزة بالوشاية بإخوة زوجته مصطفى ومحمد، وتم القبض عليهما عندما كانا يتناولان الطعام في بيتها " بعد يومين تم إعدامهما في القدس"[2].

عندما تتحول قضية شعب إلى مجرد "كرت المؤن" هنا تبدأ المعاناة التي لا تنتهي، هكذا عرضت رواية " كافر سبت" القضية الفلسطينية، كيف تحولت من قضية سياسية في حق شعب بأرضه، إلى مجرد شعب لاجئ، كأن لم يكن له بالأمس يوماً أرضٌ ولا وطن يعيش به، فأصبحت رمزاً للذل والهوان وضياع الحقوق والأملاك لأنه " بعد اللجوء إلى القدس، في النكبة، والحصول على كرت المؤن بطاقة اللاجئ الفلسطيني التي تمنحه مخصصاتٍ من الطحين والمؤن الغذائية وتعطي أبناءه الحق في التعليم في مدارس وكالة الغوث بالمجان – من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين – الأونروا، أصبح جدياً بلا شيء سوى تلك البطاقة"[3].

---

[1] نصر الله، ابراهيم: **زمن الخيول البيضاء**، ص 506

[2] المصدر نفسه ، ص 145

[3] الحسيني، عارف: **كافر سبت**، ص 56

لقد كان قرار تقسيم فلسطين العام 1948 م، دالاً على ضياع القدس أولا التي قسمت عندما " رسمها الضابط الأردني مع نظيره الإسرائيلي في أحد أيام الهدنة، حين أخذوا الخارطة وبحثوا عن قلم ليقسموا المناطق فلم يجدوا إلا قلم رصاص أخضر، فخطوا الأرض والعباد بقلمهم"[1]، رموز واضحة على حالة العجز في الدفاع عن نصرة قضية القدس، وتراجع العالم والأمم المتحدة عن حماية حقوق الشعوب المحتلة، كما رمز ذلك إلى عدم وجود قيادات حقيقية توجه مصير هذا الشعب وتدافع عنه بشكل أكثر تخطيطاً وفاعلية.

في رواية " كافر سبت " كانت للأحداث السياسية التي عصفت بالعالم العربي انعكاسها على الفلسطينيين، وكأن ما وقع للفلسطيني من تشريد داخل وطنه لم يكن كافيا ليعيش مرحلة أخرى من الضياع، وما مثلته حرب الخليج لم يكن إلا انعكاسا لواقع مصيريّ كتب على الفلسطيني أينما ذهب وحيثما ارتحل.

سجن داخل الوطن وسجن آخر يعيش معه وبداخله أينما ارتحل، صورة المقدسي في الغربة بعد أن ترك القدس التي عكسها فريد بن صلاح الدين الذي هاجر إلى العراق، فجاء على لسان الراوي أن " حرب الخليج الأولى، وغزو العراق لدولة الكويت، واحتلالها، أدى تدهور حالة الفلسطينيين في الخليج، وبسبب عدم مقدرة عمي على العودة إلى القدس... اشترى بيت في عمان.. مقابل مبنى المخابرات العامة، فعاش ما تبقى له من العمر في سجن آخر"[2].

مثل الصراع السياسي داخل القدس واقع الإنسان الفلسطيني في المدينة المقدسة، صراع مع الآخر صراع ديني تجسد في محاولة الآخر امتلاك المكان، ورد مزاعمه، وموقف الآخر من الفلسطيني وممارساته، جاء ذلك على لسان نبيه عندما قال " كانت تأخذنا الحمية الثورية فنضرب حجرين على اليهود المتدينين " الاشكناز " أو السكناج كما نسميهم، المارين تحت شبابيك الصف في طريقهم إلى حائط المبكى، الحائط الغربي للمسجد الأقصى المبارك،

---

[1] الحسيني، عارف: **كافر سبت**، ص 25

[2] المصدر نفسه، ص 123

أو الهيكل المزعوم... ونناديهم بألفاظ بذيئة، أو ننجح بالانفراد بواحد منهم، من أصحاب السوالف الطويلة، فنشد سوالفه حتى يصرخ، ويركض إلى باب المجلس أو باب الحديد ليبلغ الشرطة الاسرائيلية... فتهرع إلى المدرسة... يعاقبوننا، ويغلقون المدرسة "[1]، في دلالة على طبيعة الصراع القائم حيث يرى كل طرف منهم أحقيته على هذه الأرض، صراع حمله الأجداد إلى الأبناء ونقلوه للأحفاد.

أما السياسة التي يمارسها اليهود في القدس في الاستيلاء على بيوت المقدسيين " بموجب قوانينهم التي تعطي دائرة أملاك الغائبين الإسرائيلية الحق بالاستيلاء على نصيب أي فلسطيني غائب عن القدس في أملاكه التي ورثها عن أجداده، أو بسياسة الترهيب والترغيب "[2] هذه السياسة التي تهدف للسيطرة على القدس وتهويد معالمها، وحملة دلالة الواقع القائم وموقف الفلسطيني في القدس.

بعد اتفاق اوسلو تغير الواقع السياسي في مدينة القدس وأخذت الأمور منحى آخر من العمل الثوري الى مرحلة السلام، تغير في طريقة تفكير المقدسيين " وسرعان ما شهدت بعيني كيف أن كل من أقدم على أي عمل ثوري بدأ يبحث عن ثمنه، وكيف أصبح كل قائد يبحث عن منصبه، أو يفتح جمعية أهلية ليعلمنا الدمقراطية"[3]، إن التغيرات السياسية الحاصلة انعكست على النظرة للآخر، والتعامل معه، وربما الاستسلام لحقيقة وجوده فوق هذه الأرض، وما يحمله هذا من دلالة ذات أبعاد خطيرة على المدينة المقدسة.

في رواية " حمام العين " ظهرت القدس مركزا للقرار السياسي في فلسطين، هذا ما قاله عبد الغفار في قضية أرضه " الكل نصحني بالرواح إلى القدس، أشاور الزعماء هناك... أشاور المفتي"[4]، وفي ذلك رمزيته على الأهمية السياسية والدينية للمدينة، ودلالة أيضا على دور الزعامة الدينية ومفتي القدس في الحياة السياسية إضافة إلى الجوانب الدينية.

---

[1] الحسيني، عارف: **كافر سبت**، ص 72

[2] المصدر نفسه، ص 73

[3] المصدر نفسه، ص 84

[4] أبو السعود، عزام توفيق: **حمام العين**، ص 20

ورمزت أرض أبي محمود في قريته خربة مبروك في سهل مرج ابن عامر إلى سياسة الاستيلاء على الأرض وعكست الواقع في فلسطين والقدس وغيرها من المدن خلال فترة، والى ما قامت به العصابات الصهيونية في أواخر الانتداب البريطاني من محاولات الاستيلاء على الأرض الفلسطينية، من خلال سماسرة الأرض اليهود والمتعاونين معهم من أصحاب النفوس الضعيفة، بشراء الأرض بأسعار عالية، أو الاستيلاء عليها بالقوة، ليشكل ذلك بداية السيطرة على الأرض الفلسطينية.

أما سياسة الأتراك ثم الاستعمار البريطاني في القدس وسياسته المنحازة للأطماع الصهيونية في فلسطين، والوعود بوطن قومي لليهود في فلسطين، والذي تمثل في شراء الأراضي من الفلسطينيين في مناطق مختلفة بما فيها القدس، ومشروع مقابل قام به الفلسطينيون هو (مشروع القرش) " وهو مشروع يهدف إلى شراء الأرض المهددة بالبيع لليهود، وذلك بفرض رسم قدره قرش واحد على المعاملات التي تتم في الأوقاف أو البلديات..." [1]، مثّل هذا المشروع موقفا سياسيا من الزعامة السياسية والدينية للدفاع عن أرض فلسطين بكافة الطرق والوسائل، ودلالة كذلك التلاحم والمساهمة الشعبية الفلسطينية والتي انطلقت من القدس، حيث جمعت الأموال من الأهل وحتى طلاب المدارس، لحماية الأرض والحد من بيعها لليهود، في هَبةٍ رمزية جماعية للدفاع عن الأرض الفلسطينية.

في رواية " وجه من زمن آخر " لديمة السمان حمل الحصان رمزا سياسيا، في الدعوة إلى مقاومة المحتل، والحصان هو رمز للقوة والأصالة ووسيلة للحياة والكسب والمقاومة، افتخر العرب قديما بامتلاكه، ورمز فقده والحاجة له في موسم الحصاد ذلك العام إلى حالة الضعف والعجز التي عاشها آل رشيد وهم جزء من المجتمع المقدسي، الضعف النابع من أنفسهم في مقاومة حالة الجوع والفقر من جانب والمستعمر من جانب آخر وليس في الوسيلة التي تتم بها المقاومة، جاء ذلك على لسان مريم عندما قالت: " إذا المشكلة فيكم وليست في الحصان"[2].

---

[1] أبو السعود، عزام توفيق، **حمام العين**، ص 33

[2] السمان، ديمة جمعة: **وجه من زمن آخر**، ص 95

أما روايتها " برج اللقلق " فقد عكست الواقع السياسي وما فيه من عجز عن الخروج لمواجهة المخاوف خارج السور، وهي الحالة التي عاشها أبناء القدس داخل أسوار مدينتهم لا يستطيعون الخروج ليلا لما علق في أذهانهم عن عالم خارج السور، فهذه الصورة هي رمز لحالة العجز السياسي عن مقاومة المحتل خلال مراحل سياسية من تاريخ القدس، وعصابات اللصوص وقطاع الطرق خارج السور هم رمز للعدو والذي عجز أبناء القدس عن مواجهته لِمَ زُرِع في أذهانهم من أوهام حول قوته وجبروته وعدم قدرتهم على مواجهته، حيث أفتخر عبد الجبار بما قام به " أنا من خلص المدينة وحررها وأطلق سراحها من السجن داخل السور.. غداً ستضحك الدنيا عندما تعلم أن الرعب الكامن خلف أسوار المدينة ليس له قوى خفية قاتلة.. وليست أشباحاً ولا أرواحاً.. فما هي سوى عصابة أشرار باغية آثمة.. وما أسهل الخلاص منها"[1]

في رواية " مقدسية أنا " لعلاء مهنا، ظل الجدار الذي رمز للواقع السياسي غير المنصف الذي يعيشه الفلسطيني داخل القدس، ظل رمز للمعاناة في الرواية كما مصدر لألم الفلسطيني وهو رمز لواقع جديد لعزل المدينة والتضيق على ساكنيها لفرض الهيمنة والوجود الصهيوني فيها، كما مثل رمز آخر لنوع جديد من علاقة الفلسطينيين مع وسائل القمع الصهيوني المتمثلة بالجدار، وانعكاساته النفسية والاجتماعية والاقتصادية على الفلسطينيين.

فالجدار هنا هو دلالة رمزيه للسياسة القمعية، وامتهان كرامة الانسان فوق أرضه ووطنه، لأن " الغيتو " الذي " قسم البلد إلى قسمين، والبوابة كانت مقفلة على عادتها.. كنا نستطيع أن نمر عبر بوابة جدار الغيتو فلا نصل هنا، ولكن بأمر من جيش الاحتلال دخلنا إلى حي زين العابدين "[2] هذا الغيتو الذي ما زال يعيش داخل الآخر، يأبى أن يخرج منه، ليفرضه على غيره، ويرى الكاتب أن المشكلة ليست في الآخر وحده بل هي في نفوسنا، وسلبيتنا التي تعيش في فكرنا تجاه ما يحيط بنا، وتغير نظرتنا للقضايا الاجتماعية والسياسية هي الوسيلة للتغلب على المحتل ومقاومته.

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج 1، ص 95

[2] مهنا، علاء مفيد : **مقدسية أنا**، ص 51

كما عكست الرواية الواقع السياسي الصعب الذي تعيشه القدس، والبلدات التي تحيط بها من مداهمات ليلية واعتقالات وترويع للأطفال والنساء، وسياسة هدم منازل الشهداء والمعتقلين، وهذا ما حدث مع عائلة عائشة بطلة الرواية الذي استشهد والدها عند الحاجز العسكري الذي أصبح مظهراً من مظاهر القمع والإذلال النفسي ومصيدة لقتل الفلسطينيين، في دلالة واضحة على تعسف المحتل وبطشه وأن منطق القوة هو ما يتحدث به ويمارسه.

وعرضت الرواية نظرة الفلسطيني للآخر، لأنهاء الصراع السياسي القائم، فالكاتب يعرض وجهة نظره من خلال بطلة الرواية عائشة " كل ما اريده هو أن يكفوا قتلهم عنا، ألا يستوطنوا أرضنا أكثر، ألا يحتلوا النفوس ويرهبوا الناس بمدافعهم وجدارهم فيعودون إلى حدود العام 67 لنحيا بسلام، ولكن هيهات يا قدسي هيهات"[1]، وفي ذلك دلالة على رغبة في التخلص من المحتل، وعرض لوجهة نظر سياسية في إنهاء الوضع القائم للاحتلال، ولكن الآخر بقمعه وغطرسته لا يمكن أن يكون له رأي إلا القتل والتدمير.

ذكرت الرواية بعض المواقف السياسية التي ظهر فيها اليهود الذين يتعاملون بازدواجية واضحة بين العرب واليهود في القدس، جاء ذلك على لسان ابتهال عندما قالت " التمييز واضح جدا، هناك تعامل خاص مع العرب وتعامل آخر مع اليهود في هذه الدولة " 1 هكذا برز المشهد السياسي بتداعياته وما يتعرض له المقدسيون من معاناة لا تنتهي، هذه الازدواجية برزت في قول الكاتب عندما قال " أما في القدس فيا للعجب ظهر أربعة شبان يهود علنا على التلفاز وكل منهم أدعى أنه هو من قتل سائق الجرافة العربي ويفتخرون بذلك "[2]، في مقابل قيامها باعتقال كل فلسطيني يحاول التصدي لمستوطن يقوم بالاعتداء عليه.

في رواية " خلود " كانت بداية الرواية اشارة إلى واقع سياسي صعب ومؤلم، بعد حرب عام 1967 وما تبعه من تهجير لسكان القدس من بيوتهم لتبدأ رحلة عذاب طويلة من حياة اللجوء والتهجير وفقدان الأمل من عودة الأحبة والمنزل الآمن الذي عاشوا فيه، جاء ذلك

[1] مهنا، علاء مفيد: **مقدسية أنا**، ص 214

[2] المصدر نفسه، ص 315

عندما قال الكاتب " كنا داخل ذلك الملجأ النتن، الذي تفوح منه رائحة كريهة، تقتل كل مشاعر الأمان والجمال والحياة"[1]، الملجأ هو رمز لتهجير وضياع لحياة لشعب خلال فصول متكررة من المأساة عام 1948 م ثم عام 1967 م، وهو كذلك رمز للحياة المؤقتة غير الآمنة، وهو رمز لكل أشكال المعاناة التي يحياها الإنسان حيث لا حياة هناك، هو سجن آخر فرض على الفلسطيني أن يقيم بداخله داخل وطنه وخارجه، إنه المصير الشائك لأكثر من نصف الشعب الفلسطيني.

حالات الاعتقال السياسي بسبب مقاومة الاحتلال، هي قاسم مشترك في عديد الروايات الفلسطينية، وهي دلالة على حالة ألم لا تنتهي يعاني منها الفلسطيني كسياسة لعقاب جماعي ينتهجها الاحتلال ضد أبناء القدس خاصة وغيرها من المناطق الفلسطينية، وهو ما تعرض له حكيم بطل الرواية عند عودته إلى القدس بعد اقامته في عمان للدراسة والعمل، ورفض الاحتلال بقائه في القدس، ولكنه في حوار ليلى مع حكيم اصرار على العودة للوطن رغم المعاناة والاعتقال والتضيق الذي وجده بعد عودته للقدس " ألم تقل لي انهم سيعتقلونك على الحدود لو رجعت؟ نعم، ولكن ما قيمة الانسان دون وطن؟"[2].

واستمرت رواية " المسكوبية " في الحديث عن جانب آخر للوضع السياسي القائم في المدينة المقدسة والاعتقالات السياسية التي تمارس ضد المقدسيين داخل سجن المسكوبية، والكشف عن عناصر الحرب النفسية التي كانت تنفذ بالمعتقلين داخل السجون، ولم يكن ما يمارس في سجن المسكوبية أقل من ذلك الذي يمارس داخل السجون التي أقامها الاحتلال في مناطق مختلفة، وهي جزء من السياسة الإسرائيلية لمواجهة المقاومة، ومن عناصر هذه الحرب الكتب التي توزع داخل سجن المسكوبية فقد " عرفنا بعد الاطلاع على عناوين الكتب، أنها جزء من الحرب النفسية المتبعة في السجن... انصب التركيز على نوع معين منها مثل كتب الجان وعذاب القبر"[3]، أما القضاء وهو جزء آخر من الحرب النفسية فليس له أي اعتبار

[1] الجندي، سمير: **خلود**، ص 18

[2] المصدر نفسه، ص 72

[3] العيسة، أسامة: **المسكوبية**، ص 29

فيما يتعلق بالاعتقال السياسي " ان المحاكم العسكرية الاسرائيلية صورية، وأن الحكم يكـون جاهزا مسبقا من قبل المخابرات التي تحدد كل شيء، بينما القضاء مجرد ديكـور"[1]، وكـذلك الطب الذي ما انفك يُستخدم كجزءٍ من هذه الحرب أيضا " ينهض الطبيب من خلف طاولتـه، ومعه مساعده، ليذكروا السجين عمليا بعقوبة تجاهل عبارة نعم سيدي، ولتتحول سماعته إلـى أداة للضرب"[2].

لقد سلطت تجربة الاعتقال السياسي الضوء على فصول أخرى مـن سـيرة عـذاب الفلسطيني كما وصفها كاتب الرواية، والحديث عن فنون التعذيب الجسدي من الشـبح تحـت البرد والمطر، أو انزال المعتقل داخل بركة ماء باردة مما تسبب في استشهاد أحد المعتقلـين، أو الضرب المبرح على الرأس والأطراف إلى غير ذلك، فالسجن والتعذيب وأساليبه المختلفة هي معادل موضوعي للمعاناة والألم، وهي دلالة على واقع الصراع وعمق الألم اليومي داخل السجن وخارجه.

ناقشت رواية " قلادة فينوس " الواقع السياسي في القدس وهو العدالة المفقودة، طفـل جائع في القدس هو رمز لفقدان العدالة الدولية في دعم قضية القدس بشكل خاص، " بإمكـان طفل جائع متروك مثلي أن يقاضي العالم على نذالته وسكوته عن جوعه"[3]، الطفل هو معادل موضوعي لواقع المعاناة التي يعيشها أطفال القدس، والجوع أيضاً معادلاً للوضـع السياسـي القائم في المدينة، حين أعطت ريما هذا الطفل كاميرا " وقالت له: صور كل شـيء، صـور البشر والشجر والحجر حتى القبور في هذه المدينة، فلم تَحظَ القدس بصورة عادلة " [4]

أما الزيتون فهو معادل رمزي للأرض الفلسطينية الصامدة، وهو سـبيل لحضـوره عندما يبقى "الزيتون صامداً رغم الريح"[5]، والريح هو معادل للاحتلال كما أنـه رمـز لكـل

---

[1] العيسة، أسامة: **المسكوبية**، ص 30

[2] المصدر نفسه، ص 29

[3] الجنيدي، أماني: **قلادة فينوس**، ص 36

[4] المصدر نفسه، ص 37

[5] المصدر نفسه، ص 58

أعمال القمع التي يتعرض لها الفلسطيني ورمز أيضاً لكل من يحاول أن يحطم آمال المقدسي الصامد داخل مدينته، يبحث عن الأمان والسلم داخل المدينة المقدسة التي وصلت لها ديما من رام الله للبحث عن صديقتها المفقودة.

وعكست اللوحات التي رسمتها ريما قبل موتها، عكست دلالات سياسية للحياة في القدس، عندما " أزاحت الستار. كانت لوحة كبيرة جداً، على الرغم من جمالها، واتقانها، وغرابتها، شعرت وأنا انظر إليها بأن رأسي يصطدم بحائط،.. لوحة صادمة، أقشعرت منها روحي، وكرهت النظر إليها.. كيف رسمت هذه البشاعة في جمال مطلق ؟

لم أعرف من هم الذين رسمتهم ريما بهذه الأشكال المرعبة، لكن أظن أن الأشكال كانت تشي بشيء مما حدث ذلك اليوم. أخذوا ينتشرون حول اللوحة دون وعي، وقف كل واحد يتأمل وحشه بعينه."[1]

مدينة جمعت بين البشاعة والجمال في آن واحد، بشاعة داخل المجتمع الذي لاحقها واتهمها، ومن يعيش بداخله من غرباء، حملت دلالة واقع سياسي مضطرب داخل المدينة المقدسة، واقع رجال السياسة الذين تآمروا على المدينة وقطعوا أوصالها، مروا على ريما يحملون الأسى لها كما حملوها للمدينة.

كما ألقت ليلى الأطرش الضوء على قضايا شائكة سياسية واجتماعية تتم داخل المجتمع في روايتها " مرافئ الوهم" وتحدثت عن ذلك فقالت: " لهذا فنحن أمة زورنا التاريخ دائما لمصلحة حكامنا وإرضاء لهم.. وهو ما يفسر إقبال الناس على كتب السياسة مباشرة بعد الدين. نحن أمة لا تثق بمستقبلها، وتخشى القادم، ولا تحس بالأمان.. والاعلام المرئي طريق إلى قاعدة أوسع من الجمهور، فلماذا لا أستغله في نشر الحقيقة "[2].

---

[1] الجنيدي، أماني: **قلادة فينوس**، ص 41

[2] الأطرش، ليلى: **مرافئ الوهم**، ص 139 – ص 140

وهي تظهر بوضوح " تغير في ذهنية المثقف خاصة، وفي ذهنية المجتمع عامة، وهذا التغير ذو دلالة سياسية أفرزها صعود فئة اجتماعية جديدة مهتمة بالمجتمع باعتباره مجتمع قضايا ومشاكل ينبغي أن تحل أي أنها فئة وليدة تغير، وتريد التعبير بوعي واصرار، حتى لو كانت الدوافع ليست دائما (قناعات) سياسية ملتزمة واضحة، بل مجرد انسياق إلى مجريات الخطاب السائد لدى الفئة، في سبيل اثبات الذات واكتساب شرعية الانتماء إلى الطليعة، واحتلال موقع بارز ضمن النخبة"[1].

الوضع السياسي القائم بعد حرب عام 67 عكس بظلاله على مدينة القدس كما هو الوضع في فلسطين كلها والعالم العربي، برز ذلك في رواية " قصة حب مقدسية "، والتي تحدثت عن الوحدة العربية، واقتران هذه الأحداث بدعم قضية القدس والربط بين مدينة عربية والقدس له دلالاته في فشل هذه المدن في حماية القدس والدفاع عنها، والدعوة إلى توحيد الصفوف واسترجاع الماضي، عندما تساءل المقدسي قائلاً: " أليست دمشق هي المدينة الأثيرة إلى قلب صلاح الدين الذي مر بها ورحبت به أثناء نقله المنبر من حلب إلى دمشق على ظهور الخيل في الليل ؟ أليست هي اليوم عاصمة القائد صلاح البيطار الذي وعدنا بتحرير فلسطين من الغاصبين والإنسان العربي من قيود الاستبداد والتبعية للآخر كي نعود أسياداً كما كنا في الماضي ؟ آخ كم تدميني المقاربة بين ماضي الأجداد وحاضر الاستعباد والاستحمار الذي يفرضه علينا النظام العربي المهترئ بالحديد والنار ! " [2]

أما الواقع السياسي فقد كانت له انعكاساته فحريق منبر صلاح الدين التاريخي هو رمز للواقع المنهزم اليوم في المدينة المقدسة كما قالت راحيلا مزراحي لأحمد المقدس " شعبك يستحق أكثر من الهزيمة ! اسمع يا هذا حريق المنبر أول هزائمكم الحقيقية وما سيأتي أفظع.. "[3]

---

[1] الدغمي، محمد: **الرواية المغربية والتغير الاجتماعي، دراسة سوسيو – ثقافية**، افريقيا الشرق، 1991م.

[2] العيلة، يوسف: **قصة حب مقدسية**، ص 49

[3] المصدر نفسه، ص **59**

7.3 رمزية الدوال الثقافية

مثلت المظاهر التراثية المادية والمعنوية المختلفة منها العادات والتقاليد الاجتماعيــة، والمعتقدات والتمائم والأساطير، والحكايات والأغاني الشعبية، والمباني القديمة مــن بيــوت ومساجد ومدارس وأوانٍ وأدوات، جزءاً من التراث والموروث الشعبي القديم، والتـــي تعــد ركيزة من ركائز وحضارة الأمم، فمن ليس له ماض ليس له حاضر ولا مستقبل، وأبــرزت الحياة التعليمة والمراكز الثقافية الحديثة، جزءاً آخر من المظاهر الثقافية داخل المجتمع.

وقد تعددت الرموز الثقافية في الرواية الفلسطينية، والتي قدمت أبعاداً دلاليــه حــول واقع القضية الفلسطينية والقدس، وفق مجموع المرجعيات الفكرية التـــي يعيشـــها الإنســـان الفلسطيني، وما يحمله داخله من عادات وتقاليد ومـــوروث يعـــيش فـــي التفكيـــر الجمعـــي الفلسطيني، وما يمر به من أوضاع سياسية وأحـــوال اقتصـــادية وعلميـــة وثقافيـــة، وكـــان لخصوصية الحالة الفلسطينية أثرها وانعكاساتها على الرواية الفلسطينية.

ويعد الموروث الثقافي أحد جوانب الابداع الفني في العمل الأدبي، ولذلك كان هنـــاك استلهام للتراث، وتوظيف مرجعياته المعرفية في خدمة النص، وتسخير التراث ليخدم أبعـــاد التجربة الأدبية، والتعبير عن رؤى الأديب، وفهمه لأسرار الحياة، وتوظيفه توظيفاً لا يجهـــل روح الأمة ونبضها وأبعاد التجربة الإنسانية فيها [1].

روايتا " حمام العين " و" صبري " لعزام أبو السعود عكست بعض الجوانب الثقافيـــة، منها ما يتعلق بقضية التعليم في القدس فترة الحكم العثماني، حيث أن " قلة من بنات القدس كُنّ يذهبن إلى المدارس، الأمية بين النساء كانت هي الأغلب، حتى بين بنات العائلات المعروفـــة في القدس"[2]، وإن دل ذلك على شيء فانه يدل على الأحوال التعليمية المتردية، وانتشار الأمية بشكل ملفت وخاصة في أوساط الفتيات وأبناء العائلات المتوسطة، أما أبناء العائلات الميسورة فقد كانت ترسل أبناءها للدراسة في الخارج كما حدث مع الدكتور فؤاد وابنه صبري.

---

[1] ينظر، جابر، عبد المجيد: جماليات المكان في رواية خلود، pulpit .alwatanvoice com

[2] أبو السعود، عزام توفيق: **صبري**، ص 52

كم أطلت بعض العادات والتقاليد وما يتعلق منها بالعرف حول ما كـان سـائدا فـي القدس، منها عادات الزواج في تلك الفترة، بداية من طلبة العـروس، وقـدوم جاهـة أهـل العريس، وما يقدم من قهوة وحلوى، وعدم شرب القهوة عند أهل العريس إلا بعـد الموافقـة على طلبهم بزواج ابنهم، ثم قراءة الفاتحة، وتوزيع القهوة، ثم تقديم ما يسمى (الملاك)، خلال طقوس خاصة تتم في منزل والد العروس وأمام الحاضرين و" الملاك يعبر أيضا عـن ذوق أهل العريس في اختيار أنواع الأقمشة، ويشير إلى مقدار ثراء أهل العريس أيضا"[1] وتظهـر عادات وتقاليد الزواج ما يتعلق بالموروث الشعبي المتداول منذ القدم، منها ما له أصول دينية، أو نابع من عادات وتقاليد عربية أصيلة، عكست أصالة مدينة القدس العربية كما أراد الكاتب أن يبرزها من خلال تمسك أبنائها بالعادات والتقاليد تمسكهم بالأرض، ولترمز وتكون أقـرب الى الواقع الشعبي المعاش في القدس، وترسيخ هذا الموروث ليحمله الأبناء.

وتوظيف المكان التراثي وهو حمام العين الذي مهد لأحداث سوف تقع في القدس، فهو مكان معادل للراحة، وتجدد الحياة حيث يذهب له الرجال للاستحمام قبل حفلات الزواج، كما كان ذهاب الرجال للاستحمام في الحمامات العامة منتشراً مع وجود الحمامات التاريخية منـذ العصور الإسلامية، من أكثر العادات في تلك الفترة انتشاراً في القدس والقادمين إليها، ومـا تميزت به هذه الحمامات من النظافة والعناية، حيث كان ضيوف الدكتور فؤاد وغيرهم مـن القادمين للقدس يذهبون إليها، فهي رمز للأصالة، وإطار تجري فيه مناقشة الأحداث السياسية والاقتصادية التي تحدث داخل المدينة المقدسة.

أما استقبالات النساء وظاهرة انتشار الصالونات التي تجمع فيها داخل أحد البيوت في القدس، كما كان يحدث في منزل الدكتور فؤاد عندما كانت نساء العائلات المعروفة يسـتمعن لأحاديث جيهان وقصصها وعزفها على العود، هي دلالة وضع اجتماعي خاص انتشـر فـي القدس، حيث لم تكن النساء تخرج الا للزيارات البيتية، في اشارة إلـى المجتمـع المقدسـي المحافظ والذي تمسك بقضية الحسب والنسب في الزواج والعلاقات الاجتماعيـة، فجيهـان "

[1] أبو السعود، عزام توفيق: **صبري**، ص 135

وأصلها غير المعروف وكونها ابنة بالتبني هي أمور لا تجهلها جميع العائلات المقدسية، التي تهتم بالحسب والنسب"[1].

كما كانت سقاية زائري القدس في المواسم الدينية جزء من العادات والتقاليد في تلك الفترة، حيث كانت هذه المهمة موزعة على أبناء العائلات المقدسية التي كانت تقوم بذلك بشكل دوري، ومن المواسم الدينية موسم النبي موسى، حيث كان " دور السقاية هذا العام هو على عائلة صبري، فقد كانت العائلات المقدسية تتناوب كل عام على خدمة الوافدين اليها... يقومون بتوفير الماء للحجاج.. وبعض العائلات كانت تقدم عصير الليمون " الليمونادة " أو التمر هندي"[2]، فسقاية الحجاج القادمين في المواسم الدينية للقدس معادلا لقداسة المدينة واكرام حجاجها وهي تقارب سقاية الحجاج في مكة المكرمة، فكلاهما مكان مقدس له هيبته الدينية، ومن الأماكن التي تشد إليها الرحال، كما حمل دلالة على عادات أصيلة وثقافة متوارث بين أبناء العائلات المقدسية على سدانة الحرم القدسي وخدمة الوفود القادمة.

أما روايات ديمة السمان فقد سلطت الضوء على بعض الجوانب الثقافية في القدس، حيث " يبرز التراث الشعبي في روايات ديمة السمان، بصورة واضحة وبكثافة عالية فهي تستعين بنماذج من الأمثال الشعبية، والقصص الشعبية، والحكايات الشعبية"[3].

قدمت الكاتبة الأمثال الشعبية في رواياتها لما لها من تأثير على المتلقي، ولقربها من حياة الناس بسبب لغتها المحكية الشعبية، فهناك أمثال حملت دلالاتٍ ايجابية وأخرى سلبية منها:" اشتدي يا أزمة تفرجي"[4] تعطي دلالة بالتفاؤل والأمل وقرب الفرج لما وصلت إليه الأوضاع في القدس خلال تلك الفترة، "يا روح ما بعدك روح"[5] وهو مثل سلبي يدل على

[1] أبو السعو د، عزام توفيق: **حمام العين**، ص 45

[2] أبو السعود، عزام توفيق: **صبري**، ص 83

[3] الجندي، سمير: **الرواية الفلسطينية والتراث**، ص 205

[4] السمان، ديمة جمعة، **برج اللقلق**، ج 2، 242

[5] المصدر نفسه، ج 2، ص 296

سياسة مقاومة الاستعمار في القدس، في التضحية بأصحاب الأرض في سبيل تحقيق أهدافه الاستعمارية.

وأمثال أخرى صورت حال القدس وانتشار المجاعة فيها، وما وصل إليه حال الناس " الجوع كافر يا عنبرة.. فلا لوم على جائع.. وما حصل لا يمكن أن يكون مقياسا لإخلاص أو خيانة.. فالظرف قاهر"[1] وأمثال أخرى هي دلالة على الواقع السياسي والاجتماعي في القدس، وما كان سائداً بينهم من علاقات، فكل مثل له دلالته التي تتحدث عن حالة خاصة منها"[2]، و"قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق"[3]، "الكف لا يناطح مخرز "[4] "عيش وخللي غيرك يعيش"، "والعطار الى جانب العطار والرزق على الله"[5].

وقدمت في الرواية بعض المهن التقليدية التي عرفت في القدس منها مهنة (العتالة)، وبرزت بعض المصطلحات الشعبية التراثية لهذه المهن، وهي من المهن التي عمل بها عبد الجبار حيث دخل الساحة في باب العامود " ولا شيء معه سوى خرج يضعه على ظهر بغله.. لا حبل ولا بردعة ولا كلابة يرمي بها أكياس الحبوب والبقول على ظهره.. لا شيء أبدا من لوازم العتالة.. ولا خبرة في التحميل.. أو التنزيل... وما أن رفع عبد الجبار الصرة من الجهة اليمنى للبغل حتى وقعت تسحب معها السرج من الجهة اليسرى.. فعاد يرفعها من الجهة اليسرى.. فاحتار ماذا يفعل"[6].

كما سلطت روايتها " بنت الأصول " الضوء على انتشار المجاعة والفقر من جانب، وتسلط الحكم العثماني والاستعمار الانجليزي من جانب آخر دلالته الواضحة وانعكاسه على انتشار الأفكار والثقافة السلبية والحكايات الخرافية في تفسير بعض الأحداث التي يعجز العقل

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **الضلع المفقود**، ص 33 – ص 34

[2] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج 1، ص 12

[3] المصدر نفسه، ج 1، ص 40 – ص 100

[4] المصدر نفسه، ج 1، ص 100

[5] المصدر نفسه، ج 2، ص 295

[6] المصدر نفسه، ج 1، ص 13

عن تفسيرها وأصبحت جزءاً من التفكير الجمعي السائد، وهذا ما دعا الحاج رشيد مريم للقيام به في سبيل عندما فال لها: " ما المانع أن تقومي ببعض الأدعية.. وكتابة بعض الآيات تعملين منها أحجبه شافية بإذن الله.. فأنت صاحبة قلب طاهر.. والمقبولة واسطتها عند الله.. والله قد تصبحين من أغنى أغنياء المدينة.. الجميع يؤمنون بك.. ويعتقدون أن سلطانك قـوي علـى الإنس والجان.. وأصبح الناس يطمحون بالإنسان الصالح يستعينون بشـفاعته علـى رفـع الكوارث والمصائب ورفع البلاء " [1] هكذا صورة الكاتبة الفكر والثقافة السائدة في القدس فـي تلك الفترة .

أما " الرصد " هو رمز للخوف الذي يسكن بداخلهم، وهو كذلك رمز للعدو الغاصب، خوفهم من المجهول الذي لا يعرفونه، حين انتشرت اشاعات في حي الـواد عـن الرصـد المدفون داخل حفرة في الأرض، والذي أكدت الحاجة أمينة على وجوده في المنـزل تحـت شجرة التوت التي أراد الحاج رشيد الحفر فيه لاستخراج الكنز المزعوم في بيته " لقد رأينـا الرصد أنا وأنت.. وهناك ألف شاهد وشاهد رأوا الرصد مثلنا.. وأن حيّنا هذا فيه أكثر مـن رصد واحد.. كم من شخص من أهل الحي.. أسقط الخوف شعر رأسه.. ولجم لسانه.. يا حاج رشيد إن رؤية الرصد شيء رهيب.. فكيف بك أنت الذي تذهب إليه تورق نومه ؟؟ اتعظ يـا رجل " [2]

أما الكنز الذي وجد مدفوناً في حوش بيت آل رشيد، حين دفع الطمع الحاج رشيد إلى حفر الأرض لاستخراجه، هو رمز للوطن السليب، ومصادرة المستعمر للإرث الوطني وأخذه بالقوة المتمثل في السيف والترس والدرع، هي أيضا رمز للوسيلة التي دافع بها أجدادنا عـن أرض بيت المقدس.

دل ضريح الشيخ علي جد عبد الجبار، في روايتها " برج اللقلق " إلى حالـة العجـز والفشل، فزيارة القبور والتي هي جزء من الموروث الفكري الجمعي، هي رمز للضعف الذي

[1] السمان، ديمة جمعة: **بنت الأصول**، ص 22

[2] المصدر نفسه، ص 26

يصيب الآخرين في توجههم إلى القبور والأضرحة لتحقيق رغباتهم وأمانيهم بدلاً من العمل الحقيقي والجاد لتحقيقها، والكاتبة رمزت بذلك إلى حالة العجز التي سادت في القدس عن مقاومة حالة الفقر والجهل أبان الحكم العثماني، حيث " كان الجد عبد الجبار يصلي في أهل الحي إماماً.. تجمعهم صلاة العشاء أمام ضريح الشيخ علي.. وقد علقوا ثلاثة أسرجه على أغصان الشجرة.. يتماوج نورها ظلالاً.. فيعطي الجو مزيداً من الخشوع والرهبة "[1] التمسك بموروث الآباء والأجداد وأمجادهم عندما حرروا القدس، دون أن يحاولوا هم أن يفعلوا شيئاً.

كما برز السيف وسيلة استخدمها الأجداد قديما للدفاع عن الأرض والمقدسات، وما ينظر إليه الآخرون على أنه رمز تراثي، يراه عبد الجبار رمزاً لتحرير القدس من الانجليز ثم اليهود عندما قال: " بهذا السيف استرد صلاح الدين القدس أيها الأغبياء"[2]، في اشارة إلى ضرورة مقاومة العدو كما فعل الأجداد.

قدمت رواية " كافر سبت " نقدا للحالة التعليمية في القدس ولطبيعة المناهج التعليمية التي تقدم للمقدسيين، والتي لا تطرح قضية القدس وتاريخ فلسطين، فاليهودي يتعلم " كيف يعود إلى " إرتس يسرائيل (أي أرض إسرائيل) " [3] أما نبيه فقد عقد في مقابل ذلك مقارنة مع الآخر في اهتمامه بالحديث عن تاريخ انتصاراتهم على الجيوش العربية، أما " نحن من يحارب من أجل الحفاظ على ذاكرتنا، وتاريخنا، من الطمس على يد الاحتلال وأجهزته.. وبالرغم من ذلك فنحن منهمكون في تعلم تاريخ أوروبا، في المنهاج الدراسي، وفي أحسن الأحوال يعلموننا في المنهاج الأردني – الذي كنا نتعلمه في القدس حتى العام 2003 –.. أما ما حصل ويحصل في القرنيين الأخيرين، وما له من أهمية في تاريخ قضيتنا المعاصرة فهو مغيب تماما " [4]

---

[1] السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج 1، ص 7

[2] المصدر نفسه، ج2، ص 413

[3] الحسني، عارف: **كافر سبت**، ص 68

[4] المصدر نفسه، ص 69

كما تحدثت الرواية عن الأزمة التعليمية الخانقة في القدس، عندما " كنا نغير وردية المدرسة كل شهر.. لتحل المدرسة أزمة تعليم العدد الكبير من الطلاب، أما بالنسبة للمعلمين، والصفوف، والدوام، فليسوا الأهم في المعادلة"[1] انعكس الصراع السياسي القائم في القدس على المستوى التعليمي والثقافي فيها، ودلت سياسة الآخر دلالة واضحة على سعيه الدائم لترحيل المقدسيين وتهجيرهم بشكل ممنهج إلى خارج المدينة.

تعرضت رواية " مقدسية أنا " لبعض العادات والتقاليد داخل المجتمع المقدسي والفلسطيني، وقدمت نقدا ذاتيا لها، منها ارتباط ابنة العم من ابن عمها منذ الطفولة للمحافظة على الروابط الأسرية والأملاك داخل العائلة، ودون أي اعتبار لرأي الشاب والبنت عندما يكبران " يوم ولدت زار جدك وعمك أبو جابر أباك في السجن وبشروه بك ومن فرحته قال: إن شاء الله ستكون من نصيب ابنك"[2].

وكشفت رواية " خلود " عن واقع اجتماعي وأُسري صعب مرت به القدس بعد حرب عام 1967، عندما قال الراوي " لقد نسينا أخذ طبلية معنا"[3]، " الطعام الذي يجمعنا على العشاء كل ليلة.. فهل سنجتمع على العشاء من جديد؟ هل سيكون عشاء بعد الآن ؟ "[4]، الطبلية هي عبارة عن طاولة خشبية قصيرة يتم الجلوس عليها لتناول الطعام وأغراض أخرى، وهي دلالة تراثية يرمز ضياعها هنا إلى التفكك الاسري وضياع للبيت ودفء الاسرة والحياة المستقرة، وفي ذلك استفهام انكاري بأن ذلك لن يحدث.

أما الزيت والزيتون وهما رمز للسلام الضائع في القدس، ولقيمة هذه الشجرة المباركة، واهميتها عند الفلسطينيين باعتبارها رمزا لصموده " تركنا البيت لم نأخذ بيدنا سوى تنكة زيت الزيتون.. فجأة سقطت من يد أبو زهير صفيحة الزيت بعد أن نزعت الحلقة..

[1] الحسني، عارف: **كافر سبت**، ص 71 – ص 72
[2] مهنا، علاء مفيد: **مقدسية أنا**، ص 23
[3] الجندي، سمير: **خلود**، ص 28
[4] المصدر نفسه، ص 31

فانسكب الزيت على الأرض، ليكتمل الألم"[1] بانسكاب الزيت رمز لضياع الأمل، وبداية التشرد والحاجة والفقر وفقدان الأمان، والزيتون هو رمز لفلسطين التي احتلت.

بوابات القدس العتيقة ذات الخشب المتهالك تحمل دلالة ضياع وسقوط القدس " أمام بوابة خشبية بنية اللون دَفَعَ إحدى دفتيها التي كانت مفتوحة، والأخرى مثبته بقضيب حديدي من الداخل " [2]، المدينة والحلم، والبوابة هي العتبة والمدخل للبيت فاذا وقعت سقط البيت " مشينا باتجاه المسجد الأقصى، الباب مغلق، عدنا مع العائدين أدراجهم، سرنا مع أثقالنا، وخوفنا " [3]، وهناك بوابات مغلقه ترمز للمقاومة ورفض المحتل عندما " كانت رائحة التوابل هي إياها، تفصح عن نفسها تتسلل من خلف أبواب الحوانيت المغلقة، تصرخ معلنة عن رفضها للغرباء " [4]

والجسر الخشبي الذي سار عليه النازحون من القدس، هو طريق باتجاه واحد، هو رمز لسير الفلسطينيين باتجاه المجهول، دلالة أن لا عودة إلى القدس أو فلسطين، وخروج إلى متاهات غربة قد تطول، عندما وقف سائق الحافلة التي كانت تقل الناس من القدس أبان حرب 67 عبر جسر نهر الأردن الخشبي قائلاً " نحن أمام الجسر الخشبي، والطريق باتجاه واحد، فمن يقطع الجسر الخشبي، لن يكون باستطاعته العودة.. " [5]

كما عرضت الرواية لبعض الأمثال الشعبية والتي حفظت في التفكير الجمعي الفلسطيني لما تحمله من دلالات ورموز منها " فاقد الشيء لا يعطيه"[6]، في وصف خلود لزوجها العاجز عن حمايتها، وتوفير الحب والرعاية لها، و"جنة من دون ناس ما بتنداس"[7]،

---

[1] الجندي، سمير: **خلود**، ص 23 – ص 28

[2] المصدر نفسه، ص 29

[3] المصدر نفسه، ص 35

[4] المصدر نفسه، ص 27

[5] المصدر نفسه، ص 33

[6] المصدر نفسه، ص **1**

[7] المصدر نفسه، ص 72

أي أن الوطن هو الجنة الحقيقية للإنسان، وأن بلاد الأرض مهما كانت جميلة لن تعوض الانسان عن وطنة، ويمثل ذلك دعوة لعودة اللاجئين إلى وطنهم مهما كلف الأمر.

قدمت رواية " المسكوبية " ثقافة خاصة بمعاناة الشعب الفلسطيني وتجربته النضالية، والتي أصبحت جزءاً من مخزون الذاكرة النضالية الفلسطينية، في المعاناة داخل الأسر القائمة على الصراع مع المحققين، ومحاولة هؤلاء الحثيثة لكسر إرادة المعتقلين من المقدسيين وغيرهم من أبناء فلسطين، وانتصار الارادة القوية على السجان، وفي ذلك رسالة موجهة إلى المقدسي والفلسطيني إلى الثبات والصمود في وجه الآخر ومقاومته.

كما طرحت الرواية مصطلحاتٍ خاصة بأدب وثقافة السجون، والتي دخلت ضمن الثقافة الفلسطينية، منها المسلخ، وغرفة الشبح، المعبار، والفورة، بركة السقيع، كل أساليب التعذيب هذه حملت سيمفونية عذابات وآلام الفلسطيني داخل السجن وخارجه، والسجن هو أيضاً رمز للوطن الكبير الذي يعيش بداخله الفلسطيني محاصرا.

أما الحصان جاء رمزاً أسطورياً في رواية " زمن الخيول البيضاء "، فقد اكتسبت الخيول تقديرا وقدسية في الثقافة الشعبية، والموروث الثقافي، للتعبير عن الأصالة العربية، والمتمثلة في أهل القدس والتي برزت في الرواية عندما تقدم خالد ابن الحاج محمود من قرية الهادية لخطبة أمل ابنة أحد تجار القدس، والتي وصفت بالمهرة عند طلب يدها لما فيها من الأصالة والتي لم يجدها في فتيات الهادية، وانما في أمل رمز القدس التي تمسك بها وأحبها دون غيرها من مدن فلسطين.

كما أخذت الحمامة في هذه الرواية رمزاً آخر للصفاء والطهارة، وبرزت معادلا رمزيا للسلام المفقود، عند ذكر أسراب الحمام المحترقة والقادمة في الأفق من بعيد.

وجاء استلهام الاسطورة في رواية " قلادة فينوس " لوصف حالة العجز والمقاومة السلبية ضد العادات والتقاليد داخل المجتمع المقدسي، كما رمزت القلادة إلى تجدد الحياة واستمرارها، فالقلادة هي " لفينوس " وهي مفتاح الحياة، واشارة إلى جيل آخر سيستمر على

طريق المقاومة، ويحمل الحياة والأمل لأجيال تأتي بعده، " – أنا فينوس، لا تنسي يا ديما أنك فينوس الآن، ما دمت ترتدين قلادتي فأنت امتدادي. وأنا الحب.

- فكري معي: هل يمكن أن يكبر حب في هذه المدينة المشعة ؟
- إن حكمها العدل، ستشع هذه المدينة حباً، ستأتين ذات يوم، ستجدين راجي في بيته.. " [1]

[1] الجنيدي، أماني : **قلادة فينوس**، ص 125

الخاتمة

الحمد لله وكفى وبعد، يعجز أي عمل أدبي عن الإحاطة بالقدس بسحرها وقداستها، وجمالياتها المكانية، وأبعادها الزمانية، وهي المدينة الحلم والواقع، تكونت عبر تراكمات للتاريخ الذي سار على قدميه عبر جبال القدس ووديانها ؛ ليرسم بيديه ملامح المدينة المقدسة ثم ليشكل الزمن خلاله امتداداً وقعت فيه أحداث أثرت في حياة المدينة ؛ لتعكس واقع قضية وحياة شعب، ومآل مدينة أبت إلا أن تبقى شامخة في وجه كل معتد، صامدة بزمانها ومكانها عبر التاريخ.

تحدث عنها الأدباء والشعراء ؛ فكان لهؤلاء دورهم في إبراز المدينة من خلال أعمالهم الأدبية المختلفة، وكان لكتاب الرواية الذين تحدثوا عن القدس عبر طيات أعمالهم الروائية دورٌ لا يمكن إغفاله، في إظهار المدينة بجمالياتها المكانية، وأبعادها الزمانية، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وسعيهم إلى إضاءة على جوانب من إرثها الديني والحضاري والثقافي.

إنها المدينة الحلم للكثيرين ممن لم يتمكنوا من الوصول إليها إلا من خلال أدبهم ؛ لتبقى خالدة في رواياتهم، بعضهم تحدث عنها عبر ما حمله في الذاكرة قبل رحيله عنها إلى أصقاع الدنيا، وبعضهم نقلها في أدبه بناء على معايشة حقيقية للمكان الذي ولد فيه ويعيش فيه، وصورها من خلال نصوصه الأدبية مكاناً حقيقياً عاش فيه زمانها ومكانها وشهد حاضرها وتغيراتها اليومية، ومنهم من وصل للمدينة عبر تاريخها، أو بكونها قضية سياسية أو اجتماعية، فهو لم يعايش المكان معايشة حقيقية، ولكنه سعى إلى إبراز قدسيتها، وقيمتها التاريخية والسياسية والدينية، وربطها بأحداث ووقائع أثرت فيها أو تأثرت بها.

اختلف حضور القدس المكاني والدلالات التي حملها المكان بين روايات الكتاب المقدسيين وغير المقدسيين؛ ففي روايات الكتاب المقدسيين اختلفت صورة المكان ودلالاته، فبرزت القدس في روايات ديمة السمان المكان محملاً بدلالات تاريخية وسياسية ودينية

واجتماعية، ففي روايتها " برج اللقلق " حضرت القدس متمثلة في بيت عبد الجبار، وورد فيها ذكر لبعض الأماكن بتفاصيل دقيقة، ولكن المكان في هذه الرواية لم يعايش التغيرات الحديثة التي تمر بها القدس، أما روايتا " وجه من زمن آخر " و" بنت الأصول " فأطلتا على القدس من خلال بيت آل رشيد وعكس المكان الواقع الاجتماعي والثقافي السائد في القدس، دون الدخول في ذكر تفاصيل الأماكن أو إبراز التغيرات التي حدثت فيها.

أما روايتا عزام أبو السعود " صبري " وحمام العين "؛ فقد أخذتا طابع السرد التاريخي، حيث غيب المكان فيه إلا من ذكر بعض التفاصيل التاريخية له دون رصد التغيرات التي حدثت فيه خلال الفترات اللاحقة ؛ وحمل المكان دلالات اجتماعية وسياسية مرت بها القدس خلال تلك الفترة، وبقيت تفاصيل المكان غير بارزة وإن ورد ذكر لها في بعض المواضع دون تفاصيل كثيرة.

وبرز المكان حاملاً ثنائية ضدية في رواية " كافر سبت " لعارف الحسني ؛ حين أطل المكان ليسرد الواقع الجديد للقدس والتغيرات التي يعايشها المكان، ثم الكشف عن بعض جوانب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، كما كشف المكان عن علاقة المقدسي بالآخر وإبراز بعض المعتقدات التي يحملها، وأبرزت المكان أيضاً علاقة المقدسي بالقدس ، والتطورات الراهنة التي يعايشها المقدسيون في ظل الوضع القائم.

أما الكتاب المقدسيون ممن يقيمون خارج المدينة ؛ فقد غُيب حضور في نتاجهم المكان بما وقع فيه من تغيرات وأحداث ، واعتمد حضور المكان في هذه الروايات على ما علق في الذاكرة قبل رحيلهم عنها وليس عن معايشة واقعية للمكان، أو متابعة حقيقية للتغيرات التي طرأت على المدينة ؛ بسبب وجودهم خارج الوطن؛ ففي رواية عيسى بلاطة " عائد إلى القدس " حضر المكان من خلال الذكريات التي عاشها فؤاد قبل رحيله عن القدس إلى أمريكا للدراسة، فحضر المكان من خلال ذكريات الطفولة وبدايات الشباب التي عاشها في أزقة القدس وحاراتها قبل الحرب وقبل رحيله عنها، فظهر المكان تلفه الضبابية، وظهرت صورة القدس باهة الملامح والتفاصيل.

وصورة القدس في رواية عادل سالم " عاشق على أسوار القدس " لم تكــن أكثــر وضوحاً من رواية عيسى بلاطة؛ فقد خلا المكان من الوصف الدقيق، أو رصد التغيرات التي وقعت فيه، وظهر المكان عبر سرد معلومات لأماكن ذكرها سرحان لأبنائــه فــي جــولتهم الأولى للقدس بعد عودتهم من أمريكا، دون الولوج إلى تفاصيل الواقع السياسي والاقتصــادي الذي تعيشه المدينة، سوى إشارة إلى قضية الهوية، وسياسة سحب الهويات من المقدسيين بعد تركهم القدس لمدة من الزمن.

لم تكن المدينة صاحبة حضور روائي بارز بالتفاصيل والتغيرات التي وقعت فيها في روايات الكتاب غير المقدسيين ؛ حيث جاءت صورة القدس دون التعمق في تفاصيل المكان وإبرازها، فقد حضرت حدثاً ذا دلالات سياسية وثقافية، واجتماعية، وحملــت أحيانــاً دلالات أسطورية ورمزية.

وفي روايتي يوسف العيلة " قصة حب مقدسية " و" الراهب يعقوب " ؛ جاءت صورة القدس محملة بدلالات سياسية، ورموز تاريخية، وأعاد كاتبها سرد تاريخ المدينة، بأحــداث وشخصيات تاريخية، وأبرز واقع ضياع المدينة من خلال حرق منبر صلاح الدين ، وســلط الضوء على طبيعة الصراعات السياسية وتأثيرها على المدينة.

اقترنت القدس بصورة الحلم المفقود في روايات سحر خليفة ؛ وحمل المكان دلالات ضياع المدينة في روايتيها " صورة وأيقونة وعهد قديم " و" الميراث "، وهمــا وإن تناولتــا الحديث عن بعض الأماكن في القدس ولكن الوصف خلا من ذكر تفاصيل للمكــان، وقــدمتا وصفاً عاماً للمدينة، أما في روايتيها " الصبار " و" عباد الشمس "، فلم يكن حضــور القــدس فيهما بارزاً، وظهرت مكاناً مر به عادل الكرمي أثناء عودته إلى مدينتــه نــابلس، فوصــف المكان وصف العابر له.

وفي روايتي أحمد حرب " إسماعيل " و" الجانب الآخر لأرض الميعاد "، برز المكان ليحمل ذكريات الحرب و ضياع المدينة ، وتصوير الصراع القائم مع الآخر، وأطلت بعــض

الأماكن في القدس تحمل ذكريات الحرب التي عاشتها الشخصية الرئيسة إسماعيل أثناء مروره بالقدس.

وبقيت المدينة الحلم ذات الحضور الخافت في روايتي أسعد الأسعد " ليل البنفسج " و" عري الذاكرة "، وورد ذكر قليل لبعض الأماكن التي مر بها بطل الرواية زيد بن الرجوان أثناء عودته لها بعد حرب (67)، وقد خلت من ذكر تفاصيل المكان.

ثم هي مدينة الحب والذكريات في رواية " مرافئ الوهم " لليلى الأطرش، فالقدس هنا هي دلالة الحب والوطن المفقود، وضياع الحب فيها هو معادل لضياع القدس وسقوطها، وهي مكان محمل بذكريات ، والأماكن فيه ضبابية وغير واضحة المعالم.

وبرزت المدينة سجناً كبيراً في رواية " المسكوبية " لأسامة العيسة، دون الخروج للحديث عن الأماكن في القدس بتفاصيلها، وجاء ذكر الأماكن وتفاصيل الأحداث التي وقعت فيها بناءً على ما رواه نزلاء المسكوبية عنها، دون معرفة واضطلاع على تفاصيل المكان؛ وعكس المكان دلالة واقع الألم والمعاناة التي تمر بها المدينة .

ومن خلال الأسطورة أطلت القدس في رواية " قلادة فينوس " لأماني الجنيدي، ولم يتم الخوض في تفاصيل الأماكن حيث ظهرت صورة القدس فيها ضبابية خالية من التفاصيل، محملة بكثير من الرموز والدلالات الدالة والتي عكست واقع المدينة المقسمة وما تعانيه من تمزق وألم، وسط حالة من الضياع وعدم وضوح الرؤية.

واختلفت دلالات الزمن في روايات الكتاب المقدسيين وغير المقدسيين ؛ فبرز الزمن في روايات الكتاب المقدسيين ممن يقيمون داخل المدينة بين ثنائية الماضي والحاضر، وحديث قليل عن المستقبل، وسار الزمن في هذه الروايات من الماضي إلى الحاضر إلى وضع تصور لمستقبل مجهول غير واضح المعالم، وسط توقعات تفرضها ظروف واقعية بعيدة المنال؛ فالماضي هو الذكريات الجميلة وأيام الطفولة والشباب في القدس، أو هو زمن التاريخ العربي الاسلامي ؛ الذي تمسكوا به للهروب من الواقع المؤلم إلى أحلام الماضي الجميل، ولإسقاط

هذا الماضي على الحاضر والمستقبل لأخذ الدروس والعبر منه، أو لتنشيط الذاكرة كي لا تنسى ماضي الأجداد وما حمله من بناء وعمران موحيين بأصالة القدس وعراقتها؛ أما الحاضر فهو الواقع المؤلم بكل همومه ومعاناته وألمه الذي لا ينتهي، واقع المدينة المقسمة، وما طرأ عليها خلال السنوات اللاحقة من تغيرات .

وسيطر الزمن الماضي على روايات الكتاب المقدسيين ممن لا يقيمون داخل المدينة، حيث برز الزمن الماضي في هذه الروايات معتمداً على عنصر الاستذكار؛ استذكار الأيام التي أمضاها الرّوائي في القدس قبل رحيله عنها؛ لتبقى خالدة في الذاكرة، وهي تمثّل صورة الوطن المفقود؛ أما الحاضر فلم يعيشوه بتفاصيله وأحداثه، وهو زمن حمل المعاناة بعيداً عن القدس، أو عدم القدرة على مواكبة التغيرات التي تعايشها المدينة، وهي فترة زمنية لم يكونوا شهوداً عليها، وتحدثوا عنها من خلال ما علق في الذاكرة، أما المستقبل فهو أحلام العودة للوطن.

وهيمن الزمن الحاضر على روايات الكتاب غير المقدسين، حاضر لم يعايشوه إلا من خلال ما سمعوا عنه، هو حاضر المدينة بألمه ومعاناة أبنائه وعذاباتهم، وعكسوا من خلال هذا الحاضر زمن هزيمة القدس وضياعها ؛ أما الماضي فقد استحضره بعضهم لسرد تاريخ المدينة كما روتها مصادر التاريخ أو كما سمعوا عنها .

وبرزت الشخصيات تحمل دلالات مختلفة في الروايات التي تناولت نصوصها صورة القدس؛ فجاءت الشخصيات في الروايات التي كتبها كُتاب من القدس جاءت أقرب لواقع الحياة المقدسية، وبتفاصيل مقدسية حقيقية، حيث عكست هذه الشخصيات الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في المدينة، كما أبرزت هذه الشخصيات العادات والتقاليد السائدة في المجتمع المقدسي، وقدم الكتاب من خلالها تفاصيل البيت المقدسي حتى فيما يتعلق منها بالطعام والشراب واللباس والأثاث ؛ أما الصراعات التي عاشتها هذه الشخصيات فتكشف واقع المدينة، وما مرت به من أحداث، والأثر الذي تركته هذه الشخصيات في المكان والزمان وتأثرها بهما.

أما الشخصيات في روايات الكتاب غير المقدسيين ممن يقيمون خارج المدينة ؛ فهـي شخصيات عبرت المدينة ولم تعايش واقعها ولم تقم فيها؛ فظهرت معرفتهـا بهـا سـطحية، وربطتها بالمكان علاقة عابرة، وكانت شاهدة على الأماكن والأحداث من خلال ما قـرأت أو سمعت أو من خلال زيارة قد طالت أو قصرت، وهي شاهدة على بعض تغيرات في المكان دون إبراز تفاصيلها ، ومن الكتاب من أبرز شخصيات رمزية للوصل إلى المدينة من خلالها.

وحمل الرمز في الروايات التي عرضت صورة القدس دلالات سياسـية واجتماعيـة وثقافية ودينية عكست واقع المدينة من خلالها، وتميزت الرموز التـي تناولتهـا الروايـات بالوضوح والبعد عن الايغال في الرمزية، لطبيعة الهدف والرسالة التي تحملها؛ وهي إبـراز قضية القدس وقيمتها الدينية، ومعضلتها السياسية، والتغيـرات الاجتماعيـة والثقافيـة التـي تشهدها.

وقد تعددت صور الرمز وأشكاله في الروايات التي ظهرت فيها صـورة القـدس ؛ فهناك الرموز الأسطورية وتجلياتها في هذه الروايات ، كما أطلت الرموز التاريخيـة التـي انعكست على واقع المدينة، ولعبت الرموز الدينية ومدلولاتها دوراً في هذه الروايات ؛ لمـا للقدس من أهمية دينية ، وبرزت رموز لشخصيات سياسية وثقافية تركت أثرها علـى حيـاة المدينة.

وأخيراً يمكن القول إن الأحداث السياسية، والأوضاع الاجتماعية خلال فترات زمنية مختلفة من تاريخ المدينة، قد طغت على متون هذه النصوص الأدبية، فضـلاً عـن تكـرار الأفكار والموضوعات التي طرحتها هذه الروايات، وعدم وضوح الرؤيـة؛ حيـث بـرزت الأماكن في القدس من خلال سرد تاريخ المدينة، أو ضمن عرض قضية سياسية أو اجتماعية، دون دخول في تفاصيل تبرز المكان بحيثياته وتظهر جماليته، مما أضعف من تـألق القـدس الزماني والمكاني في هذه الروايات، ولكنها تبقى محاولات أدبية جادة، ومساعي صادقة تسعى لإظهار القدس مدينة صاحبة قداسة وتاريخ عريق تستحق الكتابة عنها، وأن تحفل بدراسات أخرى تبرز جمال المدينة وتألقها، وأضم صوتي إلى كل محب للقدس وعروبتها وأقول:

لِكُــــلِّ مــــنَ يُحـــبُ زهـــر قُدســــنا

لِكُلِّ مــنْ يمســحُ الــدمعَ فــي عــينِ طفلهــا

لِكُــلِّ مــن صَــلى فــي أقصــاها وقيامَتِهــا

لِكُلِّ مَــنْ تعلــقَ بِليلــةِ إســرائها ومعراجهــا

لِكُــلِّ مــن يرفــعُ الأذانَ فــوقَ مآذنهــا

لِكُــلِ مَــنْ عــاشَ زمانهــا ومكانهــا

ولكــلِّ مــن أضــاءَ بحبــه ليلهــا

وانحنــى يَقــرأ القــرآن تَحــتَ قبابهــا

وقــدّسَ دمــاءً ســالتْ فــوقَ أســوارها

وتعلـــقَ قلبُـــه بِحُبهـــا

ليهتف باسمِ صــلاحِ ديــنٍ يــأتي لتحريرهــا

ويبعــثُ الأمــل فــي نفــوسِ أبنائهــا

وَيقســمُ مــنْ فــوق عليائهــا

ستعودُ قدسنا، ستعودُ قدسنا، ســتعودُ قُدســنا

قائمة المصادر والمراجع

اولا: المصادر

القرآن الكريم.

ابن جعفر، قدامة: **نقد النثر**، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1979 م.

ابن جنى، ابو الفتح عثمان: **الخصائص**.1ج وتحقيق: محمد علي النجـــار.ط1، بيـــروت: دار الكتاب العربي.1952م

ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل: **لسان العرب** ، ط2 ، الرياض : دار الثبات ،1997 م.

أبو السعود، عزام توفيق: **حمام العين**، ط 1، القدس: الملتقى الفكري العربي، 2009 م.

أبو السعود، عزام: **صبري**، ط1، القدس: منشورات الدائرة الثقافية للمسرح الوطني الفلسطيني الحكواتي، 2008

الأسعد، أسعد عبد المنعم: **عري الذاكرة**، رام الله: بيت المقدس للنشر والتوزيع، 2010 م

الاسعد، أسعد عبد المنعم: **ليل البنفسج** ، ط1، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع،2010 م.

الأطرش، ليلى: **مرافئ الوهم**، بيروت: دار الآداب، 2005 م.

بدر، ليانة: **نجوم اريحا**، القاهرة: دار الهلال، 1993 م.

بلاطة، عيسى: **عائد إلى القدس**، بيروت: دار الاتحاد للطباعة والنشر،1998 م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**.1ج ،شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، ط7. القاهرة: مكتبة الخارجي.1998 م

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن: **دلائل الاعجاز**، تحقيق: محمـــود محمـــد شـــاكر.ط3 القاهرة: مكتبة الخارجي _مطبعة المدني1992 م.

الجندي، أماني: **قلادة فينوس**، ط1، رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية، 2009 م.

الجندي، سمير: **خلود**، ط1، القدس: القدس للكتب والطباعة ،2009 م.

الجوهري، اسماعيل بن حماد: **تاج اللغة وصحاح العربية** ، 5 مج. تحقيق احمد عبد الغفار عطار.ط4. بيروت دار العلم للملايين.1990 م

حرب، أحمد: اسماعيل ، **القدس** : وكالة ابو عرفة للنشر والتوزيع، 1987 م.

حرب، أحمد: **الجانب الآخر لأرض الميعاد**، ط2، بيروت: منشورات جامعة بيروت 1994 م.

الحسيني، عارف: **كافر سبت**، ط1، رام الله: دار الشروق للنشر والتوزيع،2012 م.

حميد، حسن: **مدنية الله**، ط1، رام الله: منشورات اتحاد كتاب فلسطين، 2009 م.

الحنبلي، مجير الدين: **الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل**.ج1. عمان: مكتبة المحتسب 1973م.

خلفية، سحر: **عباد الشمس**، ط3، بيروت: منشورات دار الآداب، 1987 م.

خليفة، سحر: **الصبار**، ط1 القدس: منشورات جاليلو، مطبعة الشرق التعاونية ،1976 م.

خليفة، سحر: **الميراث**، ط1، بيروت: دار الآداب، 1997 م.

خليفة، سحر: **صورة وايقونة وعهد قديم**، ط1، بيروت: دار الآداب،2002 م.

خوري، نبيل: **حارة النصارى من رسائل من القدس**، ط2، بيروت: دار النهار للنشر،1994م.

سالم، عادل: **عاشق على اسوار القدس**، القدس: دار الجندي للنشر والتوزيع ، 2012 م.

السكاكي، أبو يعقوب: **مفتاح العلوم**. تحقيق: أكرم عثمان يوسف. ط2.عمان: دار الرسالة 1983م.

السمان، ديمة جمعة: **الضلع المفقود**، ط1، القدس: دار العودة للدراسات والنشر، 1992 م.

السمان، ديمة جمعة: **القافلة**، كفر قرع: منشورات دار الهدى،1992 م.

السمان، ديمة جمعة: **برج اللقلق**، ج2،1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،2005 م.

السمان، ديمة جمعة: **بنت الاصول**، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009 م.

السمان، ديمة جمعة: **وجه من زمن آخر**، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،2011م.

الشويكي، ربحي: **أنشودة فرح**، ط1، القدس: منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين،1990 م.

العسكري، أبو الهلال: **كتاب الصناعتين**. تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد ابي الفضل ابراهيم. القاهرة: دار احياء الكتب العربية 1982 م.

العيسة، أسامة: **المسكوبية فصول من سيرة العذاب**،ط1، رام الله: منشورات مركز اوغاريت،2010 م.

العيلة، يوسف: **الراهب يعقوب**،ط1، القدس: منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 2011 م.

العيلة، يوسف: **قصة حب مقدسية**،ط1، القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 2009 م.

الفراهيدي، ابي عبد الرحمن خليل بن احمد: **كتاب العين**.ج4 تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. مصر: دار ومكتبة الهلال

الفيروز بادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**.3مج. بيروت: دار الجليل.

القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: **الايضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع**. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003 م.

مهنا، علاء مفيد: **مقدسية أنا**، ط 1، رام الله: مؤسسة عبد المحسن القطان، 2009 م.

نصر الله، ابراهيم: **زمن الخيول البيضاء**، بيروت الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007 م.

ثانياً: المراجع

ابراهيم، نصر محمد: **الفن القصصي في فلسطين دراسة نقدية تحليلية** ، بيروت : دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، 1982 م.

أحمد، حفيظة: **بنية الخطاب فـــي الروايـــة النســـائية الفلســـطينية 1950-2000**، رام الله: منشورات مركز اوغاريت الثقافي،2007 م

أحمد، محمد فتوح: **الرمز والرمزية في الشعر المعاصـــر**، ط 2، القـــاهرة: دار المعـــارف، 1978م.

ادونيس، علي احمد سعيد: **زمن الشعر**، بيروت: دار العودة،1996 م

الأسد، ناصر الدين: **محاضرات عن خليل بيدس رائد القصة العربية في فلسطين**، القـــاهرة: جامعة الدول العربية، 1963 م

الأسطة، عادل: **قضايا وظواهر نقدية في الوراية الفلسطينية**، عكا: مؤسسة الاسوار،2002 م

اسماعيل، طالب محمد، **مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضـــوء التطبيـــق القرآنـــي والـــنص الشعري**، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2009 م

اسماعيل، عز الدين: **الشعر العربي المعاصر – قضـــاياه وظـــواهره الفنيـــة والمعنويـــة –**، بيروت: دار العودة، 1972 م.

أبو اصبع، صالح: **فلسطين في الرواية العربية**، بيروت : منشورات مركز الأبحاث،1975 م

أنيس، ابراهيم: **دلالة الألفاظ**، ط3، مصر مكتبة الانجلو المصرية،1976 م.

البيطاوي، يوسف ذياب: **الرواية الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة 1967-1993**، رام الله منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية الهيئة العامة الفلسطينية للكتاب، 2009 م.

الجابري، فوزية لعيوس غازي: **التحليل البنيوي للرواية العربية**، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع،2011 م

الجندي، سمير: **الرواية الفلسطينية والتراث روايات ديمة السمان أنموذجا**، القدس: دار الجندي للنشر والتوزيع، 2011

حسان، تمام: **اللغة العربية معناها ومبناها**، ط4، القاهرة: علم الكتب،2004

حطيني، يوسف: **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب،1999 م.

خليل، ابراهيم: **في القصة والرواية الفلسطينية – نقد-**، عمان: دار ابن رشد للنشر والتوزيع، 1984م.

خواجة، علي حسن: **القدس في الرواية الفلسطينية بعد اوسلو نماذج مختارة**، مؤتمر الأدب الفلسطيني بعد اوسلو، الخليل: منشورات جامعة الخليل كلية الآدب بالتعاون مع مؤسسة قطان،2010 م .

أبو خلف، نادر: **الحضور الابداعي في الروايات التاريخية الشفوية عن القدس للكاتب المقدسي عزام توفيق ابو السعود**، مؤتمر حضور القدس في المشهد الأدبي الفلسطيني المعاصر 1900-2009، رام الله ك منشورات جامعة القدس، 2009

الداية، فايز: **علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تأصيلية نقدية**، دمشق: دار الفكر، 1985م

داوود ، عزيز حنا : **الشخصية بين السواء والمرض** ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، 1959م.

أبو ديب، كمال: **جدلية الخفاء والتجلي – دراسة بنيوية في الشـــعر**، بيـــروت: دار العلـــم للملايين، 1979م.

رشوان، حسين: **المدنية دراسة في علم الاجتماع الحضري**، الاسكندرية المكتـــب الجـــامعي الحديث، 1982م

رشيدي، رشاد: **فن القصة القصيرة**،ط2، بيروت: دار العودة ، 1975م

زايد، علي عشري: **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، القاهرة: دار العلوم، 1972م.

زكريا، ميشيل: **الالسنية وعلم اللغة**، ط 2، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراســـات والنشـــر والتوزيع، 1983م

سليمان، فتح الله أحمد: **الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، الرياض: الدار الفنية للتوزيع والنشر، 1990 م.

شاهين، أسماء: **جماليات المكان في روايات جبرا ابراهيم جبرا**، بيروت: المؤسســـة العربيـــة للدراسات والنشر، 2001

صايغ، توفيق: **عبر الأرض البوار عرق وقصص أخرى جبـــرا ابـــراهيم جبـــرا**، دمشـــق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1974 م

صلاح، صالح: **قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر**، القاهرة: دار شرقيات،1997 م

صليحة، نهاد: **المدارس المسرحية المعاصرة**، القاهرة: الهيئة المصـــرية العامـــة للكتـــاب، 1982م

طرابيش، جورج: **رمزية المرأة في الرواية العربية دراسات أخرى**، بيـــروت: دار الطليعـــة للطباعة والنشر،1981 م

طه، طه غالب عبد الرحيم: **صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شـــعراء المعلقـــات،** عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع،2009

عباس، احسان: **من الشعر،** بيروت: دار صادر، 1996 م.

عثمان، عبد الفتاح: **بناء الرواية _ دراسات في الرواية المصرية،** القاهرة: مكتبة الشـــباب، 1982م.

عدس، عبد الرحمن ومحي الدين توق: **المدخل إلى علم النفس،** عمان: دار الفكـــر ناشـــرون وموزعون، 2007 م .

أبو العدوس، يوسف: **الأسلوبية _ الرواية والتطبيق،** عمان: المسيرة للنشر والتوزيع،2007م.

عزام، محمد: **الاسلوبية – منهجا نقديا،** دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1989 م.

عصفور، جابر: **زمن الرواية،** دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 1999 م

علي، محمد محمد يونس: **المعنى وظلال المعنى انظمة الدلالة في العربية،** ط2، لبنـــان: دار المدار الاسلامي، 2007 م.

العواودة ، زين العابدين: **البنية الدلالية لخطاب السيرة الروائية الفلسطينية المنجز بعد اوسلو سردية رأيت رام الله " ولدت هناك ولدت هنا " للأديب مريد البرغوثي نموذجا،** مؤتمر الأدب الفلسطيني بعد اوسلو، الخليل: منشورات جامعة الخليل كلية الادب، 2011

عودة، علي محمد: **دراسة في الرواية الفلسطينية،** القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، 1910 م

عودة، علي: **الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية،** ط2، فلسطين. 1997م

العيد ، يمنى : **تقنيات السرد الروائي في ضوء المـــنهج البنيـــوي** ، ط 2 ، بيـــروت ، دار الفارابي ، 1999 م

العيلة، زكي: **المرأة في الرواية الفلسطينية**، رام الله: منشورات مركز اوغاريت الثقافي للنشر، 2003 م

غنايم، محمود: **تيار الوعي في الرواية الحديثة دراسة اسلوبية**، ط2، بيروت دار الجليل، القاهرة: دار الهدى، 1993 م.

فرنجية، بسام خليل: **الاغتراب في الرواية الفلسطينية**، بيروت: مؤسسة الابحاث العربية، 1989م.

فرهود، كمال قاسم: **أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**، شفا عمرو: مطبعة دار المشرق للترجمة والنشر، 1994

فضل، صلاح: **علم الاسلوب مبادئه واجراءاته**، ط1، مصر: دار الشروق، 1998 م.

قاسم، سيزا احمد: **بناء الرواية دراسة مقارنة ثلاثية نجيب محفوظ**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984 م

القاسم، نبيه: **دراسات في القصة المحلية**، عكا: دار الأسوار للطباعة والنشر 1979 م

قصوري، ادريس: **اسلوبية الرواية**، اربد: عالم الكتب الحديث،2008 م.

قطوس، بسام: **سيمياء العنوان**، عمان: منشورات وزارة الثقافة، 2002 م

كرم، انطوان غطاس: **الرمزية والادب العربي الحديث**، بيروت: دار الكشاف، 1949 م

الكيالي، عبد الوهاب: **تاريخ فلسطين الحديث**، ط9، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع،1985

لوشن، نور الهدى: **علم الدلالة دراسة تطبيقية**، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2006م.

أبو مطر، أحمد: **الرواية في الأدب الفلسطيني 1950-1975**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980 .

المسدي، عبد السلام: **الاسلوبية والاسلوب**، ط5، بيروت: دار الجديد المتحدة،2006 م.

النجار، سليم: **قراءات في الرواية الفلسطينية الحديثة**، عمان: دار الكرمل للنشر والتوزيع،1998.

النصير، ياسين: **الرواية والمكان دراسة المكان الروائي**، ط2، دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2010 م

نهر، هادي: **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، اربد: عالم الكتب الحديث،2008 م.

نور الدين، صدوق: **البداية في النص الروائي**، اللاذقية: دار الحوار،1994 م

هلال، محمد غنيمي: **النقد الادبي الحديث**، القاهرة: دار نهضة مصر،1979 م.

وادي، فاروق: **ثلاثة علامات في الرواية الفلسطينية غسان كنفاني، اميل حبيبي، جبرا ابراهيم جبرا**، عكا: مؤسسة الاسوار للطباعة والنشر،1985 م.

ياغي، عبد الرحمن: **في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية**، رام الله: دار الشروق للنشر والتوزيع،1999 م

يقطين، سعيد: **قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود**، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2010 م.

يقطين ، سعيد : **تحليل الخطاب الروائي** ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، 1993 م.

ثالثاً: المراجع المترجمة

اولتبنير، الين وليتدل لويس: **الوجيز في دراسة القصص**، ترجمة: عبد الجبار المطلبي، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1983

بارت، رولان: **درجة الصفر بالكتابة**، ترجمة: محمد برادة، بيروت: دار الطليعة، الرباط: الشركة المغربية،1981

باشلار، جاستون: **جماليات المكان**، ط2، ترجمة: غالب هلسا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. 1984

برنس، جيرالد: **المصطلح السردي**، ترجمة: عابد خزندار، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة،2003

بلمر، فرانك: **علم الدلالة**، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، بغداد: منشورات كلية الآداب الجامعة المستنصرية،1985

بورتون، رولان ورويال اوتيلية: **عالم الرواية**، ترجمة: نهاد التكري ، ط2، بغداد: دار الشؤون الثقافية ، 1983

داشيز، دافيد: **الرواية والعالم المتطور**، ط1، لندن، بدون سنة نشر

لاينز، جون: **مقدمة في علم اللغة النظري**، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، بغداد: منشورات كلية الآداب جامعة البصرة،1980

رابعاً: الاطروحات الجامعية

البردويل، صلاح: **توظيف التراث في الشعر الفلسطيني المعاصر**، (رسالة دكتوراة غير منشورة) جامعة الاقصى، غزة، فلسطين،2001

الخباص، عبد الله: **القدس في الادب العربي الحديث في فلسطين والاردن – في القرن العشرين "1900–1984" في الشعر والقصص والرواية والمسرحية**،(رسالة دكتوراه منشورة)، الجامعة الاردنية، عمان،1995

الطحل ، محمد : **رواية القدس في الأدب العربي في القرن الحادي والعشرين** ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، 2013 م .

لدادوة ، علي رضا : **القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر (1967 – 2006)** ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة بير زيت ، 2006 م .

زين العابدين، بن هدي: **ترجمة الرموز الدينية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" للطاهر وطار دراسة تطبيقية**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة وهران،2016

كلاب، جميل ابراهيم أحمد: **الرمز في القصة الفلسطينية القصيرة في الأرض المحتلة "1967-1987"**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين،2005

كلاب، محمد مصطفى: **الرمز والدلالية في الشعر العربي الفلسطيني الحديث**، (رسالة دكتوراه غير منشورة) جامعة الفاتح، ليبيا،2002

ناصر، جلال اسعد: **العمارة المملوكية الجركسية في بيت المقدس**، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة القاهرة: القاهرة، 1983

خامساً: الدوريات والصحف والمجلات

ابراهيم، نبيلة: ***قص الحداثة*. مجلة فصول**. مج 6. ع 4. 1986 م.

ابو اصبع، صالح: ***رمزية الدلالة في رواية القضية الفلسطينية*، شؤون فلسطينية**. ع. 4. 1974م.

الأسطة، عادل: **القدس في رواية عيسى بلاطة " عائد إلى القدس** ". صحفية الأيام. رام الله. ع5248/ 22-8-2010م.

الأسطة، عادل: **رواية القدس ثانية**. صحيفة الايام. رام الله. ع5227/1-8-2010

البوجي، محمد بكر: **توظيف الشخصية الأسطورية ودلالتها في الرواية الفلسطينية.** صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الاسلامية. مج 16. ع 32. 2009 م.

حنطور، أحمد محمد: ***التعبير بالرمز في الشعر العربي المعاصر***، **مجلة بيادر.** ع18. 1996م.

خواجة ، علي حسن : **القدس في الرواية الفلسطينية بعد اوسلو – نماذج مختارة –** مؤتمر الأدب الفلسطيني بعد اوسلو ، جامعة الخليل ومؤسسة قطان ، 2010 م .

زاهيد، عبد الحميد: ***علاقة الدال بالمدلول عند النحاة العرب.*** **حوليات كلية الآداب.** مراكش. ع 5. 1995 م.

زكي، احمد كمال: ***التفسير الاسطوري للشعر الحديث*** **مجلة فصول.** مج 1. ع4. 1981م.

صرصور، عبد الجليل حسن: ***الزمن، الرمز، الأسطورة في رواية انياب الصل للكاتب خليل حسونة.*** **مجلة كلية دار العلوم.** جامعة القاهرة. ع50. 2009 م.

عباس، نصر: ***الشخصية بين الواقع والدلالة في الرواية الفلسطينية " رواية ما تبقى لكم " لغسان كنفاني نموذجاً***، **مجلة كلية الآداب** جامعة بنها، 2004 م.

العف، عبد الخالق محمد: ***الزمان والمكان في رواية " رابع المستحيل " للقاص عبد الكريم السبعاوي.*** **مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية.** مج 12. ع 2. 2008 م.

علوية، نعيم: ***الرزمة الصوتية بين الدال والمدلول.*** **مجلة الفكر العربي المعاصر**، مركز الانماء القومي. ع 18-19. 1982 م.

فتاح، علي عبد الرحمن: ***تقنيات بناء الشخصية في رواية " ثرثرة فوق النيل "***. **مجلة كلية الآداب**، جامعة صلاح الدين. ع 102. 2001 م.

قاسم، قاسم عبده: ***الشعر والتاريخ***، **مجلة فصول.** مج 3. ع 2. 1983 م.

قاسم ، نادر جمعة : **صورة القدس في روايات جبرا إبراهيم جبرا** ، مجلة جامعة الأزهر ، م 10 ، ع 2 ، 2008 م .

قاسم ، نادر جمعة : **القدس في الكتابة الشعرية التناصية عند سميح القاسم** ، مجلة أماراباك – الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا ، م 5 ، ع 12 ، 2014 م .

محمد، محي الدين: ***اللغة العربية بين الدال والمدلول***. **الموقــف الادبــي**. مــج 43. ع513. 2014م.

مرتاض ، عبد الملك : **في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد الروائــي** ، مجلــة عــالم المعرفة ، 1998 م .

المطار ، عبد العزيز : **المصطلح البلاغي في علم الدلالة** ، مجلة كلية الآداب ، جامعة ابــن طفيل ، ع 10 ، 1998 م .

أبو نضال، نزيه: القدس في الرواية الفلسطينية. مجلة أقلام جديدة. ع 29. 2009 م

وادي، فاروق: ***مدخل تاريخي للرواية الفلسطينية***. **شؤون فلسطينية**. ع 110. 1981م

ولعه، صالح: ***بناء الزمن الروائي ودلالته في روايات عبد الرحمن منيف***. **الموقف الأدبي**. ع 498. 2012م

سادساً: المواقع الالكترونية

إبراهيم، لنا: قراءة في رواية سحر خليفة " صورة وايقونة وعهد قديم "، موقع صحيفة البناء www.al-binaa.com/index.php?option=com

أبو بكــر، وليــد: القــدس المحتلــة فــي الســرد الروائــي الفلســطيني، مجلــة الكلمــة www.alkalimah.net/articlimah.met/articles?authorid=488

تـــل الـــدخيرة " توثـــق بســـالة الجـــيش الاردنـــي دفاعـــاً عـــن القـــدس
www.honaalquds.net/ar/ar/article://honaalquds.net/ar/articcl/4599

جابر، عبد المجيد: جماليات المكان في رواية " خلود " لسمير الجندي. موقع الحوار المتمـدن
www.m.ahewar.org/s.asp?aid=4618r=0

حمـــداوي، جميـــل: الروايـــة السياســـية والتخيـــل السياســـي، موقـــع دنيـــا الـــرأي
https://pulpit.alwatancm/articles/2007/03/19/79838.html

الحواري، رائـــد: "قـــلادة فينـــوس – أمـــاني الجنيـــدي "، موقـــع مجلـــة أقـــلام الثقافيـــة.
http://www.aklam.net/forum/showthread.php?t

خواجـــة، علـــي: قـــراءة نقديـــة فـــي روايـــة " قصـــة حـــب مقدســـية "
http://www.axda-pal.com/index.php?cp=articulos&task=verat and aid

العيلة، زكي: فضاءات المكان والزمان في الرواية الفلسـطينية، موقـع منتـديات ميـدوزا
www.midouza.net/vb/archive/index.php/t

الفيومي، سعيد: تجليات القدس في الرواية الفلسطينية – رواية – سحر خليفة (صورة وأيقونة وعهـــد قـــديم) أنموذجـــاً، علـــى موقـــع مدينـــة القـــدس
http://www.alquds-online.org/index.php?s

مجدي، ياسمين: قدس الرواية الفلسطينية الحنين إلى حلم المدينة المستعادة. على موقع دنيـا الرأي. http://palpit.alwatanvn/articles/2009/07/031/110109.html

الموسى، خليل: العنوان والدلالة في الرواية المقدسية، " مدينة الله " لحسن حميد نموذجاً، موقع مؤسســـة القـــدس للثقافـــة والتـــراث.
http://alqudslanacom/in..?action=articlegidlana.com

An-Naiah National University
Faculty of Graduate Studies

Jerusalem in the Palestinian Novel Post- 1967: A Study in the Signifier and the Signified

By
Haya Jalal Naseer

Supervised by
Prof. Khalil Odeh

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Naiah National University, Nablus, Palestine.

2017

Jerusalem in the Palestinian Novel Post- 1967:
A Study in the Signifier and the Signified
By
Haya Jalal Naseer
Supervised by
Prof. Khalil Odeh

Abstract

As the title indicates, this study has researched into the image of Jerusalem in the Palestinian novels written post-1967. To that end, the researcher has examined more than thirty novels of Palestinian writers from Jerusalem and other Palestinian towns. Some of these writers were/are living in exile while others were/are living in their homeland. The reason for selection of these novels was due to the highlighting of Jerusalem in them. The researcher has examined and analyzed the content of references to Jerusalem in the form of signs, and symbols.

In addition to the preface, this study falls into four chapters. In the introduction, the researcher presented a brief overview of the importance of the signified and signifier in rhetorical and critical studies. She also touched on the relationship of this signification with the literary work. She then moved to trace the stages of the development of the Palestinian novel especially after 1967. The introduction concluded with the findings of previous studies, the study methodology, its content and the rationale behind choice of the topic.

Chapter two was devoted to a theoretical description/definition of the signified and the signifier in terms of concept and usage. The study

has been built on the spatial and temporal signifiers as well as other novel elements and symbols they carry. The researcher established a link between the signified and the signifier at the critical and rhetorical levels on one hand and illustrated the relationship of the signification with the literary work, on the other hand. The researcher also highlighted the historical development of the Palestinian novel, then and now, due to the long period tackled in the study: 1967-present. She in addition addressed the Palestinian narrative scene through a cursory look at the novels in which there was a direct in-text reference to Jerusalem. Of these novels, some were authored by Jerusalemites and non-Jerusalemites living in other Palestinian towns or living in exile.

Chapter three held an analytical description of the narrative scene through a spatial and temporal study of the signifier and all pertinent significations, starting with identification of some concepts and terms pertinent to time and place. In this context, the researcher examined their images in the Palestinian novel in general. Then she moved to the particular: spatial and temporal presence of Jerusalem and their significance in the novels of the Jerusalemite and non-Jerusalemite writers. The researcher also held a comparison between the novels of Jerusalemite and non-Jerusalemite writers concerning the spatial and temporal presence of Jerusalem. She concluded the chapter with a look at the signifier characters and their relationship with Jerusalem.

Chapter four addressed the symbolic horizons of the linguistic signifiers after defining the meaning of symbol in language and usage. The researcher revealed the versions of symbol and its sources in literature. She surveyed the presence of symbols in the Palestinian novel, and the significations of these symbols in the novels. She also touched on the religious, political, historical and cultural symbols and their association with the holy city as revealed in the novels.

Chapter five offered most important findings of the study and included a list of sources, primary and secondary, as well as appendices for the novels and their dates of publication.